

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً أو
تداولها تجارياً

اللسانيات العربية

Allisaniyat Al Ārabiyyah

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
العدد ١٣ ذو القعدة ١٤٤٢هـ - يوليو ٢٠٢١ م

- أوضاع الإدراك وأدوارها وأصنافها في المعجم العربي البنائي التنوعي

- تركيب الجذر ومَقُولَتَه في العربية: مقارنة أدنوية

- مدخل إلى تصنيف الأفعال بالنظر في السلوك النحويّ والبعد الدلاليّ
لـ «وَجَبَ/يَجِبُ» فعلاً حَمَلِيّاً وفِعْلَ توجيهِ

- البنية التركيبية للجملة العربية في ضوء نظرية البنية المعلوماتية

- أئمة حجاج في قصص الأطفال؟ مقارنة تداولية في قصة
(حفلة شاي في قصر سندريلا) أنموذجاً

- تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأدب

- مراجعة كتاب «فلسفة اللغة»



معامل التأثير والاستشهادات المرجعية العربي
Arab Citation & Impact Factor
Arab Online Database



التاريخ: 2020-10-25

الرقم: L20/065 ARCIF

سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة اللسانيات العربية المحترم
مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض/ السعودية
تحية طيبة وبعد،،،

يسر معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (أرسياف - ARCIF)، أهد مبادرات قاعدة بيانات "معرفة" للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه قد أطلق التقرير السنوي الخامس للمجلات للعام 2020.

يخضع معامل التأثير "أرسياف Arcif" لإشراف "مجلس الإشراف والتنسيق" الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب اسيا (الإسكوا)، مكتبة الإسكندرية، قاعدة بيانات معرفة، جمعية المكتبات المتخصصة العالمية/ فرع الخليج). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.

ومن الجدير بالذكر بأن معامل "أرسياف Arcif" قام بالعمل على فحص ودراسة بيانات ما يزيد عن (5100) عنوان مجلة عربية علمية أوبحتية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من (1400) هيئة علمية أو بحثية في (20) دولة عربية، (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). ونجح منها (681) مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "أرسياف Arcif" في تقرير عام 2020 .

ويسرنا نهنئكم وإعلامكم بأن **مجلة اللسانيات العربية** الصادرة عن **مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية** قد نجحت بالحصول على معايير اعتماد معامل "أرسياف Arcif" المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (31) معياراً، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي: <http://e-marefa.net/arcif/criteria>

و كان معامل "أرسياف Arcif" "لمجلتكم لسنة 2020 (0.2353). ونهنئكم بحصول المجلة على:

- **المرتبة الأولى** في تخصص الآداب من إجمالي عدد المجلات (91) على المستوى العربي، مع العلم أن متوسط معامل أرسيف لهذا التخصص كان (0.044). وصنفت في هذا التخصص ضمن الفئة (الأولى Q1)، وهي الفئة الأعلى.
- **المرتبة الأولى** في تخصص اللغة العربية من إجمالي عدد المجلات (36) على المستوى العربي، مع العلم أن متوسط معامل أرسيف لهذا التخصص كان (0.056). وصنفت في هذا التخصص ضمن الفئة (الأولى Q1)، وهي الفئة الأعلى.

و بإمكانكم الإعلان عن هذه النتيجة سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الإشارة في النسخة الورقية لمجلتكم إلى معامل "أرسياف Arcif" الخاص بمجلتكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

أ. د. سامي الخزندار

رئيس مبادرة معامل التأثير

"أرسياف Arcif"



+962 6 5548228 -9
+ 962 6 55 19 10 7

info@e-marefa.net
www.e-marefa.net

Amman - Jordan
2351 Amman, 11953 Jordan

المقدمة

تتشرف هيئة تحرير مجلّة اللسانيات العربية بأن تضع بين يديك، أيها القارئ الكريم، عددها الثالث عشر. وهو عدد شامل ومتنوع، يتضمن العديد من الموضوعات اللسانية، ويحكمه إطار يشمل مختلف المسارات اللسانية التي تهتم بها هذه المجلة العلمية المحكمة.

وتعكس موضوعات هذا العدد اهتمام المجلة بمعيار التنوع وحرصها عليه، ليس فقط على مستوى المحاور التي توزعت عليها البحوث، بل كذلك على مستوى مصادر البحث ومنشئه. ولن يفوت القارئ الكريم أن يلاحظ تنوع مشارب المشاركين في هذا العدد وجنسياتهم، فقد اتسع العدد لمشاركات باحثين من أقطار عربية مختلفة، يمثلون اتجاهات وتقاليد بحث لسانية عربية متنوعة ومتفاعلة.

فعلى مستوى الموضوعات تتوزع أبحاث العدد على محورين لسانيين هما التركيب والدلالة، والتداولية ولسانيات الخطاب. وعلى مستوى التقاليد البحثية، شارك في العدد باحثون وباحثات من المغرب وتونس والمملكة العربية السعودية، بأبحاث تعكس إلى حدّ ما خصوصيات الدرس اللساني في كل من هذه الأقطار.

وقد حرصت المجلة دائماً على التنوع مبدأً أساسياً تراعيه في اختيار موضوعاتها ومحاورها وبحثيها. وكذا كان الأمر على مستوى تحكيم البحوث، فقد تجاوز تحكيم هذه الموضوعات نطاق المحليّة، إذ حكّم موضوعات العدد مجموعة من الأساتذة المتخصصين في الفروع اللسانية الدقيقة التي تنتمي إليها البحوث، وهم من أقطار عربية مختلفة، ويمثلون تقاليد بحثية متنوعة. وهذا مبدأً أساسياً تحرص المجلة على الالتزام به، رغبة في الوصول إلى حدّ مرضي من الموضوعية العلمية التي ننشدها.

مرّت موضوعات هذا العدد بغرلة دقيقة، وفحص علمي صارم، وفق معايير علمية وبحثية محددة، وبناء على منهجية مرسومة، تبدأ من تدقيق إدارة المجلة وأمانتها لتحديد ما سيُقبل من الدراسات اللسانية



الحديثة وما يقع تحتها من موضوعات، واستبعاد ما عداها من فروع الدراسات اللغوية الأخرى، مروراً بعرض كلّ البحوث التي تصل إلى المجلة على جميع أعضاء هيئة التحرير (وعددهم سبعة من الأساتذة المتخصصين في اللسانيات الحديثة بفروعها المختلفة) ليدققوا في مدى انطباق المعايير العلمية، والشروط الأكاديمية والبحثية الأساسية التي تؤهلها لتكون صالحة للتحكيم العلمي لاحقاً. يلي ذلك عرض كل بحث بعينه على محكّمين اثنين على الأقل ممن لهم باع واطلاع في التخصص الدقيق الذي يندرج ضمنه البحث، وللمحكّمين وحدهم سلطة الحكم العلمي النهائي على صلاحيته للنشر من عدمها، بما في ذلك التوصية بالتعديل والمراجعة وإعادة التحكيم بعد إدراج التعديلات المطلوبة.

وقد بلغت النسبة المئوية للبحوث المنشورة في هذا العدد 50% من إجمالي ما وصل إلى المجلة، مما يعني أن نصف عدد البحوث التي وردت على المجلة بين العدد السابق وهذا العدد قد تم الاعتذار لأصحابها. وقد أثبتنا في هامش الصفحة الأولى من كل بحث منشور تاريخ استلامه وتاريخ إجازته للنشر، حرصاً على معيار الأمانة في سياسة النشر.

هذا النهج الدقيق، على ما فيه من صرامة، هو سياسة التزمتهَا المجلة منذ صدورها، وستلتزم بها في كل أعدادها القادمة بإذن الله، وما ذلك إلا لحرص هيئة التحرير على تحقيق أعلى معايير الجودة والأمانة والموضوعية، وأن تصير المجلة قبلة للبحوث والدراسات المميّزة في مجال البحث اللغوي العربي المعاصر، ومطمحها في ذلك أن تصبح مَنْفَذًا للنشر اللساني الرائد في العالم العربي. وقد آتت هذه السياسة بعض أكلها، إذ تبوّأت مجلة «اللسانيات العربية» المكانة الرفيعة بحلولها في المركز الأول في مجال الآداب، وفق تقرير معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (أرسييف ARCIF) للعام ٢٠٢٠م. وقد بدأنا نستشعر أثر ذلك من خلال النقلة الملموسة في مستوى جودة الموضوعات التي تصلنا، ومن بينها البحوث المنشورة في هذا العدد. وقد ضُمَّت الأسماء المشاركة فيه باحثين مرموقين عربياً وعالمياً، ولا أدلّ على ذلك من تفرّد هذا العدد بنشر دراسة لعلم بقامة الأستاذ الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري الذي يمثّل رأس مدرسة لسانية عربية رائدة.

اشتمل العدد الحالي على ستة موضوعات توزّعت على محورين. ضمّ المحور الأول منها قضايا التركيب والدلالة بدراسة أولى بعنوان «أوضاع الإدراك وأدوارها وأصنافها في المعجم العربي البنائي التنوعي»، وتلتها دراسة بعنوان «تركيب الجذر ومَقُولته في العربية: مقارنة أدنوية»، ثم دراسة بعنوان «مدخل إلى تصنيف الأفعال بالنظر في

السلوك النحوي والبعد الدلالي لـ (وجب/يجب) فِعْلَ توزيع وفِعْلَ توجيه»، وختَمَ المحور بدراسة عنوانها «البنية التركيبية للجملة العربية في ضوء نظرية البنية المعلوماتية». وتضمّن المحور الثاني المعنيّ بالتداولية ولسانيات الخطاب دراستين، جاءت أولاهما بعنوان «أثمة حجاج في قصص الأطفال؟ قصة سندريلا أنموذجاً»، وتلتها دراسة بعنوان «نظرية التأدب وتحليل المحادثة»، واختتم العدد بمراجعة نقدية لكتاب «فلسفة اللغة» لمؤلفه صلاح إسماعيل» بقلم الأستاذ الدكتور ناصر الحريص.

وأخيراً، تجدد مجلّة «اللسانيات العربية» تأكيد التزامها بمعايير النشر العلمي، متمثلاً في مراعاة معايير الاتفاقيات والأعراف الدولية للتحضير فيما تنشر من مقالات، والمعايير الأساسية الفنية والعلمية المتعارف عليها، والالتزام بتواريخ صدور المجلة وتوقيتها. وفيما يتعلق بالمحتوى التحريري، تواصل المجلة تقييدها المنضبط بمجال تخصصها، والاقتصار فيما تنشر على الموضوعات العلمية اللسانية الحديثة الجادة والرصينة، مع اعتماد الأصول العلمية المتعارف عليها في البحث والتوثيق. كذلك تؤكد المجلة التزامها بالتنوع على مستوى مواضيعها البحثية ضمن مجال تخصصها، وعلى مستوى المشاركين فيها. وهي تولي اهتماماً وعناية قصوى بالاقتباسات الواردة في دراسات المجلة وبحوثها، وبالاستشهادات المرجعية فيها.

وختاماً، تشكر هيئة التحرير الزملاء الباحثين الذين شاركوا في هذا العدد، وتأمل أن يستمر عطاؤهم، وأن يسهم آخرون في موضوعات الأعداد القادمة، وتشكر الأساتذة الذين تفضلوا بتحكيم دراسات هذا العدد، مؤملاً استمرارهم في تحكيم القادم من موضوعات المجلة، وترحب بمشاركات الباحثين في الوطن العربي وشتى أنحاء العالم وتساعد بتواصلهم معها ونشر أبحاثهم في أعدادها المقبلة.

رئيس هيئة التحرير

أ.د. ناصر بن عبد الله الغالي

السائبان العربية

مجلة علمية فصلية محكمة
ذو القعدة ١٤٢١هـ - يوليو ٢٠٢١ م



الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس هيئة التحرير على بريد المجلة:
arabiclisa@kaica.org.sa
arabiclisa@gmail.com

الاشتراكات السنوية

مراسلة الناشر على بريد المركز
arabiclisa@kaica.org.sa

الأمين العام

أ.د. عبدالله بن صالح الوشمي
المشرف العام على المجلة

إدارة التحرير:

أ.د. ناصر بن عبدالله الغالي
رئيس هيئة التحرير

د. هاجر بنت سلمان بن عصفور
مدير التحرير

أ.نوف بنت فهد الخمشي
أمين المجلة

هيئة التحرير:

أ.د. عبد الرحمن بن حسن العارف

أ.د. محمد خضر عريف

أ.د. ناصر بن فرحان الحريص

د. محمد لطفي الزليطني

د. منصور مبارك ميغري

الهيئة الاستشارية

أ.د. ابراهيم بن مراد (تونس).

أ.د. بسام بركة (لبنان).

أ.د. سعد مصلوح (مصر).

أ.د. عبدالقادر الفاسي الفهري (المغرب).

أ.د. علي القاسمي (العراق).

أ.د. محمود إسماعيل صالح (المملكة العربية السعودية).

أ.د. محمد صلاح الدين الشريف (تونس).

أ.د. محمد غاليم (المغرب).

أ.د. نهاد الموسى (الأردن).



قواعد النشر بالمجلة:

تاريخ إرسالها إليه، ويُنبغي عدم التواصل المهاتفي مع إدارة التحرير خلال هذه المدة للسؤال عن الدراسة أو استعجالها.

- أحكام عامة:

الآراء والمعلومات الواردة في البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية أو المجلة، ويتحمل مؤلفوها المسؤولية كاملةً عن صحة المعلومات والاستنتاجات ودقتها، والحقوق الفكرية الواردة فيها. يراعى في أولية النشر في المجلة تاريخ تسلم البحث وتاريخ قرار التحكيم وتنوع موضوع المشاركات.

ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية. يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة مع بحثه سيرته الذاتية والعلمية مختصرة وعنوان مراسلته.

يرسل المركز إلى الباحث نسخة اليكترونية من العدد الذي شارك فيه.

لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد إرساله إلى لجنة التحكيم إلا لأسباب تقتنع بها إدارة التحرير، وللمجلة مطالبة الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التحكيم إذا أصرَّ الباحث على طلبه بسحب مشاركته وعدم متابعة إجراءات نشرها، ولم تفتتح إدارة التحرير بمبررات طلبه.

عدم التزام المشاركات المرسلة للنشر بقواعد ومعايير النشر، سيقود إلى رفض المشاركات مباشرة، بدون عرضها على هيئة التحرير

تشر المجلة البحوث الرصينة المتعلقة بقضايا اللغة العربية واللسانيات العربية باللغة العربية، مع إمكان النشر باللغتين الإنجليزية والفرنسية وإحدى اللغات العالمية الأخرى؛ إذا رأت هيئة التحرير أهمية ذلك في خدمة اللغة العربية.

تنشر البحوث في المجلة بعد أن تخضع لفحص لجنة تحكيم من ذوي الاختصاص؛ للتقييم وإبداء الرأي في صلاحيتها للنشر أو عدمها.

لا تلتزم المجلة برّد ما يصلها من مشاركات إلى أصحابها، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ترسل المشاركات بصيغة ملف word مرفقة بخطاب طلب نشر موجه إلى رئيس التحرير على البريد الإلكتروني للمجلة، ويشترط أن تكون المشاركات مصححة ومراجعة ومتوافقة مع معايير وقواعد النشر في المجلة.

• يكون الخط المستخدم في الكتابة وفق ما يأتي:

١. عنوان الدراسة Traditional Arabic عامق (حجم ١٨) مع توسيط النص.

٢. العناوين الرئيسية Traditional Arabic عامق (حجم ١٨)

٣. العناوين الفرعية Traditional Arabic عامق (حجم ١٦)

٤. متن النص Traditional Arabic عادي (حجم ١٦)

٥. متن الهامش Traditional Arabic عادي (حجم ١٢)

• توضع الهوامش في آخر البحث، حيث تكتب الإحالات العلمية والتعليقات جميعها بعد المشاركة مباشرة (بعد الخاتمة) تحت عنوان (الهوامش Endnotes)، وفق تسلسل ورودها في المشاركة، مع التزام وضع أرقام الصفحات.

• تكتب معلومات المصادر والمراجع مفصلة في آخر المشاركة في قائمة خاصة بها (بعد الهوامش) تحت عنوان المصادر والمراجع، وفق الهيئة الآتية: المؤلف (الاسم الأخير، الاسم الأول، ثم الثاني) عنوان المصدر أو المرجع، اسم المحقق أو المترجم، الطبعة، معلومات النشر (بلد النشر، اسم الناشر، سنة النشر). وتكتب قائمة بالمراجع العربية أولاً، تليها قائمة بالمراجع الأجنبية باستخدام Times New Roman

• أن تتضمن الدراسة ملخصاً بلغة البحث في حدود ٢٠٠ كلمة، يليه ملخصاً مسالماً آخر باللغة الإنجليزية Abstract، متضمناً عنوان الدراسة باللغة الإنجليزية، وإن كان البحث بلغة أجنبية فيكون الملخص باللغة العربية. ويثبت الملخصان مباشرة بعد عنوان الدراسة، وألا يتم إرسالها في ملف منفصل.

• يشير الباحث إلى الانتماء المؤسسي حيث يكتب الباحث اسمه تحت عنوان الدراسة جهة اليمين (Traditional Arabic عادي) (حجم ١٦) ويحيل إلى جهة الانتماء في الهامش أسفل الصفحة متضمناً الدرجة العلمية والتخصص والمؤسسة التي ينتمي إليها والبلد (حجم ١٢).

• يرسل البحث في ملف بصيغة وورد word على أن لا تزيد صفحاته بأى حال من الأحوال عن أربعين صفحة من الحجم العادي (A4).

• ألا يشار في ثنائيا البحث على ما يشير إلى الباحث أو يدل على هويته.

يشترط في المشاركة المقدمة أن تكون منشورة أو قدّمت للنشر في أي وسيلة نشر أخرى، كما يلتزم الباحث بعدم إرسال مشاركته إلى أي جهة أخرى للنشر حتى يصله رد المجلة.

يقح للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر بعد نشره في (مجلة اللسانيات العربية) بعد مرور سنة بشرط أن يشير إلى ذلك.

يخبر أصحاب المشاركات الواردة بوصولها إلى المجلة خلال أسبوع من تسلمها.

يخبر أصحاب المشاركات بقرار لجنة التحكيم بصلاحيتها للنشر أو عدمها خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر من تاريخ وصولها لإدارة التحرير.

قرارات هيئة التحرير بشأن المشاركة المقدمة إلى المجلة نهائية، وتحتفظ الهيئة بحقها في عدم الإفصاح عن مبررات قراراتها.

أن يلتزم الباحث بتعديل البحث في ضوء ملاحظات المحكمين وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز ٣٠ يوماً من

خطوات النشر في المجلة:

ترسل خطابات طلب النشر، والدراسات والبحوث والمشاركات إلى إدارة التحرير

موجهة لرئيس هيئة التحرير على البريد الإلكتروني:

arabiclisa@gmail.com , arabiclisa@kaica.org.sa

تقوم إدارة التحرير بإشعار صاحب المشاركة بوصولها.

تعرض المشاركات في اجتماع هيئة التحرير بعد حذف أسماء المشاركين وعناوينهم وكل ما يدل عليهم؛ توثيقاً للحداية والعدالة.

في حال قبولها المبدئي يتم إرسالها مع خطاب مذيّل باسم رئيس التحرير إلى الفاحص الذي قرّره هيئة التحرير، ويُنْبَه إلى ضرورة الرّد خلال ثلاثة أسابيع من تاريخ تسلمه خطاب التحكيم.

تعرض النتيجة على هيئة التحرير في اللقاء الدوري، ثم يبلغ صاحب المشاركة بالنتيجة مرفقة بتعديلات الفاحصين في حال القبول، أو بالاعتذار عن عدم القبول.

بعد استلام إدارة المجلة للنسخة النهائية المعدلة يرسل للباحث خطاب الموافقة على النشر موقعاً من رئيس هيئة تحرير المجلة، متضمناً الوقت المتوقع لنشر مشاركته.

صفتها

مجلة تختص بالدراسات والبحوث التي تعنى باللسانيات العربية والمدارس اللسانية المختلفة وعلاقتها باللغة العربية وتنشر المشاركات التي تتناول اللسانيات النظرية منها والتطبيقية مثل الأصوات والتراكيب وتحليل النص وتحليل الخطاب والتداولية وكذلك علم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي بفرعها المختلفة وجوانبها النظرية والتطبيقية، كما تهتم بتعليم اللغات لأهلها ولناطقين بها من غير أهلها واكتساب اللغة الأولى والثانية والتخطيط اللغوي واختبارات اللغة ودراسات الترجمة والمدونات اللغوية.

فهرس الموضوعات

أثمة حجاج في قصص الأطفال؟
مقاربة تداولية في قصة (حفلة شاي في
قصر سندريلا) أنموذجاً
أ.د. نوال بنت إبراهيم الحلوة

198

تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأدب
د. خليفة الميساوي

242

مراجعة كتاب «فلسفة اللغة»
تأليف: صلاح إسماعيل
أ.د. ناصر بن فرحان الحرّيص

279

7

أوضاع الإدراك وأدوارها وأصنافها في
المعجم العربي البنائي التنوعي
أ.د. عبدالقادر الفاسي الفهري
د. هدى سالم طه

95

تركيب الجذر ومفولته في العربية:
مقاربة أدنوية
د. عبد الحق العمري

120

مدخل إلى تصنيف الأفعال بالنظر
في السلوك النحوي والبعد الدلالي
لـ «وَجَبَّ / يَجِبُ»
فعلاً حملياً وفعل توجيه
د. راضية عبّيد

159

البنية التركيبية للجملة العربية في
ضوء نظرية البنية المعلوماتية
د. سويلم بن فريج العطوي

أوضاع الإدراك وأدوارها وأصنافها في المعجم العربي البنائي التنوعي

أ.د. عبدالقادر الفاسي الفهري^١
د. هدى سالم طه^٢

ملخص

عبر دراسة مَعَجَمَة صنف من أوضاع الإدراكات والتصورات الحسية والذهنية والمعرفية العربية (أحداثاً وحالاتٍ)، يروم البحث تطوير معجم اللسان العربي من عدة مناح: (أ) افتراض معجم ذهني عربي جامع يشمل مختلف التنوعات اللغوية العربية، المعيارية منها واللهجية الدارجة والوسيلة القابلة للتفصيح، (ب) افتراض قواميس تنوعية تختص بكل نوعية، وتتنوع فيها المفردات، لكنها رافدة ومبلورة للمعجم الذهني الجامع، (ج) إقرار نظام حاسوبي واحد يولد البنى المعجمية وبنى المركبات أو الجمل، تأسيساً على قاعدة توليدية واحدة هي «أَغْصَنُ» Merge، (د) إقرار نموذج شامل للوحدة والتنوع في اللسان والمعجم العربيين، بتصميم وآليات «المعجم العربي البنائي التنوعي». ويُطبَّق التصميم على الوحدات المعجمية الذهنية للإحساس والإدراك، وعينات من مفرداتها في مختلف التنوعات العربية، سعياً وراء مَعْيَرَة العبارات والبنى غير المعيارية، وتحديد الأصناف والتناوبات الشجرية والسمات والمقولات، والبناء التأليفي للمعاني، بدءاً ببناء بنى الجذور من البسيط إلى المركَّب، فبنى المقولات، فالمركبات المعقدة والجمل، إلخ. ويعتمد «المعجم العربي البنائي التنوعي» منهجاً توليدياً بنائياً معرفياً ومقارناً، يتوخى تجاوز القصور في القاموسيات العربية الرائجة (مادة ومنهجاً)، مستلهماً نموذج البرنامج الأدنى عند شومسكي (Chomsky(1995، والتركيب المعجمي عند هيل وكيزر (Hale(2002

١- جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية بأبوظبي abdelkaderfassifehri@gmail.com

٢- جامعة الإمارات العربية المتحدة بالعين huda.salem@uaeu.ac.ae

أرسل البحث بتاريخ ٢٠٢١/٣/٣ وقبل للنشر بتاريخ ٢٠٢١/٣/٢٦

Keyser & ، والعديد من المرجعيات المذكورة في البحث. وفي المجال العربي، قام بتطوير معالم النموذج العربي الفاسي الفهري (١٩٨٦) و (١٩٩٧)، على الخصوص، وتَبَلَّوَر بصيغة جديدة أكثر تطوراً في الفاسي الفهري (٢٠٢٠)، والفاسي الفهري وسالم طه (٢٠٢٠)، ودراسات عديدة أخرى قيد الإنجاز.

الكلمات المفتاحية: المعجم الذهني العربي، قواميس النوعات، الحوسبة المعجمية، تركيب الجذور، تركيب المقولات، نموذج الوحدة والتنوع، تعلم المعجم.

Abstract

By investigating lexicalization patterns of sense, perception, and cognition eventualities and situations, this paper aims at developing research on the Arabic lexicon from various angles: (a) assume a unified Arabic mental lexicon of the distinct varieties of Arabic, which extends to standard and non-standard varieties alike; (b) establish variety specific dictionaries, in which vocabulary words and expressions are diverse, although converging on and instantiating the common core mental lexicon; (c) adopt one computational 'engine' for generating both words and phrases, based on one rule essentially, namely Merge; (d) adopt a model of unity and diversity for the lexicon, or the language, by making use of the design and mechanisms established in "the Arabic constructional and variational lexicon". The latter design has been implemented in the treatment of mental lexical entries for sense and perception, as well as instances of vocabulary words. Classes, alternations, features, and categories have been identified, to build meanings compositionally, construct root phrases, category phrases, or more. We adopt a generative constructional

and cognitive comparative approach, inspired by Chomsky's (1995) minimalist model, Hale & Keyser's (2002) L-syntax, as well as many significant contributions brought out in references. For the Arabic part, we refer to Fassi Fehri (1986, 1997) in particular, as well as the very recent developments in Fassi Fehri (2020), and Fassi Fehri & Salem Taha (2020), as well as a significant number of ongoing research by many authors.

Keywords: the Arabic mental lexicon; dictionaries of varieties; lexical computation; root syntax; category syntax; unity and diversity model; learnability of lexicon.

تروم الدراسة تحديد أهم سمات الأوضاع الإدراكية وأصنافها في اللسان العربي (بما فيها الأحداث والحالات)، وسيرورات بنائها وتأويلها صرفياً وتركيبياً ودلالياً، اعتماداً على الإحساس والإدراك والتصور والشعور، إلخ. وتعبّر عن هذه الأوضاع مختلف المقولات التركيبية، بما فيها الأفعال أو الأسماء أو الصفات ومركباتها، إلخ. ويتبنى البحث نموذجاً نظرياً ومنهجياً جديداً يتمثل في نموذج المعجم العربي البنائي التنوعي، وهو نموذج توليدي معرفي، بنائي ومقارن، تقف الدراسة على استجلاء عدد من خصائصه، وتطبيقه على عينات قاموسية. وهكذا تجمع الدراسة بين الوصف المعمق للمعرفة المعجمية lexical knowledge للحقل الدلالي المدروس، لدى متكلمي اللغة العربية الفطريين، بما في ذلك بلورة طبيعة البنى التركيبية والصرفية والدلالية المتلازمة في الوحدات المعجمية الذهنية، وسماتها، وأصنافها ضمن «المعجم الذهني العميق»، وبين التنزيل «القاموسي» لهذه المعرفة في صورة مفردات vocabulary items، باعتبارها صوراً خارجية للوحدات المعجمية. ويحدد البحث الأصناف classes، والتناوبات الاشتقاقية والتركيبية والدلالية alternations، والأشجار التركيبية التي تنظم فيها trees، والسمات المؤلفة لها features، والمقولات التي تُعَنُونُها categories. ويبنى الكل عبر سيرورة واحدة هي عملية ضم Merge (أو إغصان Branch)،

التي تخولها النظرية التركيبية، طبقاً لبرنامج شومسكي (1995) Chomsky خاصة، وهيل وكيزر (2002) Hale & Keyser، ومرنتز (1997,2001) Marantz وبورر (2005) Borer، وهري (2014) Harley، إلخ.

وتقوم الوحدات المعجمية اللغوية الذهنية الممَعَجَمَة على تصنيفات أو تنميطات types. وليست التصنيفات المتبناة اعتباطية أو عفوية، بل هي تجريبية، مؤسسة على الدراسات التنميطية typological studies التي تروم إفراز كليات لغوية language universals، ووسائط تنوعية variation parameters. وهي مؤسسة على نتائج البحث اللساني التوليدي generative والمعرفي cognitive المقارن، خاصة مبادئ ووسائط وسما ت تمكن من وصف اللغات الطبيعية، وحوسبة سيرورات إنتاجها وتأويلها. وهي ترفد من النظريات التركيبية والدلالية والصرفية المدعومة تجريبياً. وتتبلور هذه الخصائص عملياً في «المعجم العربي البنائي التنوعي المقارن»، الذي طوّر معاملة الأولى الفاسي الفهري (1986) و(1997) على الخصوص، وتَبَلُورَ بصيغة جديدة أكثر تطوراً في الفاسي الفهري (2020)، والفاسي الفهري وسالم طه (2020)، وعدد من الدراسات المذكورة هناك، التي طبقت هذا النموذج على اللسان العربي، بتنوعاته المعيارية وغير المعيارية. وبصفة عامة، فإن دراسة المعرفة المعجمية العربية تروم الخروج من اعتباطية كثير من الدراسات المعجمية والمنتجات القاموسية العربية المتوفرة اليوم، التي لا تبحث عموماً في تلازم التعالقات أو الروابط الموجودة (أو الممكنة) بين الصور الاشتقاقية والتراكيب والمعاني، ناهيك عن العيوب الكثيرة الأخرى المعروفة (التي نجملها في الفقرة ١، ٦)، وليس أقلها الاستنساخ الحرفي لبعضها بعضاً (بما في ذلك استنساخ النقا ئص)، مادة ومنهجاً، وخاصة من لسان العرب.

البحث منظم بالشكل التالي: في الفقرة ١، نعرض أبرز المقدمات لفهم إشكالات المعجم عامة، وإشكالات المعجم العربي خاصة. في الفقرة ٢، نتناول أهم الأسئلة والمقاربات والآليات لمعجمة أوضاع الإدراك في اللغة العربية، بناء على مقاربات محو رية thematic و جهية aspectual. ونتطرق لأهمية أسماء وأعضاء الحواس والإدراك في بناء جذور المادة، وتحديد مواقع الحاسة والآلة والكيفية، والتميز

بين المفهوم المعجمي والمفردة، إلخ. وندقق البحث في أصناف الأوضاع والأدوار والأحداث الإدراكية، عبر مقارنة التحليل المحوري الفضائي، ونبحث عن المحور في «رأى» و«نظر»، ومصدر الحركة بين مساريهما، ونقرّ بقصور هذا التحليل وعدم قيام الدليل على كفايته وصفيًا ونظريًا. ثم نتساءل هل تكون الرؤية في العربية «لمس»، وما دور الهمزة في «أبصر»، مقارنة بـ«أرى»، إلخ. ونتطرق إلى معنى الحُجبية، والمعاني المرتبطة بدينامية القوة *dynamic force*، علاوة على المعاني الجهبية، إلخ. وفي الفقرة ٣، نقدم بعض معالم المقاربة البنائية والتنوعية للمعجمة. ونقترح أنطولوجية رباعية أساسية متجذرة، تشمل الحدث، والذات، والخاصية، والمسار. ونحدد التأليفية باعتبارها مبدأً هندسيًا أساسيًا للربط بين التناوبات، ثم نقترح البنى الشجرية الأساسية التي نعتمدها في الوصف، ونقدم نماذج للتنوع اللهجي الذي يمكن تفصيله وتدوينه، انطلاقًا من فعلي «شاف» و«را» في العاميتين المغربية والإماراتية. ثم نتفحص مصادر تداخل وتشابك مستويات الإدراك والإحساس والتصوير وطرق معالجتها. وأخيرًا، نعالج تناوبات الجعلية والانعكاس والصيغ الأخرى. وفي الفقرة الرابعة، نقدم خلاصة للنتائج وخاتمة. وأما الملحق، فنضيف فيه نماذج بديلة للقومسة الجديدة المتعددة الأبعاد، واصفين جزءًا من مفردات الإدراك العينية، والأذنية، والأنفية، واليدوية-الجسمية، واللسانية-الفموية.

١. مقدمات أولى: المعجم أداة تعليمية

القاموس أو المعجم في الأصل خزان لمعلومات لغوية حول لغة معينة يفترض أن يصل إليها المتعلم أو المعلم أو الباحث بأيسر السبل، حتى يتمكن من فهم ما لا يفهمه من اللغة، وربطه بما يفهمه. ولهذا كان الشرح والتعريف وغيره من وسائل الإيفهام. فالقاموس أداة تعليمية تعليمية بالأساس، تؤدي إلى الإيفهام وإزالة الإبهام عن معاني الكلمات أو العبارات التي تأتلف فيها. وعلى هذه الأساس، يمكن المفاضلة بين القواميس. ولما كان تعلم المعجم أو اكتساب المعرفة المعجمية مرتبطًا بالملكة اللغوية العامة، التي يختص بها الإنسان عن غيره من المخلوقات الحيوانية، وبالملكة الخاصة بلغة بعينها، التي تكيف متغيراتها الاكتساب الخاص، فلا بد من منهج يحدد مصدر اللغة التي يصفها القاموس، علمًا بأن الأصل في المادة اللغوية أنها متنوعة جدًا، وغير

منسجمة أو مكتملة، ومع ذلك يستطيع المتعلم الفطري أن يستصفي منها نظاما يبدو منسجما ومحكما بضوابط وقواعد.

١.١. اللسان بين الوحدة والتنوع

اللسان العربي متنوع منذ نشوئه في الجزيرة العربية حتى اليوم، في «لغات» أو «لهجات» متنوعة زادت تنوعاتها بعد أن اتسعت الرقعة من المحيط إلى الخليج، وخارج البلدان العربية في مختلف بقاع العالم. وهذا اللسان يفرز جوانب وحدة، قامت على الاتصال محليا بين القبائل العربية، وبصفة أقوى بعد أن تمت مَعيرة اللغة العربية ابتداء من القرن الأول الهجري، نطقا وكتابة ونحوا و صرفا، إلخ، فصارت اللغة موحدة في مناطق شاسعة، شأنها في ذلك شأن لغات الحضارات الكبرى. التي تتنوع محليا، وتنوع عبر الأقطار، ولكنها تظل لسانا واحدا يتيح التنوع. فالإنجليزية لسان واحد، رغم كون اللغات الإنجليزية في إنجلترا أو أمريكا أو الهند أو أستراليا، إلخ، مختلفة. وقس على هذا تنوعات الفرنسية في كيبك وسويسرا وهايتي وفرنسا، والإسبانية في أمريكا اللاتينية، والبرتغالية في البرازيل، والألمانية في النمسا وسويسرا، إلخ.

ونظير هذا الكلام، أي التنوع مع الوحدة، يمكن أن ينطبق على معجم اللسان العربي، الذي يفرز وحدة، ويفرز تنوعات، سنعمل على شرحها. ولا بد أن نميز بين المعجم الذهني العربي The Arabic mental lexicon الذي يُجسّد المعرفة المعجمية لتكلم اللغة فطريا (أو بالتعلم)، وبين القاموس dictionary، أو نظام المفردات أو العبارات الفعلية المنطوقة، الذي يوصف عبر الصناعة القاموسية، حتى تتمكن من الوصول إلى وصف وتحليل المعرفة المعجمية الذهنية للغة العربية من جهة، وتجسيدها الملائم في القواميس، من جهة ثانية.

٢.١. المعجم نظام بنائي

المعجم نظام أو عدّة أنظمة مترابطة، يقرن اللفظ بالمعنى بصفة محكمة وذكية. خلافا لمن يعتقد أنه لائحة طويلة من المفردات، غير منتظمة. ونفترض أنّ المعجم الذهني للسان العربي واحد، وقواميس التنوعات العربية

متنوعة، بما فيها المعيارية وغير المعيارية، وهي مبنية على سمات ووسائط قد تتوزع بطريقة مختلفة من لهجة إلى أخرى. وإلى الآن، لم تقم الدراسات العلمية الجدّية بقياس المشترك وقياس المتباين أو الوسائطي المُغاير.

ويتأسس معجمنا العربي الجديد، المعجم العربي البنائي والتنوعي، على منهج لسانيّ توليدي ومعرفيّ مقارنة. يستفيد من نتائج دراسات معجمية ونحوية علمية شملت مختلف لغات العالم عبر العصور، بما فيها اللغات الجرمانية والرومانية والسامية والآسيوية واللغات الهندية، إلخ. ولا تنحصر هذه الاستفادة في اللسانيات العامة فقط، بل تتعدى ذلك إلى الدراسات العصبية والنفسية والمعرفية، ونظريات تعلم اللغة، والحوسبة اللغوية، والدراسات المجتمعية والثقافية.

ويقوم منهجنا على آلية بناء، لأن المعجم بنائي *constructional*، ولأن المفردة أو العبارة ليست إلتجميعاً أو «كسناً» لمعلومات مكونة لها، يمكن تفكيكها للوصول إلى تركيبها ومعناها. ومعجمنا تنوعي، لا يكتفي باعتماد المواد اللغوية المتوفرة المعهودة التي دونت أو تأتي من اللغة المعيارية أو «الفصيحة» فقط، وإنما يتجاوز ذلك إلى الاستفادة من مواد اللهجات غير المعيارية، أو ما يُسمى بالعاميات. ويقوم بمَعيرة أو «تفصيح» عدد من موادها وتراكيبها ومعانيها. والمعجم منتظم، لأن المفردات أو العبارات ترتبط فيما بينها بعلاقات صوتية و صرفية ودلالية وتركيبية، ما هي إلا انعكاس للنظام النحوي العام. ويقوم معجمنا الجديد على عدد من الآليات المستعملة في عدد من الأبحاث اللسانية المعرفية، ومنها الأصناف والتناوبات والسمات والأشجار. فالمفردة، أيّ مفردة، تدخل في نظام للأصناف، إذا قلتُ «أبصر»، فهي على صيغة «أفعل»، وحين أضع القاموس، أنا مُضطرّ لأن أشرح ما معنى الهمزة في «أبصر»، ولماذا لا تكون مثل: «أسمع» أو «أرى» الجعلية، أو مثل «أبنت» للضرورة في قولنا «أبنت الحقل»، إلخ. فهناك معانٍ لصيغة أفعل نعدّها ونصنّفها، ونستطيع أن نحلل تركيب ومعنى الكلمة على منوالها، حيث تلبس جذرا ما، بطريقة تأليفية *compositional*. ويعتمد المنهج على التناوبات، أي مجموع البنى التي تتقلب فيها الكلمة، سواء أكانت صرفية أو تركيبية أو دلالية، وهناك تلازم بين الصرف والتركيب والدلالة. مفردة مثل «بنى»، مثلاً، لا يتضح معناها إلا عندما

نُدخلها في التركيب، وتتحدد مفعولاتها أو فضلاتها. ف«بنى داراً»: شيدها، و«بنى استدلالاً أو حجة»: أقامها، وهو معنى ذهني منطقي. و«بنى بامرأة»: تزوجها. وهكذا، فالتعدّد في التركيب أو الصرف يؤدّي إلى تعدّد في المعنى. ويعتمد المنهج نظام سمات. فعل مثل «فكّر» مرتبط بالإنسان، والحيوان لا يفكّر. ولذلك فإنّ فاعله يوسم ب[+ إنسان]. فإن قلت: «فكّر الفرس»، تكون الجملة غريبة. ولهذه السمة دور في التطابق في النحو. تقول: «الخيول جاءت»، ولا تقول: «الخيول جاؤوا»، لأنّ الفاعل إذا كان [- إنسان] يكون فعله مطابقاً له في صورة المفرد المؤنث. وهذا يُبيّن ارتباط المعجم بالنحو. وهناك سمات على مستوى الأحداث، مثل [± محدود bounded] أو [± ممتد durative]، محددة بأصناف الجهة، إلخ.

والبنى الدلالية أو التركيبية أو الصرفية أو الصوتية تنتظم في أشجار. وهي طريقة تمثيل للعلاقات المعجمية والنحوية. ويتميز فيها المعجم الذهني عن القاموس. فالمعجم الذهني يمثل عدداً من المفاهيم والعلاقات في الحقول الدلالية. إذا أردت أن تعبّر عن حدث «الرؤية» see، تجد مفردات متنوّعة في القواميس، ولكن هذه المفردات ليست كلها ممثلة بالضرورة في المعجم الذهني، بل الموجود هو المفهوم المجرد بخصائصه. وأما في القاموس، فهناك مفردات كثيرة تستطيع التعبير عن معنى «الرؤية»: «رأى»، «نظر»، «شاهد»، «لمح»، «رمت»، إلخ. فكثير من الفروق بين ما يُسمّى بالفصحى أو العامية توجد في قاموس كل نوع (أو «نوع» في اصطلاحنا variety). قد تختلف المفردات، بل يختلف استعمال المفردة نفسها من نوع إلى أخرى. مفردة «شاف» تستخدم كمفردة أساسية في الدوارج للدلالة على الرؤية، في حين تستعمل «رأى» و«بصر» و«نظر» في اللغة المعيارية. وعكس هذا، لا تستعمل «شاف» كمفردة رئيسية للتعبير عن الرؤية في «الفصيحة»، بل هي ضرب من الكيفيات فقط. وهذا المنهج مقارن، مما يُعطي إمكانات للمقارنة بين اللغات، والترجمة، والمقارنة بين النوعية المعيارية والدوارج. وهذا المنهج النسقي العام يُمكننا من تقييم القواميس المتوفرة، الورقية والإلكترونية، بسهولة، والنظر فيما يرد فيها من معانٍ وتركيبات وتصريفات، وموقعها وتنميطها ضمن اللغات، وتصحيح ما يرد فيها من معانٍ غريبة للمادة، إلخ.

والتصميم المعجمي-القاموسي ينبغي أن يكون مقيدا أو منسجما مع إمكان تعلمه، أو نظرية التعلم *learnability theory*. وهذا ينفي إمكان أن يكون المعجم عبارة عن لائحة طويلة من المفردات، لا يستطيع تعلمها أحد. بل إن المعجم يصير شفافاً، مثل النحو، وهو نظامٌ يمكن تعلمه بسهولة. والمواد التي تستعمل لإقامة هذا النظام مصدرها الأول المتكلم العربي وممارسته لها، في المتون النصية، والنصوص الصوتية المسجلة، والنصوص المتوفرة على الشبكة، وحدوس العلماء من متكلمي اللغة، ولغة الحياة اليومية في الدواجر، وحدوس الفطرين بصفة عامة. وهناك جوانب تكامل وتجذر في العلوم العصبية والنفسية والبيولوجيا الجينية والحاسوبية والمجتمعية وغيرها، أسفرت عن قيام علوم بينية كثيرة مثل اللسانيات العصبية والنفسية والحاسوبية، التي تتوق معظمها إلى أن تكون لسانيات تجريبية *experimental linguistics*. فكل هذه العلوم تتضافر من أجل وضع الوصف الكافي للتنوع العربي في المعجم والنحو، إلخ. ونحن بحاجة، مثلاً، إلى نموذج لساني عصبي يُمثل لهذا التنوع، وإلى دراسات لغوية-نفسية تجريبية، ودراسات للأمراض اللغوية، تموقع اللغة العربية وسيروراتها الذهنية والحاسوبية، وتعثراتها في مناطق الدماغ، أو تقاس بذبذبات الرنين المغناطيسي الوظيفي، أو بأدوات قياس أخرى. ورغم وجود عدد من الدراسات الهامة في الموضوع، فإنها لا تزال بحاجة إلى كفاية أكبر.

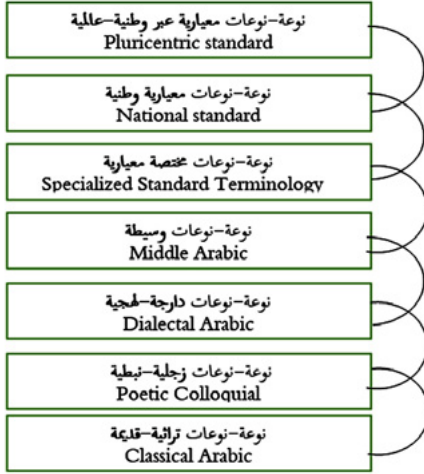
٣.١. اللسان العربي الجامع والمتنوع

هناك تصورٌ اختزالي للسان العربي يحصره في اللغة «الفصحى» (أو الفصيحة)، ويعادي اللهجات، أو بالعكس يحصره في العامية أو اللهجة، ويعادي الفصحى. والواقع العلمي الحديث يضطرنا إلى وصف اللسان العربي الغني بتنوعاته الفردية والجماعية، المحلّية والوطنية والإقليمية والعالمية، واستصفاء المعيارى منها، على أساس أن النوعة المعيارية هي الأكثر تمثيلاً للحام والوحدة. والمتداول أن تكون هذه النوعة هي لسان المدرسة والقانون والسياسة والاقتصاد، إلخ. واللسان له واقع جماعي ومجتمعي، وواقع فردي، نفسي وعصبي وحاسوبي، إلخ. واللسان ملكٌ للمتكلم به، الذي يكتسبه ويستعمله ويطوره، وهو ملك للجماعة التي تروجه وتخطط

للنهوض به، واستبقائه، والكسب منه. ومصدرُ اللغة هو المتكلم المتنوع والمتعدد الذي يمزج بين التنوعات المعيارية وغير المعيارية بأنواعها المختلفة في السياقات المختلفة. ويعطي تصنيف التنوعات أسفله صورة عن تنوع اللسان العربي في سبعة أصناف من النوعات على الأقل، طبقاً لما ورد في الفاسي الفهري (٢٠١٩)، والمصادر هناك، وضمنها بدوي (١٩٧٣). وهذا النموذج لمصدر اللغة يفرض نفسه لارتباط وتداخل نوعات اللغة العربية منذ نشأتها، قبل الإسلام وبعده، وفي عصر التدوين والتعبير الذي ابتداءً منذ القرنين الأول والثاني، فأصبحت اللغة «معيارية»، ولم تعد «فصحى»، ولكون النوعات الدارجة وغيرها من النوعات تُكتسب في بداية التعلم، وتُسهّم في وصف اللغة العربية ونموّها وتطويرها وإغنائها، ولا تتنافر بالضرورة مع النوعة المعيارية الفصيحة، علماً بأن لغة المدرسة يجب أن تظلّ معيارية، كما هو الحال في جلّ النماذج اللغوية التعليمية المتقدمة. والأهم في هذا أن النموذج لا ينبغي على تنوعين فقط، فصيح وعامّي، أو معياري ودارج، بل هناك تنوعات عديدة تغني رصيد اللسان العربي، وتدعم حيويته، وتمكّن من التواصل به في السياقات المختلفة، وإن بصفات متفاوتة (ومتداخلة كذلك)، حسب سياق الاستعمال. وهذه التنوعات ينبغي أن تنعكس إيجاباً في دراسة القدرة المعجمية العربية، وفي الصناعة القاموسية.

والتنوع في اللغة العربية على مستويات متعددة، وفي متغيّرات منها اللغة نفسها، ومنها الجغرافيا، ومنها الوضع الاجتماعي، ومنها الفروق الفردية في استعمال اللغة، وتداخلُ المجامع بقرارات مختلفة، وتنوعات لغات الوسائل السمعية البصرية ووسائل التواصل. وقد شهد هذا التنوع منذ بداية التأريخ للغة العربية والعصر الجاهلي والفترة الإسلامية وتعدد القبائل بمختلف لغاتها، إلخ. ويمكن أن نفرّق بين التنوع داخل اللغة المعيارية نفسها، بين منطقة عربية وأخرى، والتنوع بين اللهجات. ويمكن أن يُعاد هذا التنوع إلى الجذر الواحد، أو إلى جذور مختلفة، والتوزيع المختلف بين الفصيحة واللهجات، ومجالات الاستعمال في الصحف، أو القصص، أو الكتب المدرسية، أو الإذاعة والتلفزة، إلخ.^٢

٤.١. مسألة التعلّم



ص. 1. أصناف تنوعات اللسان العربي وتداخلها

يمكن القول إن جلّ القواميس التي كتبها العرب (إن لم تكن كلها) لا يمكن تعلّمها عموماً، لأنها منافية لشروط التعلّم المعقولة، وضمنها الفهم، والاطراد (أو التعميم)، والحوسبة أو الذكاء، إلخ. وكما يؤكد عالم النفس اللغوي كراشن (من بين آخرين)، فإننا لا نتعلّم إلا ما نفهمه^٣. والقاموس العربي كما يُمارس لا يكون مفهوماً في كثير من الأحيان، وهو يركز على الذاكرة أساساً، ولا يساعد على التعلّم

«الذكي». الفهم الذي يركز على بناء المعنى والتحليل الدلالي التلّيفي يتنافى ومفهوم المعجم-اللائحة، ولكنه ينطبق على المعجم البنائي الذي نفترض أن المعاني فيه مبنية عبر سيرورات حاسوبية.

ويتعلّق الأمر الثاني بالتعميم أو الاطراد، ودوره في التعلّم (كما يبيّن ذلك بوضوح شارل يانغ في عدد من أعماله)^٤. فالمفردات ليست وحدات غير قابلة للتحليل والتفكيك والبناء، وهي تُبنى عن طريق أشجار، وبالتالي يمكن أن تُعمّم القاعدة على مجموعة من الكلمات في بنائها. وإذا كان هناك شذوذ على القاعدة، يُحزّن آنذاك. فالأساس في التعلّم هو رصد الاطراد، والسيرورات الذهنية التي تمثل لهذا الاطراد. وأما عن الحوسبة، أو الذكاء، فنفترض، بعد شومسكي (١٩٩٥) وعدد من أعماله اللاحقة، وجود قاعدة بسيطة كلية هي قاعدة «ضم»، تولّد مجموعة من (أ) و (ب)، وتركّبها في بنية شجرية. وهذه القاعدة تنطبق بصفة تكرارية، فيؤدّي ذلك إلى توليد أشجار مركّبة ومختلفة بحسب التنوّعات.

ودور الاطراد واضح في بناء المولّدات neologisms. نبنى المولّدات دون أن

نكون قد سمعناها من قبل، أو تعلّمناها. إذا تعلمنا مثلاً «استرأى» في مادة «رأى»، بعد أن نكون بنيناها وفهمناها، ندخل إلى مادة أخرى، مثل «صغى»، فتساءل: هل توجد مادة «استصغى»؟ ونستطيع أن نبني «استصغى» على نموذج «استرأى». معنى ذلك أنه يكفي أن يتعلّم أيّ متعلّم بناء كلمة، ليستطيع بناء كلمات أخرى على منوالها، دون أن يتعلمها واحدة واحدة. وهذا ما يحدث في اللهجات أيضاً. نقول، مثلاً، في اللهجة المغربية «حوّت فلان»، بمعنى «أكل الحوت بنهم»، فنستطيع أن نبني عليها: «لحم»، نسبة إلى اللحم، و«كسّكس»، إلخ. ولا يهم هل قالها أحد من قبل. فأنا أضعها، وأستطيع شرحها لمن يطلب فهمها. وإذا تعلمت «ربّع فلان»، بمعنى «صار من ضمن أربعة»، أقيس عليها «خمّس» و«سدّس»، إلخ. وكلها أفعال مشتقة من الأعداد أو الفصول، بعضها نعرفه بوعي، وبعضها لا نعرفه، أو نعرفه دون وعي.

فالذين يعتقدون أن المعجم مبني على «السمع»، أو أن مواده مشروطة بأن «تسمع اللفظ وتسمع معناه» لا يصمد موقفهم أمام البناء عبر الاطراد، أو التوليد. وحجم المعجم، مهما كان ضخماً، لن يكون كافياً من الناحية الوصفية، لأن اللغة ليست محصورة. ولا يمثل القاموس إلا عينات منها. ونحن لا نتعلّم اللغة عموماً، لأن ما يُعْرَض علينا منها محدود جداً (مهما كبر حجمه)، وهو غير مطّرد، وغير منسجم في كثير من الأحيان. المتعلّم أو المعلّم يبحث غالباً عما يَنْظُم المادة، ويكتشف نظاماً في مادة غير منسجمة. والمتعلم أو المعلّم لا يجد نظاماً في القواميس العربية المعروضة عليه تيسّر مهمته، وقد شاع في ذهنه أنه سيتعلّم الكلمات واحدةً واحدةً، عوض أن يُعْمَل ذهنه لاكتشاف نظامها. فكلما تَعَقَّد تحليل نظام اللغة، ابتعدنا عن إقامة النموذج الملائم للتعليم.

٥.١. نموذج الوحدة والتنوع في اللسان (والمعجم) العربي

ينبني نموذج اللسان العربي ومعجمه الجامع والمتنوع على تصميم يترجم عدداً من الافتراضات لطبيعة اللسان العربي وهندسته الذهنية والحاسوبية وواقع توقعه الدماغي وسيروراته العصبية، إلخ. ومن أهمها:

١. الافتراض الكلي البيولوجي، القاضي بوجود «ملكة لغوية» أو برمجية خاصة بالجنس البشري، بنائية أساساً، والمتمثلة في قاعدة «ضم» Merge، التي تكون

مجموعة من عنصرين، أ و ب، كما في التمثيلات التالية:

(١) أ، ب ← {أ، ب} (تكوين مجموعة)

(٢) أ. ب ← [أب] (تقويس)

(٣) أ، ب ←  (تشجير أو إغصان)

وتنطبق القاعدة بصفة تكرارية، فنتج أشجارا تبدو معقدة، ولكنها ناتجة فقط عن إعادة تطبيق القاعدة.

٢. ليست المعرفة المعجمية تخزيناً بالأساس، بل هي توليد وبناء. ويمكن تلمس

هذا في التأويل والتحليل والاستخراج والاسترجاع، إلخ.

٣. المعجم الذهني نظام معرفة الوحدات المعجمية المجردة، وموقع السيرورات

الذهنية المعجمية، وسيرورات التخزين والاسترجاع، والأحكام-القرارات

المعجمية، إلخ.

٤. الكلمات-المفردات موزعة بين المعجم والقاموس والموسوعة.

التركيب هو المحرك الوحيد للحوسبة، يشمل البنى الصرفية والتركيبية

والدلالية، وهناك أبجدية منتظمة للمتغيرات أو الوسائط parameters،

ترصد التنوع بين «اللهجات» أو «النوعات».

٥. نفترض فصل تركيب الجذور والصيغ (وتحديد موقع الجذر وموقع اللاصقة

في المركب الجذري، إلخ) عن تركيب المقولات (س، ف، ح، ص، إلخ)،

وما يتركب حولها من موضوعات وأدوار دلالية (الفاعل المنفذ، المفعول

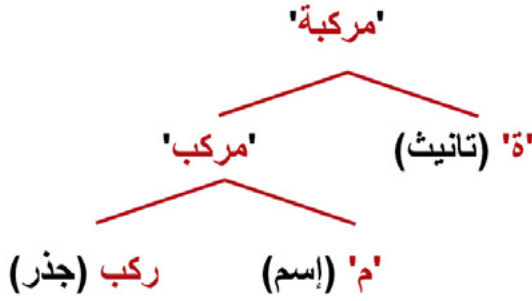
الضحية، أو المحور، «المكان»، «المسار»، إلخ).

٦. جوهر اللغة سيرورات وقواعد وروابط، والقواعد في صورة

واحدة بسيطة، تمكن من توليد المعقد بتكرار تطبيق القاعدة.

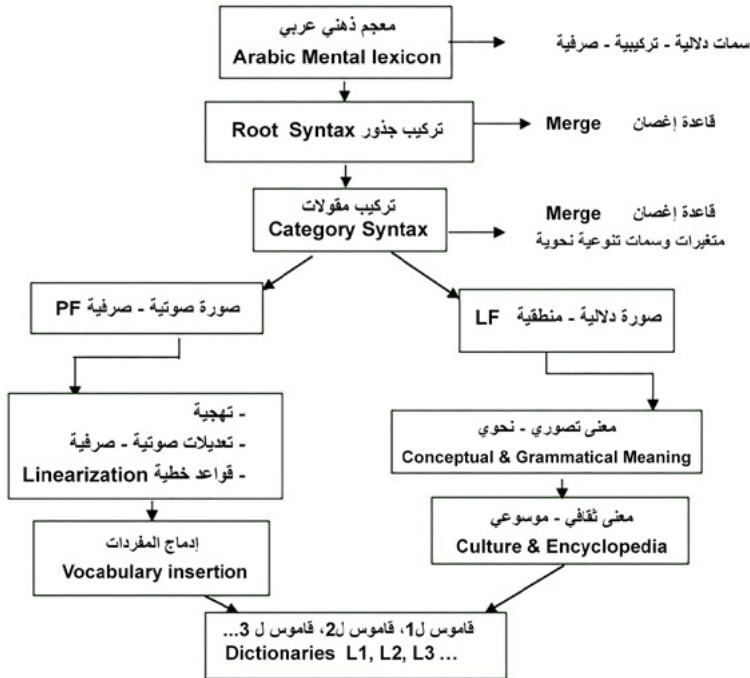
وتتحول القاعدة العامة من «أعرب ما يلي» إلى «شجر ما يلي»:

(٤)



وبما أن اللسان العربي يضم عدة أنواع، كما هو ممثل له في الصورة ١، يمكن تصميم النموذج العام لتمثيل الوحدة والتنوع في اللسان العربي والمعجم العربي بالصورة ٢.

نموذج الوحدة والتنوع في اللسان (والمعجم) العربي Unity & Diversity in Arabic (& its Lexicon)



ص. ٢. نموذج الوحدة والتنوع في اللسان والمعجم العربي

٦.١. من المآخذ على قواميس اللغة العربية

لقد استقرينا ما يوجد في القواميس العربية من موادّ وتحاليل عبر العصور إلى اليوم، الورقية منها والحاسوبية. ونعترف للرواد من السلف بالفضل في جمع شتات اللغة والمحافظة عليها، والقيام بوصفها وصفاً أولاً ملهها ودقيقاً في كثير من الموادّ، وتنظيمها بطرق مبدعة متنوعة في تصوّر المعجم، وربط الوصف المعجمي بالوصف النحوي والصرفي والدلالي، كما برز عند الخليل وسيبويه وابن جني، على الخصوص. إلا أن اللاحقين غالباً ما حنّطوا هذا الموروث، ونهجوا التقليد والنقل، وعادوا التغيير والتطور والعلم الحديث، مما أسفر عن أضرار للبحث المعجمي العربي، وحرمه من مواكبة مناهج العصر وعلومه وتقنياته، وحنّط اللغة فيما هو منقول عن السلف، أو منقول حرفياً من المعاجم القديمة، وخاصة لسان العرب، إلخ. ونذكر هنا ببعض المآخذ على المعاجم المتوفرة:

١. القواميس الحالية لا تغطي المادة اللغوية المثلة لسان العربي الحالي بصفة كافية، بمواده المعيارية (أو الفصيحة) ومواده اللهجية التي تغني وتوسع الطاقة التعبيرية غير المحدودة لسان العربي، أو تنوعاته الوطنية والجغرافية، إلخ. والمادة المعتمدة إلى الآن انتقائية، محصورة في نصوص محددة تاريخياً، مكاناً وزماناً، فيما يسمى الفصحى، أو عربية الفصحاء، التي لا تكاد تتعدّى القرن الرابع في أحسن الأحوال، وبعض القبائل المنتقاة من الجزيرة العربية، مثل قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة، وهي لا تتيح فرصة كبيرة للتنوع المنظم بمعايير محددة. وهي عموماً مادة غير منتظمة وغير متجانسة^١.
٢. المنهج المتبع لا يسهّل دور المتعلم في التقاط أساسيات النظام المعجمي، والوصول إلى المعلومات التي يبحث عنها، ولا يسهل دور المعلم أيضاً.
٣. هناك ضعف في وضع التعاريف والشروح الضرورية التي تساعد المتعلم على الدقة المطلوبة **definition**. لا يوجد، مثلاً، تعريف لمادة «رأى». كأن يكون على النحو التالي: «إدراك حسي أو ذهني، يتم بواسطة حاسة العين أو الذهن، ويؤدي إلى التقاط الأشكال أو الألوان أو الأحجام، إلخ. ويفيد في معانيه بلوغ الرأي، أو تمثّل الأمر، والإدراك، والمعرفة، والقدرة أو المهارة.

٤. لا يذكر أصل الكلمة وتأثيلها etymology في كثير من الأحيان، مساعدةً على الفهم. مثلاً: أصل لغة ولهجة، هل هي الوحدة (أو المرة) من اللغو أو اللهَج، إلخ.

٥. عدم التمثيل للملائم لظاهرة الترادف synonymy، واللجوء المفرط إلى التعريف بالمرادف، مع أنه يؤدي إلى ضرب من الشرح الدائري، أو الخلط. مثلاً: أبصر: رأى^٧. أنصت: استمع (الوسيط). اللسان: اللغة، واللغة: اللهجة، واللهجة: اللسان. (معجم الدوحة)^٨. واللسان: اللغة (لسان العرب، الوسيط). واللحن: اللغة (لسان العرب، المعجم الوسيط). وفي معجم أحمد مختار عمر (م ل ع م): ارتأى، واسترأى، وتراءى: (أبصر). و«سَمَعَهُ الصوت وأَسَمَعَهُ: اسْتَمَعَ له. وفي اللسان: تَسَمَّعَ إليه: (أَصْغَى). وأصغى إلى حديثه/ أصغى لحديثه: (أنصت) (م ل ع م). وأنصت: (استمع). وانتصت له: (نصت). وتنصت: (تسمع). (الوسيط).

٦. عدم التمثيل للملائم لظاهرة تعدد المعاني polysemy، أو ربطها، أو ترتيبها بمعايير. انظر، مثلاً، إلى مادة نظر في معجم اللغة العربية المعاصرة، حيث لا ترد الاعتبارات التي أقيمت عليها المعاني التالية (بالإضافة إلى غياب الشواهد): (أ) نظر بين الناس: «حكم بينهم»، (ب) نظر الشخص: «أصغى إليه»، (ج) نظر الشيء: «توقَّعه»، أو «انتظره» و«ترقَّبه»، (د) نظر الدين: «أمهله»، (د) نظر الشيء، أو إلى الشيء، أو للشيء: «أبصره»، (ه) نظر القضية: «درَّسها»، (و) نظر لليتيم: «رثى له»، و«أعانه».

٧. شرح صيغة بصيغة أخرى من المادة نفسها، مما يؤدي إلى الخلط بين الصيغ. مثلاً: باصره: أبصره (لسان العرب، المعجم الوسيط)، وتباصر: أبصر (اللسان، الوسيط)، واستبصر: «أبصر» (الوسيط)، واستبصر الشيء: رآه بعينه (معجم الدوحة)^٩. وَأَبَصَرُهُ وَتَبَصَّرَهُ: نظر إليه هل يُبْصِرُهُ. (لسان العرب). وَتَبَصَّرَ فِي رَأْيِهِ وَاسْتَبَصَّرَ: تَبَيَّنَ مَا يَأْتِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. (لسان العرب). وَسَمَّعَهُ: أَسَمَعَهُ، واستمعه/ له/ إليه: «سَمِعَ» (الوسيط). ومن ذلك عدم التفريق بين صيغ

الجموع، أو صيغ المصادر، أو صيغ الصفات، إلخ. ومنه: بَصَرَ به بَصْرًا وبَصَارَةً وبِصَارَةً. فهذا يجعل المتعلم والمعلم على السواء لا يصلان إلى الفروق في المعاني بين هذه الصيغ، فتصير اللغة غامضة مخلوطة، غير مفهومة وغير محبوبة، ويصير المعجم قائمة غير منظمة من المفردات والصيغ، مستعصية على التعلم والفهم، بعيدا عن طبيعتها الفعلية.

٨. ضعف الاستشهاد على المعاني والتراكيب، وندرته، كما في كثير من المداخل السابقة. تكرر: «استبصر في أمره ودينه إذا كان ذا بَصِيرَةٍ»، في معجم العين، ولسان العرب، والوسيط، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، وغيرها، دون أن يقوم عليه شاهد.

٩. معالجة غير مناسبة للمشارك اللفظي homonymy، وخلط المشتقات مع جذور من أصول مختلفة في مدخل واحد. وهكذا تستوي معاني: أربع القوم بين «صاروا ٤»، و«دخلوا في الربيع»، وهما جذران مختلفان، واحد يدل على «العدد»، والآخر على «الفصل». كما يستوي «النبت» و«الفصل» في الربيع. ويصبح الجمل والجمال والجملة والجمال، إلخ في مدخل واحد. وتستوي الريح والرائحة والأريحية في مدخل واحد. وراح الرجل: سار في العشي، وراح اليوم: اشتدت ريجه، وراح المرء: طابت سمعته. وراح الطعام: صار ذا رائحة مكروهة.

١٠. عدم الاكتراث بالتحقيب التاريخي. فجل المعاجم «العصرية» أو «المعاصرة» تنقل من المعاجم القديمة.

٢. مَعْجَمَةُ أَوْضَاعِ الْإِدْرَاكِ: أَسْئَلَةٌ وَمَقَارِبَاتٌ أُولَى

هناك أسئلة عديدة تطرح نفسها بصدد معجمة أوضاع الإدراك في الأفعال أو المصادر أو الصفات، إلخ. والحديث عن «أفعال» الحواس أو الإدراك يفسد منذ البدء الإحاطة بالمفاهيم، التي يمكن أن تتجسد في شكل أسماء أو صفات أو حروف أو ظروف، علاوة على الأفعال، إلخ. وهي تأتلف في مقولات مختلفة لتدل على المعاني

المتنوعة عبر البناء في التركيب. ولعل التجسيد الأول لمعاني الإدراك يتم عن طريق جذور عارية bare roots لا مقولة لها، لا هي فعل ولا اسم ولا حرف، إلخ، إلا المعنى المجرد للجذر. وسنبين أن من الجذور ما هو بسيط، ومنها ما هو مركب، فيؤدي كل نوع منها معاني «أساسية» أولى basic، ومعاني مركبة أو منقولة من الأصل البسيط complex، عبر سيرورات الإصهار conflation، أو الإفراغ deconflation، الذي يعرّي الفعل من الجذر الذي انصهر فيه، لنكتشف محتوى الفعل الخفيف light verb الذي يبرز جانب الحدث، قبل أن يتم إصهاره في صورة الفعل المركب، كما يظهر مع إصهار الكيفيات manners أو الجعليات causatives، إلخ^{١١}.

١.٢. أسماء الأعضاء والحواس جذورا لحدث الإدراك

من المهم أن نخرج عن قاعدة الانطلاق في تحليل أحداث الإدراك الحسي أو غير الحسي المتداولة في الدراسات الغربية، وهي النظر أولاً إلى الأفعال verbs. بل إننا سننظر في دور أسماء الحواس التي ترتبط بها أو تبنى منها (أو تشتق) أفعال الإدراك الحسي أو غير الحسي أو الذهني-المعرفي. إن هذا التحول مرده إلى أن بعضاً من هذه الأفعال مشتقة من الأسماء، السابقة لها في الدلالة على معاني الإدراك. وتضاف إلى أسماء الحواس أسماء الأعضاء التي تمكن من الإحساس أو الشعور النوعي، أو تُلْتَقَطُ الأنواع الحسية بواسطتها. فأسماء الحواس الخمس التقليدية منذ أرسطو هي البصر (أو النظر أو الرؤية)، والسمع، واللمس (أو المس)، والشم، والذوق. وهذه الإحساسات تلتقط بأعضاء العين، أو الأذن، أو اليد (أو الجسد عموماً)، أو الأنف، أو اللسان (أو الحلق)، وتوجهه إلى الدماغ ليؤولها، ويوجه الجسم أحياناً للرد. ويظهر من استقراء أول للائحتي أسماء أو تسميات الحواس وأعضائها (أو أجسامها) أن اسم الحاسة والفعل قد يشتركان في لباس صورة الجذر، وإن كان اسم الحاسة متعدد (في «بصر»، و«نظر» و«رأى»، مثلاً). وقد تستعمل أسماء الأعضاء في تسمية حدث الفعل كذلك، كما نجد مع أفعال مثل «عاین»، و«عان»، و«أذَن»، و«أَنَفَ»، حتى ولو كانت معانيها غير «طرازية» prototypical، مقارنةً مع الجذور التي تلبس أسماء الحواس، وتعتبر عادة أساسية basic^{١١}.

فما الذي يجعل الفعل الطراز أو النواة في التعبير عن الإدراك يلبس جذر الحاسة أولاً، ولا يلبس جذر العضو الذي يلتقط الإحساس؟

تكمن أهمية التمييز بين الإحساس أو الحس والحاسة (التي تلتقط الإحساس) والعضو (الذي يوظف لحصول الإحساس) في كونه يمكننا أولاً من تحديد «فاعل» الإحساس بدقة. ففي «نظر الرجل إلى الصورة»، ليس الرجل في واقع الأمر هو فاعل النظر أو منقّذه، وإنما هي العين، هي التي تنظر، وليس الرجل هو «الحاسة»، حتى على الكناية. والسؤال ثانياً هو: هل الحاسة فاعل أم أداة، إلخ؟ وتكمن أهمية التفريق بين دور الفاعل ودور الأداة في إمكان تحديد الفرق بين «رأى» و«عان»، أو «عَيّن» و«شاف» في الفصيحة، أو «شاف» في العامية، إلخ. والفرق نفسه يوجد بين «سمع» و«أذن». وينبغي فهم ما يجمع بين «عان» و«مَقَلَّ» و«حَدَقَ» و«رَمَقَ»، و«خَزَرَ»، إلخ. فهذه التناوبات في المعاني تناوبات في بنى الجذور، وهي ليست اعتباطية، بل مطردة، وينبغي رصدتها في أنماط مَعْجَمَة «البصر» lexicalization patterns. وهي تجعلنا، ثالثاً، نتساءل عن أصل التسمية، أو الاشتقاق، من أي جذر يتم، وأين يقع الجذر في البنية، وعن طبيعة السيرورة الاشتقاقية التي تربط بين الفعل والاسم. وهي تجعلنا، رابعاً، نطرح افتراضات حول وجود أفعال لها أكثر من صورة، تظهر وكأنها بديلات متساوية، مثل «بَصَرَ بِهِ» و«أَبْصَرَهُ»، أو «نظر إليه» و«نَظَرَهُ»، إلخ^{١٢}. فتحليل أصول هذه التناوبات يساعدنا على تحليل حالات تناوبات أفعال حواس أخرى، يبدو أنها تكون على «أَفْعَلَّ» و«فَعَّلَ» بمعنى واحد، أو «أَفْعَلَّ» و«فَعَّلَ» بمعنى واحد، إلخ. وهي، في نهاية الأمر، تساعدنا على افتراض أساس بنيوي واحد لأفعال الحس الواحد، حيث يتشكل في مفردات متنوعة، قد تكون لازمة، أو متعددة إلى مفعول أو أكثر، أو إلى مركب حر في محدد، أو إلى جملة، أو إلى حُمُول، أو مفعولات، أو أوصاف أخرى، بحسب المعاني والبناءات التركيبية.

٢. ٢. ثلاثية أولى لأصناف الأوضاع والأدوار؟

يمكن إفراز ثلاثة أصناف أساسية لأفعال الإدراك (الحسي)، بحسب نوع الدور الدلالي الذي يحمله (أو يقوم به) الفاعل، وبحسب ضرب الحدث الذي يدل عليه المركب الفعلي. وكان فايبرك (Viberg, 1983)، من بين آخرين، سابقاً إلى تلمس

هذه الثلاثية، التي نجدها مبلورة بصيغ مماثلة، وإن مختلفة في بعض التفاصيل، في كزبورن (2010) Gisborne، وفان كلدن (2018) van Gelderen، من بين آخرين. ويمكن التمثيل لهذا التصنيف الثلاثي في الإنجليزية عبر التناوبات التالية:

(5) Peter tasted the food (by accident).

(6) Peter tasted/Was tasting the food (on purpose).

(7) The food tasted good/bad (of garlic).

فهذه المجموعة تصف ثلاثة أصناف من المكونات العامة للأحداث (أو الأوضاع) هي: (أ) تجربة experience، و(ب) نشاط activity، و(ج) حالة رابطة copulative state، حسب اصطلاح فايرك (والترجمة منا). فالنشاط أو العمل action في (٢) يمكن تحديده بأنه سيرورة غير محدودة، يتحكم فيها منفذ agent، كما يدل على ذلك إمكان استعمال ظرف قصدي intentional، يصف الكيفية التي يقوم بها الفاعل بالفعل (ويُدلّل على قصدية الحدث)، أو استعمال جهة التدرج aspect progressive، مما يدل على أن الحدث سيرورة ممتدة. والتجربة، كما في (١)، قد تكون حالة ذهنية mental state، أو تحولا لحالة، أو إتاما achievement، إلخ. وهي غير مراقبة أو غير إرادية non-volitional، بخلاف النشاط. والنشاط والتجربة يختلف كل منهما عن الحالة الرابطة في (٣) بكون الفاعل النحوي ينتقي فيها الظاهرة المُدرّكة، أو المدرك، عوض المدرك النشط أو المُجرب-المجاري experiencer-undergoer، بدون إرادة أو قصد. وما يثير الانتباه في هذه الثلاثية أن الفعل يأخذ صورة واحدة (للجذر)، وهي معبرة عن المعاني الثلاثة بلفظ واحد. وعلى عكس ذلك، لا نجد أحادية للجذر في تناوبات فعل «البصر» أو 'الرؤية' (الذي غالبا ما يعتبر أولا في التعبير عن الإدراك الحسي)، حيث يوجد فعلا (أو جذران للفعل) يتناوبان على هذه المعاني، هما see وlook:

(8) Peter saw the birds.

(9) Peter looked (was looking) at the birds.

(10) Peter looked happy.

وهنا يتضح الفرق أكثر بين التجربة، التي تعبر عنها see عادة، والنشاط-
السيرورة الذي يعبر عنه look عادة (وإن كان الأمر ليس دائماً كذلك، كما نرى
أسفله).

لنتقل إلى العربية الآن، لنرى مدى تكييفها هذه الثلاثية للانطباق عليها، وكيف
يمكن جعل توصيف هذه الثلاثية أكثر دقة وملاءمة وصفياً ونظرياً. إننا لا نجد ما
يوازي المجموعة الأولى مع حاسة «الذوق»، ولكننا نجد ما يياثلها مع «الرؤية» في
المجموعة التالية:

(١١) رأى العمدة الطيور. (غير قصدي)

(١٢) ارتأى العمدة الحل (قصداً).

(١٣) تراءى العمدة غاضباً (خلف التظاهرة).

يصف المثال (١١) تجربة إدراكية (بصرية) يعيشها العمدة، دون أن يكون ساعياً
لها، أو متحكماً في حدوثها. وأما المثال (١٢)، ففيه إرادة وتحكم، والحدث نشاط أو
عمل، حتى ولو كان مجرداً أو ذهنيًا. وأما في (١٣)، فالفاعل لا يجرب فيها شيئاً، أو
يدرك شيئاً، بل إنه هو المُدْرَكِ percept، وهو مثل الفاعل في (١٠)، أو المفعول في
(٨) والمجرور في (٩).

وبعكس أحادية الجذر في مجموعة «الشم» الإنجليزية المذكورة أعلاه، نجد في
العربية ثنائية جذرية تترجم المعاني الثلاثة، كما في المجموعة التالية:

(١٤) شَمَّت البنتُ الوردَ. (غير قصدي)

(١٥) اشتمت البنتُ الوردَ (بانتشاء).

(١٦) راح الحقلُ ورْدًا.

فالشم تجربة في (١٤)، والاشتِام نشاط في (١٥)، والرَّوْح حالة في (١٦). هي
حالة للرائح، أي الحقل هنا، وكأن الفعل متضمن للصفة التي أصهت فيه، كأنك
قلت: «صارت للحقل رائحة وردية» (أو فاحت منه رائحة). ليس الفعل هنا من
جذر «حدث» event، أو «نشاط»، بل هو من جذر «حالة» وصفية state، أُلبست

للفعل في السطح. وقد قيل «راح» قياساً على «عَظُم» أو «كَبُرَ»، المشتقين في معنيهما (وتركيبهما) من صفة أو خاصية هي «عظيم» و«كبير»، والحال كذلك في كل فعل يشتق أو «يتجذر» في أصل بنيته من الصفات أو الإحصيات. ونفترض هنا أن الفعل «راح» أصله صفة أو خاصية property، وليس حدثاً. ١٤١٣

ونجد «السمع» مثل «الشم» في التعبير عن ثلاثية السمع بجذرين اثنين، كما يظهر في الثلاثية الآتية:

(١٧) سمعت كلامك.

(١٨) استمعت إلى كلامك (ببالغ الانتباه).

(١٩) صات ذِكْرُك.

فالسمع تجربة غير مقصودة في (١٧)، والاستماع نشاط إرادي في (١٨)، و«الصوت» في (١٩) للمدرك المسموع، لا للمدرك. وهكذا تختلف الأصناف الثلاثة بالنظر إلى أصناف الحدث، هل هو نشاط، أم تجربة، أم حالة خاصة لمدرك. ونفس التمييز يمكن أن يبنى بالنظر إلى الدور الدلالي (أو المحوري) للفاعل^{١٠}. وما يستخلص من هذه المقارنات أن الجذر المعبر عن المعاني الثلاثة قد يكون واحداً، وقد يزيد على الواحد، مما يعني أن الجذر لا يستوعب تنوعات المفهوم الثلاثة، بل هو لباس لواحد منها أو أكثر، بحسب المعاني التي أوردنا، وهي ذات طبيعة جبهة بالأساس.

وتختلف الأصناف الثلاثة بالنظر إلى نوع الفضلات التي ينتقها الفعل، بحيث ينتقي مفعولاً مباشراً (المفعول به) في (١٧)، أو مركباً حرفياً («اتجاهياً») في (٢٠)، أو فضلةً جُمليّة، كما في (٢١) و(٢٢)، إلخ:

(٢٠) نظر العمدة إلى الوادي.

(٢١) يرى الرئيس أن الحل غير مقنع.

(٢٢) سمعت أن الحل غير مقنع.

ولا شك في أن هذه الفضلات تؤثر في معنى الحدث وتأويل الفعل. فالمعنى

الحسي المادي يكون مع «رأى» التي تتعدى إلى مفعول به، وهو مجرد ذهني أو معرفي مع المصدرى «أن»، أو مع الفضلة الحرفية، إلخ.

وتطرح التناوبات التركيبية والدلالية والتصريفية التي مثلنا لها أسئلة عديدة، منها: هل المعاني الثلاثة مرتبطة فيما بينها أو متلازمة، أو تمثل تعددا دلاليا polysemy، أم إنها ليست كذلك؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب مطلوباً ومرغوباً فيه، استبعاداً للاعتباط، فكيف تتم التعالقات بين التناوبات alternations؟ لا بد من تعميق دراسة خصائص ضروب الأحداث، والأدوار الدلالية للفاعل وللفضلات، وأدوار الحروف والظروف، خاصة في تكيف معاني الأحداث، وتسويغ النعوت والكيفيات، وتوسيع لائحة التناوبات، إلى تناوبات أفعال الجعل والوضع والانعكاس والكيفيات، إلخ.

٣،٢. الحاسة والكيفية والآلة في جذر المادة، المفهوم، والمفردة

ليست أدوار المدرك (بنوعيه) أو المدرك وحدها ما يحدد الأدوار التي يدل عليها حدث الإدراك (الحسي)، بل هناك أدوار أخرى، بحسب طبيعة الحدث، وطبيعة الجذر الذي يلبسه. ومنها الأعضاء التي تصهر في الجذر باعتبارها كيفيات.

ذكر ابن سيده في مخصصه (ج. ١، ص. ٩٦) أن «العين حاسة البصر... و«المعاينة» النظر بالعين، عاينته معاينة وعياناً. و«عنته»: رأيت. ومنه قولهم: لقيته عياناً، ورأيت عياناً.» وهو يبين بذلك أن «العين»، وهي العضو، وفي الوقت نفسه ضرب من «الأداة» أو الآلة instrument، يمكن أن تصلح مادة لجذر فعل «الرؤية»، وتصهر في جذر الحدث أو الفعل. ويؤكد هذا الدور للعين وجود تراكيب مثل (٢٣)أ، موازاة مع (٢٣)ب:

(٢٣)أ. رأيت بعيني ب. سمعت بأذني

ففي هذه التراكيب وغيرها، يلعب عضو الإدراك دور الأداة، وهو دور «رُبضي» satellite أو peripheral، مقارنة مع الأدوار النووية core roles التي لا يتحقق صنف الحدث دون قيامها، أو إشباعها، كما في الأدوار المذكورة أعلاه (مثل «المحور»، أو «الضحية»، و«المنفذ»، و«المجرب»، إلخ) بالنسبة للتجربة أو النشاط أو الحالة.

وأما الآلة (أو الكيفية)، فتكون عادة ملحقة في التركيب adjunct. إلا أنها قد تُصهَر لتحل محل الفاعل النحوي، كما في الجملتين التاليتين:

(٢٤) أ. رأيت عيني ما رأيت. ب. سمعت أذني ما سمعت.

وهذا يعني أن العضو يمكن أن يكون فاعل الإدراك الذي يوصل إليه، ويكون هو المدرك (بنفسه) في التجربة الحسية. وإضافة إلى كون العضو يمكن أن يتحول إلى دور نوي يلعبه في دلالة الحدث، فإن العضو يمكن أن يصهر في الحدث أو الجذر نفسه الذي يدل على الحدث، فيلبس الجذر لباسه، كما في الأمثلة التالية:

(٢٥) عاين الرجل المكان.

(٢٦) عان الرجل الصورة.

فهذه الأفعال أصهر العضو في جذرها للدلالة على البصر، بقطع النظر عن كون هذه الرؤية خاصة.

وإذا عدنا إلى كثير من جذور الأحداث التي تتناوب مع «رأى» و«نظر» و«أبصر»، المشتقة من اسم الحاسة، فإننا نجد عددا من هذه الجذور تعني النظر بكيفيات معينة، وهي تعتمد جذورا هي في الأصل أسماء الأجزاء من العين، أو مناطق فيها. فما يسمى «الاسم» عادة سابق هنا للفعل، كما في حال «العين» و«عان». ونجد من هذه الأسماء مثلا في المخصص: «الجحمة»: العين، و«المقلة»: شحمة العين التي تجمع بين البياض والسواد، وفي المقلة «الحدقة»: وهي السواد المستدير في وسط العينين، و«الحملاق»: ما غطى الجفنة من بياض المقلة، أو أعلى العين، و«جحاظ» العين: محجرها، أو الحدقة (ن.م.، ج ١. ص ٩٧)، و«الجحاظ»: خروج مُقَلَّة العين وظهورها (لسان العرب)، إلخ. وما يثير الانتباه هو أن عددا من هذه المناطق العينية تسمى كيفيات للنظر، وليس «حدث» النظر الرئيسي، خلافا لما نجده في عدد من القواميس والدراسات اللغوية القديمة، كما في المثال التالي:

(٢٧) مقلته وأمقلته: نظرت إليه (المخصص، ن.م.).

وأصل المعنى: رأيتَه بمقلتي (الصحاح في اللغة). ولأنها «إنما سميت مُقَلَّة لأنها ترمي بالنظر» (لسان العرب)، فإن معنى «مَقَلَّتُهُ» لا يكون هو «رأيتَه» وحسب، بل

«سلطت نظري عليه بصفة ما». وكذلك تكون «حَدَّقَ»، المنسوبة إلى «الْحَدَقَة»:

(٢٨) حَدَقَ في الصورة: نظر إليها بدقة وتحديق.

وليست مطلق النظر. ومن الكيفيات أيضا التي أصلها جزء من العين:

(٢٩) جحظ نظره إليها.

ومعناه «جحظت عينه في النظر إليها»، وفقا لما جاء في الصحاح: «جَحَظَتْ عَيْنُهُ جَحَظًا جُحُوظًا عَظُمَتْ مُقْلَتُهَا وَنَتَأَتْ. وكذلك شأن «حَمَلَقَ»: نظر بفتح عينيه. ويمكن أن يُجَرَّج على الكيفيات المصهرة كثير من المواد مثل «جَحَمَ» و«حَمَلَقَ» و«حَدَلَقَ» و«بَصَّ»^{١٦}، إلخ. فهذه كلها كيفيات تدل على أن الفعل عندما يشتق من اسم العضو أو جزء منه لا يدل على حدث الإحساس أو الإدراك، فلا يصهر للدلالة على البصر أو النظر بنفسه، بل يدل على الكيفية التي يتم بها ذلك الإدراك. ويمكن تحديد البنية التركيبية لهذا الصنف من المعاني باعتبار أن الجذر في مثل «رَأَى» أو «نَظَرَ» أو «بَصَرَ» جذر «بسيط» أو «أساسي»، أُصْهِرَ فيه حدث الحس (أو الإحساس)، بينما الجذر مركب في «حَدَقَ» أو «مَقَلَ»، إلخ، قد يكون رأسه في الأصل جذر «خفيف» خفي، هو الذي يدل على «الرؤية»، ويلحق به جذر الكيفية أو الأداة، وهو الجذر الدال على العضو، ويصهر في الرأس من موقع الملحق. وسنعود إلى التفريق بين بنية الجذر البسيط والجذر المركب في الفقرة ٣. ويمكن تحليل «عان» و«عاین» و«عَيْنَ» بما هو نظير هذا، وعلى شاكلته. ف«عانه» لا تعني رآه فقط، كما ورد في القواميس، بل هو رآه بعينه، أي بأداة العضو، أو كيفية معينة.

ونجد نظير هذه الكيفيات في الدارجتين المغربية والإماراتية، كما في (٣٠)

و(٣١)، على التوالي:

(٣٠) عيني: «أصابني بعينه».

(٣١) أ. أصابني بعين. ب. أعطاني عيناً أكثر.

وفي العامية المغربية، نجد في الكيفيات أيضا: «بركك»، أي بحث بعينه مُجْرَجًا إياهما، نسبة إلى «برقوقة العين». وفي الإماراتية، «برِّق بعينه». فهذا يبين أن العضو أو أجزائه (أو أوصاف هذه الأجزاء) لا تستعمل للدلالة على الإدراك البصري مباشرة،

ولا يصح إلباسها رأس الجذر البسيط ابتداءً، وإنما يصهر جذرها منذ البداية ملحقا بالحدث الخفيف (الفارغ) في التركيب، وهو الذي يدل على النظر، والملحق محل محل الواصف أو المكيف لهذا الحدث، لتكوين حدث مركب، في جذر مركب. ويؤكد هذا التعميم ما نجده منطبقا على مواد أعضاء أخرى، مثل «الأذن» و«الأنف». ففي لسان العرب، يذكر ابن منظور أن: «أَنَفَهُ يَأْنِفُهُ وَيَأْنِفُهُ أَنْفًا: أَصَابَ أَنْفَهُ». وهو يُجَرِّجُ تَجْرِيجَ «عَيْنَ» و«عَانَ» السابق ذكرهما بمعنى الإصابة. واللسان يذكر بالنسبة للأذن، أن «أَذَنٌ يُؤَدِّنُ تَأْدِينًا... مخصوصٌ في الاستعمال بإعلام وقت الصلاة»، و«تَأَدَّنَ لِيَفْعَلَنَّ: أَقْسَمَ. وَتَأَدَّنَ: أَعْلَمَ». وهذا التخريج لا تظهر فيه الأذن، ولا دور الإصهار. إلا أننا نظن أن «أذن» في أصل معناها مرتبطة بالأذن. ويظهر هذا في معان أخرى. ففي اللسان أيضًا «قال ابن سيده: وَأَذِنَ إِلَيْهِ أَذْنًا: اسْتَمَعَ. وفي الحديث: (مَا أَدَّنَ اللَّهُ لشيءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ)؛ قال أبو عبيد: يعني ما اسْتَمَعَ اللَّهُ لشيءٍ كاستماعه لِنَبِيِّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ أَي يَتْلُوهُ وَيَجْهَرُ بِهِ. يقال: (أَذِنْتُ لشيءٍ أَذْنٌ لَهُ أَذْنًا إِذَا اسْتَمَعْتَ لَهُ). ويكون هذا من باب التأثيل etymology، أو التأصيل للمعنى، بربط معنى العضو بمعنى حدث الإدراك الذي يحمله.

٢. ٤. الترادف في أسماء الحواس

تعدد أسماء الحاسة البصرية في العربية مثير، هي «الرؤية» أو «النظر» أو «البصر». تقول، مثلا: «ضعف بصري»، أو «ضعف نظري»، أو «ضعفت رؤيتي»، كل منها جائز للدلالة على ضعف الحاسة. وفي الداريجة المغربية: «ضَعَفَ النَّظْرَ» و«ضعف البصر»، ولا يوجد للرؤية مثل؛ بل ما يوجد هو مصدر «شاف»، أي «ضعف الشوفان». وتقول: «لا ينقصنا إلا النظر في وجهكم العزيز»، تقصد أنك متشوق إلى رؤية شخص، وليس المقصود النظر دون الرؤية، بل القصد التطلع إلى الرؤية. هذه التناوبات بين المفردات في الدلالة على الحاسة في العربية، أو ما يسمى عادة بالترادف، إضافة إلى تناوبات الإنجليزية التركيبية فيما يخص الفعل see (حيث يغطي نفس معاني look تقريبا، كما بين غروبر ١٩٦٧ بحدق) توحى بأن المفردات إنما هي مظهرات صورية لا تنتمي إلى المعجم الذهني، بل هي صور قاموسية فقط. ونجد الترادف نفسه مع أفعال الوقوع أو الحصول happening، التي تشترك في

تسويغ مركب حرفي فضلة، يتخصص بنفس الحرف، كما في الأمثلة التالية (مع أن أفعال هذه الأحداث قد يكون لها تخصيص حرفي متباين):

(٣٢) وقع نظري/ بصري على صورة معلقة في الحائط.

(٣٣) وقعت رؤيتي/ عيني على صورة معلقة في الحائط.

وبالكيفية نفسها، فإن هذه المجموعة من أسماء الإدراك الحسي قد تختار حرفاً يختص بأحدها حينما يكون فعلاً، للدلالة على معنى مماثل، بخلاف ما يحدث مع الأسماء:

(٣٤) الرؤية/ النظر إلى المرأة بهذه الطريقة غير مناسب.

(٣٥) النظر داخل البيت غير مسموح به.

(٣٦) الإبصار عبر النافذة ممكن.

(٣٧) كان اتجاه بصره/ رؤيته/ عينه/ نظره نحو القط.

وهكذا، فإن مفهوم «رأى» see المجرد، الذي يترجم استعمال حاسة واحدة ليحقق الرؤية أو النظر أو البصر أو اللمس أو التحديق أو العين، إلخ، عام في كل هذه الأوضاع، وهو عميق ومجرد وبسيط، ينبغي أن يغطي كل هذه التظاهرات. هو «رأى» بالتغليظ في العربية، أو هو see (بالحروف البارزة) في الإنجليزية، وهو يمثل المدرك الدلالي العام، أو التصور concept. وتفرع عنه مدركات خاصة، تُبرز قيوداً خاصة، أو توسيطات خاصة، تتبلور في البنى الشجرية التي تمثل لكل حدث مدرك بعينه، تسميه مفردة ما، في بنية ما، قد تكون عامة (مثل «شاف» في العاميات مثلاً) أو خاصة (مثل «رأى» و«نظر» و«بصر» في الفصيحة مثلاً)، علاوة على أدوار الفاعل والفضلات والملحقات والنوع (أو الكيفيات) التي تحدد وتقيد خصوصية الحدث، إلخ. نحن إذن بصدد تحديد الفرق بين التصور العام وتحقيقه الخاص، ولذلك نضطر إلى البحث باستمرار عن نوعين من عناصر دلالة المدرك، ما هو عام generic، أو نووي core، وما هو خاص specific (أو ربضي-ساتيلي)، أو تنوعى variational.

٢ . ٥ . الأوضاع والأحداث والأدوار والمقاربات

تحدد أصناف الأوضاع بأصناف الأحداث والأدوار الدلالية، وهناك توافق بين اللسانيين مجمله أن كل صنف منها مرتبط بالصنف الآخر، رغم أن الممارسة مختلفة. وهناك أدبيات كثيرة تشكك في مدى مشروعية مفهوم الأدوار الدلالية، أو أنواعها، أو لوائحها، أو سُلّمياتها، إلخ. وسنرصد هنا بعض أهم المقاربات للأحداث والأدوار وسماها، ونجملها في المقاربة الفضائية، والمقاربة الجهية، والمقاربة الدينامية للقوة، وكيف يمكن الجمع بين نتائجها.

٢ . ٥ . ١ . التحليل المحوري (الفضائي المكاني)

يعتبر غروبر (1967 و 1976) Gruber، رائد نظرية الأدوار المحورية الدلالية في النحو التوليدي، من اللسانيين الأوائل الذين أقاموا ترابطاً وثيقاً بين معاني see و look في الإنجليزية، وجعلها مثيلين لبعضهما بعضاً، وذلك لكونها يسلكان سلوكاً تركيبياً ودلالياً يحاكي سلوك أفعال الحركة الفضائية *verbs of spatial motion*. وقد أقام استدلاله على كون تأويلهما معاً يقتضي وجود مركب حرفي (أو مسار) في بنيتها الظاهرة أو الخفية، يرتبط بفعل حركة مقدر، يخصص بمحور *theme* متنقل، نحو هدف *goal*، أو اتجاه *direction*، بحسب كل فعل. فهو يبين، مثلاً، أن *see* «رأى» (الإنجليزية) تتناوب بين كونها متعدية إلى مفعول به، كما في (٣٩)، أو لازمة تأخذ مركباً حرفياً فضلة، كما في (٤٠)–(٤١):

(38) The bird saw the nest.

(39) Bill thought he could see into the room.

(40) It is easy to see through this glass.

فالتناوبات الحرفية في (٣٩)–(٤٠) ترد عادة مع أفعال الحركة، وهي تعبر عن وجود مسار يتنقل عبره المحور في المجال الفضائي، وتوحي بأن بنية فعل الرؤية بنية فضائية حركية. ويكون بذلك معنى «رأى الرجل قِطَّةً» بمثابة توسع مجازي مثل «ذهبت عين الرجل إلى قِطَّة»، أو يكون «رأى الرجل عبر البيت» بمثابة «ذهبت

تحديقة-نظرة gaze الرجل عبر البيت، إلخ. وهناك حرف موجود في بنية «رأى» المتعدية، نظير «رأى» اللازمة، أو المتعدية بالحرف. إلا أن الحرف خفي غير محقق في سطح البنية. وأنواع الحروف التي ترد مع «رأى» (في الإنجليزية) محصورة في الحروف التي تحدد هدفاً goal، حسب غروبر، ويمكن حصر معانيها في معنى to، التي تحدد مساراً إلى هدف، سواء كانت حرفاً بسيطة مثل to، أو مركبة مثل behind، التي يملؤها دلاليًا إلى (a place) behind to. إلا أنه يفترض أن to لا تظهر (بل هي مصهرة في الفعل)، ولذلك يتعدى الفعل^{١٧}.

وأما look «نظر» الإنجليزية، فلا تختلف عموماً عن البنية الفضائية الحركية العامة المفترضة لفعل «رأى». إلا أن مركبها الحرفي يدل على اتجاه الحركة direction، لا على الهدف، كما يحصل مع «رأى» التي تأخذ حرفاً مختلفة مثل into, through, over, behind، ولكنها موحدة بالمعنى الهدفي to. وتكون الحروف مع «نظر» من ضرب at, toward, for, through، وكلها اتجاهية حسب زعمه، يمكن حصر معانيها في معنى toward، أي «نحو»، أو «اتجاه». فهذا التحليل كان سابقاً إلى اقتراح توسيع تحليل أفعال الحركة الفضائية العادية مثل «طار» fly إلى فعلي الإدراك الحسي المعالجين في الإنجليزية. ويضيف غروبر إلى رائر الحروف الذي يميز بين فعلي الإدراك الحسي كَوْن «نظر» منفذاً agentive بالضرورة، و«رأى» ليس منفذاً. ويورد مقياسين لتحديد المنفذية. الأول هو أن «نظر» قابل للشرح عبر استعمال الفعل do «فعل»، والثاني أنه يمكن أن يبنى مع مركب حرفي قصدي purpose phrase، أو أحد ظروف الكيف الموجهة نحو «الفاعل» Actor، أو المنفذ Agent. والملاحظ أن إضافة المنفذية والقصدية تستدعي مجالات أخرى مثل دينامية القوة force dynamics^{١٨}.

٢.٥.٢. أين محور «رأى» و«نظر»، وما الفرق بين مساريهما؟

رأينا أن تحليل غروبر مهد لأداتية ومركزية دلالة الفضاء وأفعال الحركة في التوسع إلى حقول دلالية أخرى، وضمنها «الرؤية»، بالاعتماد على دلالة المسار ودلالة المحور كدورين رئيسيين (فيما دعي بالافتراض المحوري عند غروبر وجاكندوف وميلر

وجونسن-ليرد وآخرين). ورغم جاذبية التحليل، فقد ظل غامضاً وناقصاً ما لم يُوضَّح من عدة مناح، قد أدت بالبعض إلى رفضه (كما فعل فان ديفيلد ١٩٧٧ van Develde)، أو تعديله وتدقيقه، كما فعل گولدسميت (١٩٧٩) وجاكندوف (١٩٩٠) وگزبورن (٢٠١٠)، من بين آخرين.

يستدل گزبورن (ن. م.)، مثلاً، على أن كلا من فعلي الرؤية له موضوع محور. والرائز في وجود محور في بنية الفعل الموضوعية هو توارد مركب حرفي معه له محتوى اتجاهي. ومن هذه الحروف في الإنجليزية *into*، *under*، *over*، *through*، التي تحدد مساراً اتجاهياً، وعنصرها يتنقل عبر المسار هو المحور، وهو الفاعل في (٤١):

Jane walked into the room (٤١).

وبالكيفية نفسها، تتوارد كل من «نظر» و«رأى» مع الحروف التي تحدد مسارات، كما في (٤٢):

(٤٢)

a. Jane could see/look into the biscuit tin.

b. Jane could see/look through the glass ball.

c. Jane could see/look under the table.

وهذا التماثل أدى بگروبر وگولدسميت وجاكندوف إلى الاستنتاج بأن هناك دوراً محورياً في معنى «رأى» و«نظر». ولا يمكن أن يكون الفاعل هو هذا المنتقل، أو المحور، بل هو «النظرة» أو «الرَّمْقة»، «رمقة» المدرك، أو مثيلاتها في النظر. وهي غير ممثلة تركيبياً بموضوع. أو هكذا يقول كزبورن، الذي يقارن «رأى» بأفعال مثل «بلغ». إن محور الفعلين يجب أن يكون موزعاً عبر المسار وموأكباً له. وينبغي أن يكون متصلاً بنهاية المسار. وهذا ما قاد لنگكر (Langacker 1991) إلى التساؤل عما إذا كان معنى «رأى» متجذراً استعارياً في معنى «اللمس» *touch*، أو «التماس» *contact*، أي أن «الرؤية لمس». فمحور «رأى» ينبغي أن يصل نهاية مساره، ويكون ملتصقاً به. ومحور «بلغ» شبيه بمحور «ذهب» فيما يخص «الامتداد»، لكن «ذهب» لا يعني اللمس، بينما «بلغ» تعني ذلك. هو إصهار «للاتصال» و«الامتداد». إن الفكرة أن فعل «رأى»

«بلوغ-رؤية». وهناك محوران للفعل «رأى». هناك «النظرة» وهناك «صورة المدرك». فالنظرة غير محدودة. ويمكن تفسير الفرق بين الرؤية والنظر باعتبار أن محور الرؤية غير محدود، ومحور النظر محدود. ولكون الأخير كذلك، فإن امتداده لا يكون ملتصقا بمساره، ولا يتصل بنهاية مساره، أو بالمدرك، لأنه محدود (كزبورن، ن.م، ص. ١٦٣-١٦٥). ورغم أن هذا التحليل يحسن بعض الشيء تحليل غروبر المحوري، فإنه مازال يعاني من عيوب تحليل غروبر الأصلي. من ذلك أن تحديد المحور لا يتم بصفة تركيبية يكون فيها المحور مدججا في تراتبية الأدوار الدلالية ومواضع ربطها بالموضوعات في التركيب. ومنها أن افتراض محورين تخميني أكثر منه تحليلي، ويخرق قيد المقياس المحوري The Theta Criterion، الذي يقر أحادية إسناد دور محوري واحد لموضوع واحد، إلخ. ثم إن التحليل لا يفسر لماذا تتنوب «رأى» بين التعدية المباشرة والتعدية بالحرف، في حين أن «نظر» لا تتيح هذا التنوب، إلخ. وأخيرا، وليس آخرا، فإنه لا يوجد ما يبرر التحليل المحوري في حالة «رأى» العربية لكونها لا تقبل التنوب الحرفي في معنى «تجربة الرؤية»، وإنما تقبل التنوبات الواردة في (٤١) و(٤٢)، أو غيرها من الأمثلة الحرفية في معنى «القدرة على الرؤية»، وهذا معنى غير حركي دون شك، والفعل فيه لازم. ففي كل حالات اللزوم، ليس هناك «حركة» ولا «محور» ولا «مسار». وفي حالات عدد من التنوبات، لا يمكن افتراض حركة هدفية أو موجهة.

يتضح إذن أن الحركة، رغم كونها قد تلعب دورا في تحديد بعض معاني أوضاع الرؤية والنظر، إلخ، فإنها لا تتيح التفريق بين أصناف أحداثها، ولا تتيح التنبؤ بخصائصها التركيبية والصرفية، طبقا للتلازم بين هذه المكونات النحوية الثلاثة. فالتحليل المحوري غير مبرر، لأن دور «المحور» غير محدد بوضوح، وليس هناك ما يدل على أن مسار الهدف أو الاتجاه مصهر في دلالة الحدث البسيط (أو أنه فضلة منتقاة له)، بالنظر إلى التماثلات الحرفية في الأمثلة (٣٠) إلى (٣٨) أعلاه، بل ليس هناك دليل على وجود فعل خفيف (مثل «تحرك» move) لصيقتي بمعنى الرؤية أو النظر. وما يوجد هو تنوع لأصناف الأحداث أو الأوضاع، مثل الثلاثية التي بدأنا بها، إضافة إلى معنى القدرة، ومعنى الكيفية، وغيرها من المعاني التي لا تقتضي حركة، خلافا لما نجده عند غروبر، أو من حذا حذوه.

٦.٢. هل الرؤية في العربية (لمس)؟

تحليل معاني الرؤية في العربية ينبغي أن يرتكز أولاً على تناوبات يمكن تلمسها في معجمها ونحوها، في تلازم بين بناء اللفظ وبناء المعنى. وهناك ما يوحي بأن الرؤية يمكن أن تكون حدث (لمس)، أو (تماس)، وليس بالضرورة حدث (حركة). وتوجد في العربية ثلاثة أفعال (أساسية) أو نوية للدلالة على الرؤية هي: (رأى) و(نظر) و(بصر). ولها مثيلات في أسماء الأحداث (أو المصادر)، وفي الصفات، إلخ. وجذورها تُسمَّى الحس البصري أو الذهني. وفي العامية، يكاد الفعل «شاف» يستعمل بمفرده للدلالة على حدث الرؤية عموماً، وإن كانت الجذور الأخرى تستعمل في الأسماء أو الصفات. وفي تحليلنا للتناوبات بين صيغ التعدي أو اللزوم أو التعدي بالحرف، نجد أن التناوب المثير هو تناوب «التماس» الذي نلاحظه مع «بصر»، أو «شاف» في الدارجة، بل مع أفعال حس أخرى كذلك. وهذا يوحي بأن هذا التناوب يمثل الأنموذج الأبسط والطبيعي لتحليل طبيعة فضلات أفعال الإدراك النوية، قبل أن تضاف الأدوار الرئضية، مثل الكيفيات، مثلاً. فإذا صح هذا التصور، وجب البحث في وجوه التناظر بين «رأى» و«بصر» أولاً، وليس «نظر».

٦.٢.١. تناوب الرؤية واللمس والاتصال

مادة «بصر» في الأفعال في العربية الفصيحة على ثلاثة أصناف بالنظر إلى ما يلي: (أ) كون الفعل لازماً، (ب) كونه ينتقي فضلة حرفية (أو هو متعد بحرف)، (ج) أو كونه ينتقي مفعولاً به مباشراً. وهذه أمثلة عن التناوبات الثلاثة:

(٤٣) بَصُرَ الرَّجُلُ.

(٤٤) بَصُرَ الرَّجُلُ بِأَرْنب.

(٤٥) أَبْصَرَ الرَّجُلُ أَرْنباً.

ففي معنى اللازم في (٤٣)، يكون «بَصُرَ» بمعنى وصف لحالة أو لقدرة، حالة من يستطيع الرؤية أو البصر. وفي (٤٤)، يقال إن الباء (للتعددية)، لأن رؤية المرئي حصلت، أو على الأقل بدأ حصولها. فالفعل لازم-متعدي بالحرف، لأن معناه

يقتضى وجود مبصر ومبصر (هو «الأرنب»)، وقع اتصال البصر به. وأما في (٤٥)، فالتعدية الدلالية واضحة، وهي تعني أن الاتصال آل إلى نهايته، ونتيجته اكتمال الرؤية، أو تكوين صورة للأرنب. وهناك تناوب بين التعدية بالحرف والتعدية بالمفعول في المثالين الأخيرين.

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا تكون التعدية بهذا الحرف بالضبط، أي الباء؟ لماذا لا نجد الحرف «في»، الذي يستعمل مع المكان، قياساً على الإنجليزية at، أو حرف «اللام» أو «إلى» الذي يستعمل مع الهدف، قياساً على الإنجليزية to؟ إن الجواب يكمن في كون الباء هنا تدل على «الإلصاق»، حسب تعبير النحاة، أو هي تدل على «تماس» باستعمال مصطلح جديد. هذا المعنى للباء يرد مع عدد من أفعال الحواس الأخرى، مثل «أحس بالبرد»، أو «أمسك باليد»، أو «أخذ بالحل»، كما في التناوبات التالية:

(٤٦) أ. أحس الحرارة. ب. أحس بالحرارة.

(٤٧) أ. أمسك يدَ الطفل. ب. أمسك بيد الطفل.

(٤٨) أ. أخذ ابنه في جولة. ب. أخذ بابنه في جولة.

ففي هذه التمظهرات، يظهر أن «بصر بأرنب» في أصل معناها هي «التصق بصره بأرنب»، و«أبصر الأرنب» «تماس بصره والأرنب». ويكون الالتصاق جزئياً باستعمال الباء، وتاما باستعمال التعدية.

ويؤكد هذا التحليل وجود تناوبات مماثلة في العامية المغربية. إلا أن الحرف هنا حرف «الفاء»، الذي يكون للاتصال والتماس كذلك (وهو يدل أصلاً على المكان مثل «في»)، كما هو ممثل في (٤٩):

(٤٩) أ. شاف الولد. «رأى الولد».

ب. شاف فالولد. «نظر إلى الولد».

ف«شاف» الأولى متعدية، تعني «رأى»، والثانية متعدية بحرف الفاء تقترب من معنى «بَصُرَ بَ» (وربما «نظر إلى»). والفاء هنا لا يمكن أن تكون هدفيه، بل هي

للتماس. وهي تمتد إلى حواس أخرى:

(٥٠) أ) تسمع الموسيقى. «يسمع الموسيقى».

ب) تسمع فالموسيقى. «يستمع إلى الموسيقى».

(٥١) أ) مس يدي. «مس يدي».

ب) مس فيدي. «مس بيدي».

(٥٢) أ) شم يدي. «شم يدي».

ب) شم فيدي. «اشتم في يدي».

وهذا الامتداد على غرار امتداد الباء في العربية الفصيحة إلى السمع:

(٥٣) أ) سمعت إخبار. ب) سمعت بإخبار.

ولا ينحصر التناوب في أفعال الإدراك الحسي فقط، بل يتعداه إلى عدد من أفعال العمل التي تتطلب مفعولاً يقع عليه عمل الفعل، أو إلى الأعمال النفسية، إلخ، واللائحة طويلة نذكر منها في النوعة المغربية:

(٥٤) أ. تضرِب الولد. «يضرِب الولد».

ب. تضرِب فالولد. «يضرِب في الولد».

(٥٥) أ. تياكل التفاحة. «يأكل التفاحة».

ب. تياكل فالتفاحة. «يأكل في التفاحة».

(٥٦) أ. فقصني. «أغاضني».

ب. فقص في حتى شبع. «أغاض في حتى ارتوى».

يتأكد إذن أن تناوب التعديّة في صنف هذه الأفعال مصدره «الباء» في اللغة المعيارية، و«الفاء» في النوعة الدارجة المغربية^{١٩}. ومما يدعم مقارنة اللمس أن أول معاني الباء، عند النحاة، هو «الإلصاق» (ابن هشام، المعنى، ج ١، ص ١٣٧)، أي ما أدرجناه هنا في الاتصال والتماس. وتدخل الباء في

تركيب جل أو ضاع أو أفعال الحواس، وفي مقدمتها «الحس»، و«المس»، أو «اللمس»، و«الشعور» مثل «شعُر به»، إلخ. فهذه «تجارب» حسية أو ذهنية experiences، لا تستلزم حركة، ولا تسوغ دورا «هدفا» لهذه الحركة، خلافا للافتراض المحوري.^{٢٠}

٢.٦.٢. ٢. أبصر، و(أرى)، ودور الهمزة

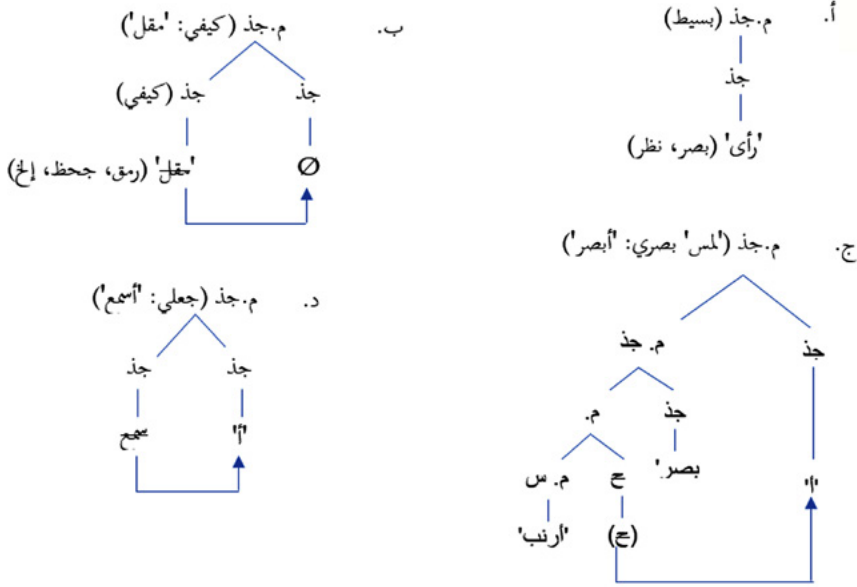
ويطرح الفرق بين دور الهمزة في «أرى» و«أبصر» المتعدتين مشكلا يوضح تركيب كل منهما ودلالاتها. فالهمزة متعدية إلى مفعول واحد في «أبصر»، وإلى مفعولين في «أرى». وهو مثيل دخول الهمزة على «سمع»، التي تعديها إلى مفعول ثان:

(٥٧) أ. أَرَى الرجلَ الولدَ الصورةَ («عبر» رأى الولدَ الصورةَ).

ب. أَسْمَعُ الرجلَ الولدَ الموسيقى («عبر» سمع الولدَ الموسيقى).

الهمزة هنا بمثابة فعل «جعلى» causative، مفعولها الأول فاعل مدرك perceiver في الجملة المفعولة، في علاقة عليية أو سببية. ولكن الأمر مختلف مع «أبصر»، لأنها تتعدى إلى مفعول واحد فقط، وليس المفعول فيها فاعلا مدركا، بل هو المدرك percept، الذي كان فضلا مجرورة في (٤٤)، وأصبح مفعولا منصوبا في (٤٥). هو إذن تناوب تعدُّ بين فضلتين للفعل، يخص المدرك. وليس التناوب بالجعل، كما في (٥٧). وفي إطار هذا الفرق بين السمع والبصر، يفهم شرح سيبويه لبنية «أبصر» وقياسها على «أغفل»، فيما سبق ذكره (انظر هامش ١٩).

نخلص إلى أن التناوب في الفعل البصري يخص مدى تماس الحدث مع فضلته لبلوغ المدرك، ولا يبدو متعلقا بنوع المسار أو المكان الذي يصل إليه النظر أو الرؤية، وهي ملحقات خارجة عن الدلالة النووية للحدث. وأما ما يتيح تناوب التعدية، مثل «الباء» و«الفاء»، فهو لصيق بدلالة الحدث النووية، وليس ملحقا. وتمثل الأشجار التالية الفروق بين بنى مركبات الجذور Root phrases: (أ) الرؤية في جذر الحدث اللازم (البسيط)، و(ب) الجذر الكيفي (المركب) المُصهَر في الرؤية، و(ج) همزة التعدية المنقولة عن الباء (في حدث مركب)، و(د) همزة الجعلية في حدث مركب (مثل «جعل-سمع»، جذ= جذر):



٧.٢. معنى التدليلية أو الحجية evidentiality

قد لا يتم الإدراك بالحواس، فيما يهمننا من مَعْجَمَة، وإنما باللغة فقط. وموضوعنا أفعال الإدراك الحسي أو غير الحسي، وثمة فرق بين الإدراك الذهني والإدراك اللساني. فحين أقول: «رأيت عصفورًا جميلًا»، فأنا أنقل ما رأيت باللغة، أو أزعم أنني رأيت، حتى ولو كنت صادقًا. اللغة تتحكّم في تصوّري ونقلي للإحساس. وأفعال الإدراك الحسي لا تنقل الحسّ ضرورةً، بقدر ما تنقل تصوّرنَا اللغوي للحس (أحيانًا). وهذا يختلف عن الحسّ نفسه، لأن الإنسان يمكن أن يُحسّ بالشيء، ويُثَبِّت ذلك بالوسائل المخبرية، ومع ذلك لا يستطيع أن يعبر عن إحساسه باللغة، أو تصوّره له. وقد يحدث العكس. إنه يرى شيئًا، ويدّعي صادقًا أنه يراه رغم أن ذلك لم يحدث. فهذه المعاني الذهنية اللغوية تتعلّق بالجانب التدلّلي أو الحجّي evidential. وعندما أقول: «رأيت صورة»، بصفتي متكلمًا ينقل لك معلومة، يمكن أن أكون صادقًا أو كاذبًا. وثمة فرق بين الجملتين التاليتين:

(٥٩) أ. أرى مريم تسبح في النهر. ب. مريم تسبح في النهر.

الجملة الثانية، أي (٥٩ب)، تنقل كلام متكلم يصف حدثاً هو حصول سباحة مريم في النهر، ولكنه يظل صامتا بصدد الحجة على حصول الحدث بالفعل. وأما في الجملة الأولى، (٥٩أ)، فالتكلم يزعم أنه شاهد بعينه مريم تسبح في النهر. هناك إذن محتويان لهذه الجملة: (أ) محتوى يتعلق بمضمون الحدث الذي تُعبّر عنه الجملة (٥٩ب)، و(ب) محتوى يتعلق بضرب الحجة أو الدليل الذي يقدمه المتكلم لإثبات وقوع الحدث، والحجة هنا بصرية، وهي رؤيته لمريم تسبح في النهر.

يتمثل الجانب الحجّي أو التدليلي في استخدام بعض الأفعال التي تُسمى أفعال الإدراك الحسي، ولكنها في استخدامها الحجّي لا تقصد الدلالة على الحواس، بقدر ما تسعى إلى تقديم حجة على قيام الحدث. ففي التنزيل: «وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ» (الكهف: ١٧). يقول القرطبي: «أي ترى أيها المخاطب الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم. والمعنى: إنك لو رأيتهم لرأيتهم كذا...». فأحداث الإدراك الحسي (إضافة إلى عناصر أخرى) تُستعمل بوصفها عناصر تدليلية^٢. وتتصدّر «رأى» أفعال الإدراك التدليلية، ولا تستخدم «نظر» بهذا المعنى. ولا نكاد نستخدم «أبصر» في الدلالة نفسها، وإن كان ذلك ممكناً. وكأن هناك خاصيات للفعل «رأى» تمكّنه من هذا المعنى، دون غيره من مرادفاته، لعل أبرزها دلالته على التجربة، وتسويغه التعدية القائمة على التماس.

وإذا انتقلنا إلى أفعال الإدراك الحسي الأخرى، مثل «سمع»، نجد لها استخداماً حُججياً قريباً من استخدام «رأى». كما في المثال التالي:

(٦٠) سمعتُ أن الرئيس أقيّل.

وبالنظر إلى التقسيم الثلاثي للأحداث (التجربة، والنشاط، والحالة)، نجد أن الحدث-التجربة هو الذي يفيد المعنى التدليلي. فلا تستعمل حدث النشاط في المعنى الحجّي:

(٦١) *استمعت (إلى) أن الرئيس أقيّل.

وأما أفعال الإدراك الحسي الأخرى، فلا تفيد هذه المعاني. لا تقول:

(٦٢) *شممتُ أن الورد في الحقل له رائحة طيبة.

رغم أن شمَّ الورد تجربة، والمتكلم يساهم في نقلها. وكذلك لا تقول (٦٣) ولا (٦٤) على الحجية:

(٦٣) *مسستُ أن جرحي عميق.

(٦٤) *لمست الكتاب.

ونظير هذا لا يأتي في الذوق كذلك:

(٦٥) *ذقتُ أن الثوم في الطعام.

والخلاصة أننا قد نستخدم فعلي الرؤية والسمع للدلالة على الحجية، ولا نستخدم أفعال الإدراك الحسي الأخرى.

ويُستعمل الفعل «رأى» للدلالة على الحجية في الدوارج، مع أنه لا يستعمل للدلالة على الرؤية الحسية. وهو يتحوّل إلى «را» في المغربية، و«ترا» في الإماراتية. ففي العامية المغربية:

(٦٦) أ. كتخاف غير يتفقوا بيناتهم وراكم عارفين البقية. (تخشى أن يتفقوا بينهم وسترون البقية).

ب. ما شفت ما ريت (لم أر شيئاً قط. للتبرؤ من أنك شاهد على حدث).

ومن الأمثلة في الدارجة الإماراتية:

(٦٧) أ. ترا الكتاب ممتع. «الكتاب ممتع فعلاً».

ب. تراه سافر بالأمس. «للعلم، لقد سافر بالأمس».

ج. تراك تأخرت. «انتبه لقد تأخرت».

٨,٢. تحاليل أخرى: التحليل الجهي-الزماني ودينامية القوة

انطلقنا في تحليلنا لأصناف الأحداث الإدراكية (الحسية) من تناوبات ثلاثة ذات

طبيعة جهية-زمنية في واقع الأمر، هي: (أ) التجارب-الحالات experiential states مثل «رأى»، و(ب) الأنشطة activities أو السيرورات، مثل «نظر»، و(ج) الحالات الرابطة state-copula، مثل «ترأى». وهناك عدة روائز لتحديد هذه الأصناف، وعدة سمات واصفة لها، معروفة في الأدبيات الآن. ومن أشهر التصانيف تصنيف الأحداث حسب جهة الوضع إلى الأصناف الجهية الأربعة عند فندلر (١٩٦٧) Vendler وداوتي (١٩٧٩) Dowty، المبنية على (أ) الحالات، و(ب) النشاطات، و(ج) الإتمامات و(د) الإنجازات. ويقترح بوستيوفسكي (١٩٩٥) ثلاث طبقات هي: (أ) الحالات states، و(ب) السيرورات processes و(ج) الارتفاعات transitions (التي تشمل الصنفين (ج) و(د) في تصنيف داوتي).

ويبدو أن التفريق بين «رأى» و«نظر» يتوقف على استعمال مفاهيم وسمات مرتبطة ب «دينامية القوة» force dynamics ، كما بينا، تستوعب المنفذية agency، والعمل action. وهي تجعل «نظر» ديناميا، و«رأى» غير دينامي، أو بالأحرى غير مخصص بالنسبة لهذه السمة. ويعتقد الموظفون أن التعدية الطرازية تقتضي انتقال قوة بين الفاعل والمفعول. وهذا يتيح تصورين لحدث الرؤية. فحسب كروفت (١٩٩١) Croft ، تكون العلاقة العلية بين المدرك والمدرك ثنائية الاتجاه. إلا أن لنگكر (١٩٩١) يعتقد أن تعدية فعل الرؤية إنما هي توسع، مقارنة مع التعدية الطرازية، بحيث لا يكون فيها انتقال للقوة (استثناءً). ويقدم جاكندوف (١٩٩٠) روائز تضم ثنائية تعتمد على دوري «المبتدئ» و«المنهي»، كما في (٦٨) و(٦٩):^{٢٢}

(٦٨) ما فعل الرجل هو أنه ...

(٦٩) ما حصل للرجل هو أنه ...

فالحدث المبني حول «فعل» do في (٦٨) يحدد المبتدئ للحدث Initiator، والحدث الموصوف ب«حصل» أو «حدث» happen في (٦٩) يحدد ما يسميه المنهي (أو نقطة النهاية Endpoint). ويمكن تطبيق هذه الثنائية على فاعل «رأى»:

(٧٠) ما فعل الرجل في باريس هو أنه رأى الموناليزا.

(٧١) ما حصل للرجل في باريس هو أنه رأى الموناليزا.

ففاعل الرؤية له دلالة إلى حد ما بالنسبة لدينامية القوة، لأنه يتصرف مثل المنفذ في (٧٠)، ومثل الضحية في (٧١). إلا أن مفعول «رأى»، بخلاف فاعله، ليس شريكاً في هذه الدينامية، لأن ثنائية جاكندوف لا تنطبق عليه، فهو ليس مثل المنفذ، ولا مثل الضحية:

(٧٢) !! ما فعلت الموناليزا هو أنها رُئيت من طرف الرجل.

(٧٣) !! ما حدث للموناليزا هو أن الرجل رآها.

ويمكن روز هذه الثنائية بالنسبة للفاعل «سمع»، والوصول إلى نفس النتائج. والملاحظ في نظام تالمي (2000) Talmy لدينامية القوة أن المعنى يتحدد كذلك بدوري «الناشط» agonist و«المعاكس» antagonist، المرتبطين معاً بالمنفذية. ويمثل المفهومان مفهومي figure «الشخص» وground «الأرضية» في النحو المعرفي، اللذين استقر عليهما تحليل تالمي. وللمزيد عن تحليل دينامية القوة، انظر كيلي وهربي (2015) Copley & Harley.

٣. المقاربة البنائية والتنوع

تختلف المقاربة البنائية، كما نحددها، عما سبق من المقاربات في عدة مناح. فهي لا تنطلق من معنى الكلمة أو المفردة (المُخزّن في القاموس) في استقلال عن الجذر وسيرورات التركيبية والصرفية، بل إنها تتدرج في بناء المعنى بالموازاة مع بناء الكلمة في التركيب والصرف، والتأليف من أسفل الشجرة إلى أعلاها، حسب مكونات الحدث والحدث المركب المتوفرة. وهي تستعمل السمات، والأشجار، وذرات المعنى، والآليات اللسانية المعهودة أو الجديدة، بناء على مبادئ ووسائط مقارنة محددة، ترصد التناوبات الصرفية والتركيبية والدلالية بصفة متلازمة وشاملة ومبررة، وقابلة لأن يتنبأ بها. ويرتكز هذا العمل على تصور المعجم كما حدد أولاً في عدد من أعمال الفاسي الفهري، (١٩٨٦)، و(١٩٨٧)، و(١٩٩٧)، على الخصوص، القائمة أساساً على افتراض أن المعجم جزء لا يتجزأ من التركيب، وأن المعاني الأساسية في وصف المفردات يمكن تلمسها عبر التناوبات التركيبية، مثل تناوبات التعدي واللزوم والتعدي بالحرف، والتناوبات التصريفية-الاشتقاقية للوحدات المعجمية (كصيغ

«أفعل» و«فعل» و«افتعل» و«استفعل»، إلخ)، وإمكانات إلباسها لجذور بعينها، إلخ، إضافة إلى أعمال لاحقة أخرى للمؤلف (٢٠١٢ و ٢٠١٤ و ٢٠١٦). ويرتكز هذا العمل في نسقه العام على أعمال كين هيل Ken Hale ، وهيل وكيزر (2002) Hale & Keyser ، التي تهتم التركيب المعجمي L-syntax ، وأعمال هكنبوتيم (1985, 2005) Higginbotham الدلالية، وتمثُّله لدور الموضوع-الحدث E argument. ويرفد العمل جزئياً من «محرورية» كروبر الفضائية، ونمطيات المعجمة عند تالمي (٢٠٠٠)، وجهيات داوتي (١٩٧٩)، وتمثل المعجم التركيبي عند مرتنز (١٩٩٧، ٢٠٠١) وهارلي (٢٠١٤)، وأعمال كثيرة أخرى، مثل ليفين (1993) Levin، ورمشان (٢٠٠٨) Ramchand ، إلخ.

٣.١. مقولات وأنطولوجيا متجذرة: الحدث، الذات، الخاصية، المسار

نتطلق أولاً في بناء المعجم من التركيب التوليدي المحدد بعملية الإغصان branch عند الفاسي (٢٠١٤)، أو ما يسميه شومسكي (١٩٩٥) Merge، أي «ضم»، وهي قاعدة معهودة في الأعمال التوليدية. والقاعدة تنطبق في المعجم والتركيب على السواء، كما عند هيل وكيزر (٢٠٠٢)، والفاسي الفهري (١٩٩٧) والأعمال اللاحقة). ومن المفترض أن تنطبق هذه القاعدة في بناء المركبات المعجمية الأساسية الأربعة، ألا وهي م.س. (مركب اسمي)، وم.ف. (مركب فعلي)، وم.و. (مركب وصفي)، وم.ح. (مركب حرفي). ونفترض (بناء على تصور كين هيل للتركيب المعجمي L-syntax) أن هذه القاعدة تنطبق أيضاً في المعجم، بصفة مثيلة وموازية، بهدف بناء الوحدات المعجمية، على غرار المركبات في التركيب النحوي S-syntax، بنمط حوسبة واحد (طبقاً لفكرة «محرك واحد» single engine، يشغل في التركيب (أو النحو) والمعجم في نفس الوقت (انظر مرتنز، ن.م.). ونفترض أن بناء الكلمة يبدأ من الجذر root، وليس من الجذع stem، الذي يتألف من جذر وصيغة (أو وزن)، أو الكلمة الكاملة التي قد تضم الجذر والصيغة واللواصق. وتتألف اللواصق مع الجذر في التركيب لبناء الكلمة. وأما عن الدلالة، فمن المفروض أن هذه المقولات أو الأنماط التركيبية في أسفل الشجرة تؤول (أو تقترن) بصفة طبيعية أو اعتيادية

بمقولات أو أنماط ذات دلالة متميزة، بحيث يمكن أن نقول إن الفعل يدل عادة على حدث event، والاسم على ذات entity، والصفة على خاصية property، والحرف على مسار أو مكان path or location. ومن المفترض أن تقوم آليات التأويل بالقرن بين الضريين من المقولات، بناء على افتراض طرازية هذا الاقتران (انظر شومسكي ١٩٨٦، وهيل وكيزر ٢٠٠٢، وهري ٢٠١٤، إلخ).

ونفترض تأليفية الدلالة semantic composition، وهو مبدأ هندسي ينطلق من أسفل الشجرة إلى أعلاها، بالتدرج والتراكم، للوصول إلى تأويل جزئي مرحلي، أو تام، وللربط بين التناوبات المتوافرة. فحين ننظر في «رأى» و «ارتأى» و «تراءى»، مثلاً، لا نفترض أن كل صيغة من هذه الصيغ الفعلية تحلل وحدها، أو يمكن دراستها في استقلال تام عن الصيغ الأخرى، بل نرصد هذه التناوبات الاشتقاقية، ونربط بينها، ونستثمرها في التحليل. نرصد «سمع» و «استمع»، و «حس» و «أحس»، و «رَمَقَ»، و «حَدَّقَ»، إلخ، وكلها تناوبات متعاقبة، محكومة بمبدأ هندسي عام، ينطبق في المعجم والنحو، ألا وهو التأليفية. ننتقل في تحليلنا من المفهوم المجرد أو التصور concept، الذي يمثل له الجذر المجرد، «رأى» see مثلاً. وعندما نضيف إليه تخصيصات فرعية، تتوَلَّد المعاني الفرعية المخصَّصة للتصور. ثم إن الكلمات أو المفردات قد تنوب عن بعضها البعض (في حالات «الترادف»)، وقد لا تعبر صورة للكلمة عما تعبر عنه صورة أخرى. وقد يكون هناك إشمام أو إشراب للمعنى، فتقول (أرى إلى) وتقصد (أنظر إلى).

٢.٣. البنَى الشجرية الأساسية

لندكر بالثلاثية الجهية التي أوردناها في الفقرة الأولى من البحث، وأضفنا إليها صنفا رابعا يدل على خاصية-قدرة، أو مهارة. هذا المعنى يرد في الجملة اللازمة (٨٢). وهو يقترب من دلالة الصفات أو المركبات الحرفية في (٨٣) أو (٨٤):

(٨٢) الرجل يرى (ينظر، يبصر)؛ يسمع؛ يشم؛ يحس، إلخ

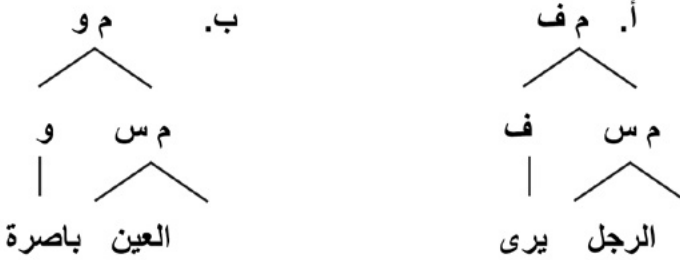
(٨٣) عينه باصرة (ناظرة)، أذنه سامعة (صاغية)

(٨٤) الرجل يتمتع بالرؤية (بالبصر، بالنظر)؛ يتمتع بالسمع، بالشم، بالحس،

إلخ.

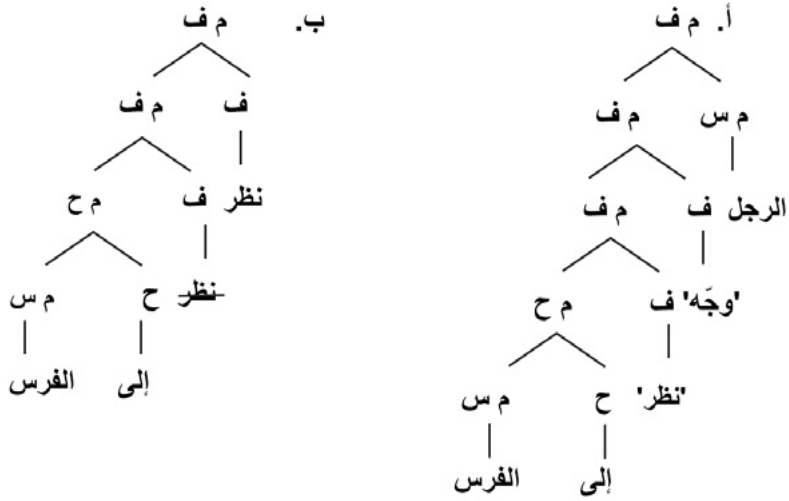
فالفعل والصفة يسقطان بنية موازية مماثلة، كما في (١٨٥) و(٨٥).

(٨٥)



ونفترض أن بنية «نظر» و«بصر» اللازمة في (٨٢) مطابقة لبنية «رأى» اللازمة في (١٨٥)، ولا تكاد تختلف عنها في شيء، كما أن بنية «ناظرة» في (٨٣) هي عينها بنية «باصرة» في (٨٥). والذي يسوغ هذا التحليل المبسط أن حدث «البصر» أو «السمع» هنا مجرد من كل الفضلات التي تميز عادة بين مختلف التناوبات التركيبية، خاصة الفعلية منها. وبذلك، تتساوى دلالة جذور هذه المواد، وإن اختلف لفظها، لأنها تعبر كلها عن الرؤية النووية في أبسط دلالة لها. وهذا مخالف للتحاليل المتداولة، الشبيهة بتحليل گروبر أعلاه، التي تقحم المركبات الحرفية وكأنها فضلات يتأسس عليها المعنى النووي complements، مع أنها ملحقات adjuncts. وأما التناوبات الأخرى، فهي خاصة بكل حدث (أو فعل)، بحيث تسوغ فضلات أو ملحقات أو مخصصات مختلفة للنظر أو السمع، إلخ. لننظر في بنية «نظر» المتعدية بحرف، مثل «إلى»، «في»، «نحو»، إلخ. ففي قراءتها «المنفذية»، أو «الإرادية»، هناك ما يوحي بأن

هذه الأفعال ليست بسيطة، وإنما هي مركبة من حدثين (أو فعلين)، حدث أعلى هو «فَعَلَ» do أو «وَجَّهَ» direct أو «أوقع» affect، إلخ، وحدث أسفل يُصْهَر فيه هو «النظر»، كما في البنية التوضيحية (٨٦أ). وهذه البنية تختزل بافتراض وجود الفعل نفسه أسفل الشجرة وأعلىها، بنسختين متماثلتين، وحذف النسخة السفلى، كما في (٨٦ب):



٣. ٤. الصفات والمواد الجديدة

من بين المواد التي لم تنل الاهتمام والوصف الكافي في القواميس 'الصفات'، وكيفيات تلازم صيغها وتراكيبها ودلالاتها. وهذا الحكم ينطبق في واقع الأمر على المشتقات الأخرى. إن البحث في أشكال الصفات الصرفية المختلفة يُبين عن اختلاف بناها، والأدوار المرتبطة بها، وضرورة التفريق بينها بصفة منتظمة نسقية. خذ لك، مثلاً، صفات مثل: (أ) بصير، باصر، مُبْصِر، متبصر، ومستبصر، إلخ، أو (ب) نظير، وناظر، ومُنَاطِر، ومُتَاطِر، ومنظور، أو (ج) شاهد، وشهيد، ومشهود، ومشاهد، إلخ.

إن 'البصير' الذي له قدرة على البصر، بخلاف الضيرير. والبصير بالشيء: العالم به. والبصير الفاقد للبصر أو الأعمى (أي نقيض ما هو معناه الأصلي). والبصير

عندهم: المُبْصِر، أي أن الصفتين قد تتساويان في المجرد والمزيد، على غرار ما يحدث مع أفعال مثل 'حَسَّ' و'أَحَسَّ'، أو غيرها من المواد التي ادعى بعض اللغويين أنها بمعنى واحد. وعن ابن سيده: «أراه مُحَاً بَاصِراً»، أي نظراً بتحديق شديد. و«لقي منه مُحَاً بَاصِراً»، أي أَمراً واضحاً. فهذه المعاني جميعها تكون على الوضوح والإضاءة. وعند ابن سيده: وَتَخْرُجُ بَاصِراً من قولهم رجل تَامِرٌ وَلاِبِنٌ، أي ذو لبن وتمر، فمعنى باصر ذو بَصَرَ. ففي هذا التخريج إذن الباصر ذو بصر، أي ما يدل على خاصية أو حالة، هي «الوضوح». والبصير تكون لوصف حالة الرؤية الملازمة الحسية، أو للحالة الذهنية. وتكون بمعنى العليم (أو العالم). وما يفصل بين «بصير» و«باصر» أن الصفة الأخيرة طارئة، أو متغيرة، كما هو الحال مع «تامر» و«لابن»، أو إنها تتميز بالحدوث، كما يقول النحاة القدامى، أو لِيَقْتُلَ باصطلاح حديث إنها «طَوْرِيَّة» stage level، بينما «بصير» تتميز بالثبوت، فيما ورد عند النحاة أيضاً، أو هي «فردية» individual level باصطلاح حديث. فبالعودة إلى الفروق المحللة أعلاه، نجد أن بنية «باصر» لازمة تقترب من بنية «تراءى» في (٨٣) أعلاه. وقد تفيد أيضاً خاصية ملازمة، أو قدرة، أو مهارة. وهي لازمة، ولذلك كانت بنيتها عموماً هي (٨٥). وأما «بصير»، فتكون أيضاً متعدية بحرف الباء.

وأما «مُبْصِر»، فهو الذي يوقع البصرَ على الشيء، فتكون الصفة للمنفذ. أو هو العضو (أي «العين»)، الذي يقوم بهذا الدور. وقد يكون المضيء أو الواضح، فيصبح مثل «باصِر». ومخرج هذا أن «المبصر» يكون متعدياً، فيفيد ما تفيده «أبصر» المتعدية، على أساس أنه يلعب الدور الخارجي فيها، أو دور «المنفذ». وقد يكون لازماً، فَيُخْرِجُ على الصيرورة، حيث يستوي مع «باصر»، أي صار ذا بصر، بعد أن لم يكن كذلك، أي «باصر» المشتق من «بَصَرَ الرجل»: صار ذا بصر. فهذا التناوب قريب من تناوب «نبت الحقل» فهو «نابت»، و«أُنبت الحقل» فهو «مُنْبِت». فالأول ليس تحولاً لحالة بالضرورة، والتحول ضروري في الثاني. والفرق بين «باصر» و«مبصر» أن الصفة الأولى قد تصف القدرة، أو خاصية ملازمة، نظير «عارف» و«عالم». ولا تكون «مبصر» حالة بهذه المواصفات فيما نعلم، بل هي أساساً دور في حدث مركب،

قد يكون متعدياً، أو لازماً مركباً (انظر الفاسي الفهري ١٩٩٧).

وأما «مُبَصَّرٌ»، فهو اسم الفاعل من «تَبَصَّرَ»، مطاوع «بَصَّرَ» المتعدي الجعلي. وقد تكون التاء فيه انعكاسية أو اتخاذية أو مطاوعة. وفي اللسان: بَصَّرَهُ الْأَمْرَ تَبْصِيرًا وَتَبْصَرَةً: فَهَمَّهُ إِيَّاهُ. وَالتَّبَصُّرُ: التَّأَمُّلُ وَالتَّعَرُّفُ. وَتَبَصَّرَ فِي رَأْيِهِ وَاسْتَبَصَّرَ: تَبَيَّنَ مَا يَأْتِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. فَكَأَنَّ الْبَصْرَ هُنَا مُحْصُورٌ فِيْمَا هُوَ ذَهْنِي-مَعْرَفِي، وَغَيْرِ حِسِّي. إِلَّا أَنَّا نَجِدُ فِي الْلسَانِ كَذَلِكَ: تَبْصَرَةٌ: نَظْرٌ إِلَيْهِ هَلْ يُبْصِرُهُ. وَفِي م ل ع م: تَبَصَّرَ الْكِتَابَ وَتَبَصَّرَ فِيهِ: اسْتَقْصَى النَّظْرَ فِيهِ. فَكَأَنَّهُ تَكَثَّرَ فِي الْإِبْصَارِ.

والمستبصرُ من «استبصر في أمره ودينه» إذا كان ذا بصيرة. وفي التنزيل: «وكانوا مستبصرين»: أي أتوا ما أتوه وهم قد تبين لهم أن عاقبته عذابهم. وفي م ل ع م: «استبصر الشخصُ»: أبصر، ونظر بعينه فرأى. و«استبصر الشيء»: تأمله، وتمكّن من النظر إليه. ومنه «وقف يستبصر المنظر الجميل». و«استبصر الأمر»: استبانته، واستجلاه. ومنه: «استبصر حقيقة موقف الحزب من المعارضين». وفي حديث أم سلمة: أليس الطريق يجمع التاجرَ وابنَ السبيلِ والمُسْتَبْصِرَ والمَجْبُورَ، أي المُسْتَبِينِ للشيء. فكأن أبصر واستبصر عندهم بمعنى واحد، وكان مستبصر ومبصر بمعنى واحد. ولكن «استبصر» طلبية، أو هي بحث عن التوصل إلى الإبصار، وليست «أبصر» بهذه المعاني. فالمستبصر الذي يسعى إلى أن يبصر ويستبين، سواء أبصر أم لم يبصر، وليس المبصر كذلك، لأن بصره حاصل. فلا بد إذن من مجهود لساني تحليلي كبير لتبين معاني الصيغ بوضوح، ولتكون دقيقة، وغير متداخلة. فالأوصاف المتوفرة في القواميس كثيراً ما تحالف المبادئ التي يقوم عليها المعجم الذهني المحوسب، التي تقضي بوجود مواد معجمية منتظمة، إذا وضعنا جانباً ما يشذ (استثناء) من مواد.

٣. ٥. التنوع اللهجي: (شاف) و(را) نموذجين

الأصل في معنى شاف في الفصيحة الجلاء والبروز والظهور. ففي اللسان: شافَ الشيءَ شَوْفًا: جلاه. والشَّوْفُ: الجُلُوفُ. والمُشَوَّفُ: المُجْلُوفُ. والمُشَوَّفَةُ مِنَ النِّسَاءِ: التي

تُظهِر نَفْسَهَا ليراها الناسُ. ومن معاني المادة التطلع والإشراف والعلو. وتَشَوَّفَ إلى الشيء: تَطَلَّعَ إليه. وتَشَوَّفَ الشيءُ وأشَافَ: ارتفع. وأشَافَ على الشيء: أشرفَ عليه. ورأيت نساءً يَتَشَوَّفْنَ من السُّطُوحِ، أي يَنْظُرْنَ بتطاوُلٍ. وتشَوَّفَت المرأةُ: تزيَّنت. وواضح من هذه المعاني أن «الشوف» بمعنى النظر لم يأت إلا عرضاً أو توسعاً، بخلاف ما يحصل في الدوارج، حيث أن «الشوف» هو النظر والرؤية في أصل المادة، أو هو المفردة الأساسية للدلالة على مفهوم «الرؤية». وللتذكير، فإن كلا من الفعلين الأساسيين «رأى» و«نظر» يعبر عنهما بالجزر «ش و ف» في الداريجة المغربية (بل في جلّ الدوارج العربية). إلا أن التناوبات الأساسية في المعنى والتركيب تتم إما عبر تعديّ الفعل مباشرة (فتكون مثل «رأى»)، أو عبر تعديده بالحرف (فتكون مثل «نظر»)، كما في البنى (٤٩) أعلاه، المعادة هنا في (٨٧):

(٨٧) أ. شاف الرجل الولد. «رأى الرجل الولد».

ب. شاف الرجل فالولد. «نظر الرجل إلى الولد».

لقد بينّا أن حرف «الفاء» هنا يكون للاتصال والتماس، مقابلاً للباء في الفصيحة، فيكون معنى (٨٧ب) أقرب إلى «بصر بـ» منه إلى «نظر إلى». فالفاء هنا ليست هدفية، بل هي للتماس، كما شرحنا أعلاه. وللفعل «شاف» استعمال لازم محض، بمعنى القدرة على الرؤية أو البصر، كما في (٨٨):

(٨٨) الرجل تيشوف مزيان. «الرجل يرى / يُبصر جيداً»

ومن التنوعات المتعلقة بالفضلات أن الفعل ينتقي جملة مصدرية، مثل «رأى» أن، كما في المثال التالي:

(٨٩) أنا تشوف بللي ننا غالط. «أنا أرى أنك مخطئ».

ومن التنوع في المفعولات ما يؤدي معنى «الحلم»، كما في المثال التالي:

(٩٠) شفت منامة قبيحة. «رأيت حلماً قبيحاً».

ومن التنوع أيضا ما يؤدي معان ذهنية- معرفية:

(٩١) أ. غادي نشوف. «سأرى».

ب. غادي نشوف شي حل. «سأنظر في/ أبحث عن حل».

ومن تنوعات حروف الفضلات دخول «اللام». ونجدها تدخل لتسويغ وجود
«مستفيد» beneficiary:

(٩٢) شوف لي الدار. «انظر إلى الدار لفائدتي (أي لتعطيني رأيك فيها)».

وتدخل «اللام» كذلك للدلالة على ما يقوم به العراف أو المستبصر، وهو
«الشواف» أو «الشوافة» بصيغة المبالغة، كما في الجملة التالية:

(٩٣) تشوف لك شنو ماجي. «ستنظر لك (تتكهن لك) فيما سيأتي».

ويتعدى «شاف» إلى مفعولين، على غرار «رأى»، كما في التركيب التالي:

(٩٤) تيشوف راسو رئيس. «يرى نفسه رئيسا».

ويتعدى كذلك إلى مفعول وفضلة حملية، كما يتبين في التركيب التالي:

(٩٥) تنشوفك بسلت. «أراك أثقلت».

ومن خصائص «شاف» أنها تبنى للجعلية بالتضعيف، كما في البنية التالية، على
غرار «أرى»:

(٩٦) شوفو العذاب. «أراه العذاب».

ومن التناوبات التصريفية وجود المفاعلة والمعكوسية بزيادة التاء reciprocity ،
كما في المثال التالي:

(٩٧) تشاؤفو البارح. «تراءوا البارحة».

ويُشتق المطاوع أو المبني للمجهول من غير المزيد بزيادة التاء كذلك، كما فيما يلي:

(٩٨) تيششاف الجامع من بعيد. «يرى المسجد من بعيد».

وهناك المصدر «شوف» و«شوفان» الذي يستعمل عادة للدلالة على حدث

الرؤية، والوحدة منه «شوفة»، واسم الفاعل «شأيف»، ولا تستعمل المواد الأخرى في هذه المشتقات. ويستعمل «البصر» و«النظر» للدلالة على الحاسة، عوض «الشوف». وهناك تعابير أو مسكوكات كثيرة، منها:

(٩٩) شوف من حالي. «ارفق بي».

(١٠٠) كلسوا شوف في نشوف فيك. «جلسوا الواحد ينظر إلى الآخر (يتراقبون)».

وفي النوعة الدارجة الإماراتية، تستخدم «شاف» لازمة ومتعدية ومتعدية بالحرف، بمعاني مماثلة لما ذكر عن الدارجة المغربية. فاللازم يكون بمعنى القدرة على البصر، كما في المثال التالي:

(١٠١) تشوف في الظلام؟ «هل ترى في الظلام؟»

والتعدي المباشر كما في المثال التالي:

(١٠٢) شفت المنظر «رأيت المنظر»

والتعدي عبر المركب الحرفي كما يلي:

(١٠٣) شو تشوف فيه؟ «في ماذا تنظر؟»

٣. ٦. الجعلية والانعكاس وتناوبات الصيغ استكشافا للمواد المعجمية

بينما كيف أن البحث في مختلف التناوبات الصرفية وتراكيبها يساعد في استكشاف معانيها، بحسب تأليفيتها في الشجرة التركيبية. فبناء «أفعل» من الرؤية والسمع والشم في «أرى»، و«أسمع»، و«أذاق»، و«أشم»، إلخ، قد ينتج عنه معنى الجعلية، والتعدية إلى مفعول واحد، أو إلى اثنين، أو معنى المطاوعة، أو الصيرورة، إلخ. وقس على هذا بناء «استفعل»، أو «افتعل»، أو «تفعل»، أو «تفاعل»، إلخ. تجد في القواميس مثلا: «استرأى»، و«استنظر»، و«استبصر»، و«استسمع»، و«استشم»، و«استطعم»، و«استنصت»، ولا تجد «استصغى»، فيما يبدو أول الأمر. وقد يكون هذا الغياب ناتجا أو غير ناتج عن عمل المدونين المحدود، أو راجعا لأسباب تتعلق بعدم سماح النظام المعجمي ببناء مثل هذه الصيغة من الجذر «صغو». فليس الغياب اعتباطا أو صدفة

بالضرورة. إذ ليست كل الجذور قابلة لأن تبني منها تراكيب و-أو معاني الجعلية أو التكرير، أو المطاوعة، أو الاتخاذ، أو الطلب، إلخ، لأسباب غير عَرَضِيَّة. وهذا يعني أن البحث في الصيغ استكشافي ليس بالنسبة لمعانيها فقط، بل بالنسبة لمعاني الجذور التي يمكن أن تلبسها، وهو مهم في الوصف المعجمي-القاموسي. وحين ندقق، مثلاً، في «السمع» وتناوباته الصرفية والتركيبية والدلالية والمفرداتية، يتبين أن «استصغى» موجودة، في مقابل «أصغى»، قياساً على «أنصت» و«استنصت»، أو على «أسمع» و«استسمع»، أو غيرها من المفردات الإدراكية، مثل «استطعم» و«أطعم»، إلخ. فحين تبحث في غوغل، تجد عدة استعمالات لكلمة «استصغى»، معظمها تفيد الاستماع وقبول ما يُسمع، أو معاني ذهنية مثل الاستمالة أو الاستئناس، إلخ:

(١٠٤) «فإذا قرأ الإمام ورتل اجتذب المسامع واستصغى الأفتدة».

(١٠٥) «فإنها تكلم بعد أن بلغه ما جاءت به الرسل، واستصغى بذلك واستأنس

به، ...»

(١٠٦) «إن الرشيد لما قتل جعفرأ، على ما تقدم في ترجمته، قبض على أبيه يحيى وأخيه الفضل، وكانا بالرقعة، فسجنهما بها، واستصغى أموال البرامكة». مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي.

ونجد في استدراقات الشرتوني على المعاجم في أقرب الموارد (ج. ٣، ص. ٢٥٧):
استصغى إليه الأسماع استصغاءً: استمالها. إلا أن هذا المعنى ثان (أو مجازي)، ولا يتيح الربط بالسمع، أو التقاط الصوت، والأدوار التي تتحدد حول حدث السمع (أو الإصغاء)، أو جذره. فحتى حين نجد إثباتاً للمادة، لا نجد تحليلاً للعلاقة بين معنى «أفعل» ومعنى «استفعل». فاستفعل تمزج في معناها بين معنى الهمزة المضافة في «أفعل»، التي قد تفيد الجعل أو المطاوعة أو الصيرورة، مثلاً، ومعنى التاء، التي قد تفيد الانعكاس reflexivity أو الاتخاذ (أو الاستفادة)، أو الطلب، إلخ. وبناء عليه، وأخذاً بمبدأ التأليفية، يجدر البحث عن عناصر المعنى في هذه المؤتلفات. ويكون معنى «استصغى إليه الأسماع» هو أن الأسماع تقوم بالإصغاء لفائدته، وهو مُجَدِّثٌ أو جاعل لهذا الوضع، ومستفيد منه في نفس الوقت، في ضرب من انعكاس الاستفادة beneficiary reflexive، الذي يخرجه النحاة التقليديون على الاتخاذ.

وتؤول «استصغى» هنا على أنها جعلية استفادة، يكون فاعلها جاعلا ومستفيدا (عبر التاء) في نفس الوقت.

فهذا التآليف الدلالي البنائى مثل تحليل أو تفكيك معنى «استسمع». وهذه الصيغة غير موجودة في القواميس عموما. وحين وُجِدَت في بعض النصوص والشروح، سووا بين معناها ومعنى «سمع» أو «استمع»،^{٢٣} كما سووا بين معنى «استراى» و«راى». ^{٢٤} والأمر ليس كذلك عند التدقيق. لأن الجملتين:

(١٠٧) أ. سمعت الموسيقى. ب. استسمعتُ الموسيقى.

تعبيران عن أوضاع مختلفة. الأولى (أ) مجرد وصف لتجربة إدراكية سمعية، بينما الثانية (ب) تعبر عن تفاعل مع هذا الاستماع. فلعلها جعلية استفادة، أو صيرورة استفادة من السمع، يلعب فيها المتكلم دورين، وليس دورا واحدا، كما في «سمع». وهذا التخريج طبعي، فمعنى «استفعل» ليس هو معنى «فَعَلَ»، حتى يسوى ب «سمع»، ومعناها ليس هو معنى «افتعل»، حتى يكون «استمع». وليس معنى «استفعل» هو معنى «أفعل»، حتى يكون «أسمع». وليست «استفاق» و«أفاق» من نومه أو سكره بمعنى واحد، كما ورد في القواميس العربية، ولا «استيقظ» مثل «أيقظ». فكل صيغة بمعانيها، حتى وإن أراد بعض اللغويين تداخل معانيها في عدد من التخريجات، مما جعل المعجم يخرج عن هدفه، وهو توضيح الفروق بين الصور المفرداتية، قبل النظر في الاستعمال الذي يقع فيه إزالة الفروق.

٣. ٧. بين الإحساس والإدراك والتصوّر وتشابك الحواس

كانت هناك نقاشات قديمة منذ أرسطو والفلاسفة المسلمين مثل ابن سينا وابن رشد وإخوان الصفا وغيرهم بصدد تحديد عدد الحواس، هل هي خمس أم أكثر، وهل هناك حس سادس يتجاوز ما هو محسوس، أو حس بالعقل أو القلب، إلخ. ونجد الحواس تتعدد عند المحللين. فدي هين Dehaene (١٩٩٦)، مثلا، يتحدث

عن الحس العددي Number sense إلخ. ثم هل هذه الإحساسات فطرية، أم مكتسبة عبر التجربة، إلخ. والمهم هنا أن نُذكر أن موضوعنا لا يتعلق بمعجزة «أفعال الحواس»، كما نجد في عدد من الأبحاث. ليست الأفعال أفعالاً للحواس، وإنما هي أفعال للإدراك (الحسي أو غير الحسي كذلك)، بل للتصورات الحسية أو غير الحسية كذلك. فقد تكون المعاني حسية أو «حقيقية»، وقد تكون «مجازية» أو ذهنية أو شعورية. وليس الأمر متعلقاً بالأفعال فقط، فقد تكون صفاتٍ، أو أسماءً، أو حروفاً، أو ظروفاً، إلخ. ثم إننا لم نتبن فكرة الحاسة أو الحس باعتبار أن الإحساس مادي والإدراك بالأساس ذهني. وتحدثنا عن التصورات الإدراكية التي يمكن أن تكون مرتبطة باختلافات في اللغة والثقافة، كأن تكون اللغة معتمدة على تمييز ثنائي فقط، بين فعل يدل على إحساس «الرؤية» وفعل على الإدراكات الأخرى بدون تمييز، أو لغات يكون فيها إحساس «اللمس» أولاً قبل غيره من الإحساسات الأخرى.^{٢٥} ثم هناك إشكال «تشابك الحواس»، أو ما يسمى synesthesia في الأدبيات، والتي تقتضي إدراكاً يشمل أكثر من حاسة، أو مجموعة من الحواس مجتمعة. ويجدر توضيح طبيعة العلائق بين الإحساس sensation والإدراك perception والتصور concept، تماشياً مع كيردنفور (2019) Gärdenfors، بغية المساعدة في تحديد موقعة الإحساس والإدراك والتصور في سيرورات تعلم الأطفال، عبر تعلم أول إدراكي، يلتقط الثوابت الحسية لينقلها إلى مقولات وفضاءات تصورية، وتعلم ثانٍ يحدد فيه التصورات (أو المفاهيم) باعتبارها مناطق في الفضاءات. وتجدر الإشارة إلى أن هناك مستويين لتحليل التشابك يُفَرَّق بينهما عادة: (أ) الإدراكي و(ب) التصوري (المعرفي)، كما نجد عند ورد وسمنر (2003) Ward & Swinmer. فالإدراك مبكر وبسيط نسبياً فيما يخص معالجة المعلومة، مقارنة مع تنشيط ومعالجة المعلومة الدلالية التصورية. والتمييز بين التشابك العلوي والتشابك السفلي يقترن بسمات عالية وسمات سفلية لاستنتاج المنبه. وهناك عدة أشكال للتشابك تستدعي السيرورات الدلالية، بحثاً عن دلالة المنبه. لأن الإدراك والمعرفة التصورية مرتبطان عموماً بقوة.

لقد عولجت هذه التفاعلات أو التداخلات الحسية في الأدبيات العربية ضمن باب تراسل الحواس (أو تبادلها أو تزاوجها) ضمن الدراسات النقدية الأدبية أو البلاغية، وخاصة التصوير، أو الاستعارة، إلخ، بناء على شواهد من القرآن، أو الشعر، أو الرواية، تبين تناغماً تاماً «بين الحواس المساهمة في التصوير»، أو المزوجة بين حاستين (أو أكثر) في بعض التعبيرات التي يتطلب تأويلها «مجازاً» متولداً عن هذا التشابك الحسي. وهو، عند البعض، أحد أبرز الفنون التصويرية، تتعاقد فيه أكثر من حاسة واحدة لإخراج الفكرة في صورة موحدة، كما نجد في عدد من المواد من النص القرآني (زاده وأصفهاني ٢٠١٥). وتمثل لذلك الآية:

(١٠٨) «ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم، إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً». (سورة الإسراء: ٣٦)

فهذه الحواس كلها تشترك في الوصول إلى المعرفة والعلم. ونظير هذا الآية:

(١٠٩) «صَمَّ بَكْمٌ عَمِيٌّ فهم لا يرجعون». (سورة البقرة: ١٨)

فإنَّ ما هو نقيض السمع والنطق والبصر، أي غياب الحواس، لا يؤدي إلى تحقيق شيء. وقد يجلَّ السمع مكان البصر في الدفع إلى الهداية كما في قوله تعالى:

(١١٠) «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير». (سورة الملك: ١٠)

فتراسل الحواس، أو تشابكها، يأتي أولاً من كون معاني مادة الحس ترتبط أصلاً بالعلم والمعرفة والاكتشاف. وهذا ما يجعله يُتمثل على أنه «وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحواس الأخرى، فتعطى المجموعات ألوئاً، وتصير المشمومات أنغاماً، وتصبح المرثيات عاطرة»^{٢٦}. ولذلك كان الصوت دافئاً، أو حلواً، أو ثقيلاً، تزاوجاً بين الصوت والذوق، أو بين الصوت واللمس. ويشير البغدادي في باب هذا التداخل إلى قولهم «صوت طويل وقصير وأصله في السطوح المبصرة... وصوت طيب ولذيذ وبشع وكرهه وأصله بحاسة الذوق... وصوت

خشن ورخيم... وأصل هذا كله بحاسة اللمس. ويُقال كلام حلوٌ وعذبٌ ونغمة كذلك^{٢٧}. وعند الأصفهاني: «عيون ناطقة»، والنطق من وظيفة اللسان، كما في قول الشاعر:

إذا غفلوا عنا نطقنا بأعينٍ مراضٍ وإن خفنا نظرنا إلى أرضٍ
وغالبًا ما يأتي التداخل عبر المركبات الوصفية مثل قولهم: صوتٌ عذب، ورنينٌ
أزرق، ونقدٌ لاذع، وجوابٌ مُرّ.^{٢٨}

ونجد مواد مستقاة من روايات مثل: «تتكلم عينها بكلام»، و«عينك تنطقان بما تعجز عنه لسانك»، فتستعمل العين عوض اللسان. وتستعمل «رأى» عوض «سمع»: «رأينا بعض الشاميين يزعم أن التين إعصار فيه نار»، أو استعمال السمع عوض الرؤية: «كدنا نسمع لنظرته صوتًا». ونجد النظرة اللامسة بدل اليد في: «تلمسني نظراتها الصغيرة». ونجد «المسح بالنظر» عوض اللمس: «تنظر إليه من طائرة هيلكوبتر تمسحه بنظراتك»، وكذلك مدّ النظر أو البصر: «مدّ نظره لينظر للجهة الأخرى». والصوت الذي له مذاق: «ولا يمكن استعادة حتى مذاق صوتهم».^{٢٩} والكلام الذي يُشمّ، عوض أن يسمع: «يُشم من كلامك أنك تريد انتقاد المؤسسة». واللمس، عوض الرؤية: «ألمس العتمة»^{٣٠}.

والمهم أن يدرس تحليل هذه الأنماط المتشابكة ضمن مقاربة لسانية معرفية، تتأسس على دور البنى والتمثلات الدلالية في استحداث هذا التشابك، وفي ربط التصوّرات بالإدراكات والتجارب الحسية، وفي شرح مستويات التدرج في التعلم. ويستتبع وجود التجارب التي وقفنا على عدد من أنماطها أن التشابك يحصل عند الإنسان العادي، كما يحصل عند مُتشابك الإحساس. وهو ناتج عن التمثلات الذهنية الداخلية للأشياء والحالات المعرفية، والأنماط العالية لها، والمقولات الدلالية، والأحداث أو المحددات الأخرى، بما فيها التصورات والأفكار والمشاعر والتخييل.^{٣١}

خلاصة وخاتمة

يهدف المعجم العربي البنائي التنوعي الجديد، الذي قدمنا بعض معالمه في هذا المقال، إلى تطوير معجم عربي عصري ذهني عميق، يضم بالأساس المعجم المعياري الجامع، ويطعم (تدريجياً) بنماذج من التنوعات المعجمية اللهجية العربية، التي يتم تفصيلها جزئياً أو كلياً. ويتأسس الشق الأول من العمل على دراسات معجمية تواكب مناهج ونتائج العلوم اللسانية والمعرفية المتطورة. ويطوّر المشروع، بالموازاة مع بناء المعجم الذهني العربي، قواميس ورقية وإلكترونية. وقد قدمنا هنا نماذج وأوجهاً أولى لهذه الثنائية العميقة-السطحية، التي يقوم عليها المعجم والقاموس.

فالمشروع ملح وضروري يتوخى منه من بين أمور أخرى، ما يلي:

(أ) وصف المعرفة المعجمية للغة العربية بصفة شاملة، تشمل ما يسمى الفصيح في اللغة المعيارية الجامعة، وما يمكن أن يُفصَح في اللهجات العربية، عباراتٍ وتراكيبٍ ومعاني، توسيعاً للقاموس العربي، وتنوعاً لمواده.

(ب) إنجاز العمل بمنهج علمي لساني معرفي جديد، وبتمثلات وتقنيات جديدة، تميز بين المعجم الذهني لمتكلم العربية (بمعناها الواسع)، وبين القواميس الورقية أو الإلكترونية التي تسعى إلى وصف هذه المعرفة الذهنية.

(ج) إن الهدف، تخطيطياً، هو توسيع المعجم العربي، وإعادة تدوين الفصيح من جذور المواد المعجمية في الدوارج الوطنية، وكذلك تفصيل عدد من عباراتها وتراكيبها ومعانيها.

(د) تعلماً وتعليمياً، يهدف العمل إلى جعل اللغة العربية أكثر ألفة وجاذبية ويسراً للمتعلم، وأكثر ذكاءً بالنسبة للمعلم والمتعلم على السواء، مما يساعد على تحسين سرعة تعلم المعجم، مجارةً للعمل الذي يقوم به المختصون لفائدة لغات الحضارات الكبرى.

(هـ) إن هذا العمل يقدم إطاراً مرجعياً معرفياً وتوليدياً مفهوماً عند أصحاب الاختصاص، يجمع بين اللغوي والمعرفي والنفسي والذهني والحاسوبي، ويستعمل

أدوات تمثيلية وسيرورات معهودة عندهم مثل الأشجار والسمات والأصناف والتناوبات والوسومات annotations، إلخ. ويتصل العمل مباشرة بأهل الاختصاص في العلوم العصبية والنفسية والحاسوبية والتربوية، إلخ، ويفك العزلة عن الدراسات المعجمية العربية التي غالباً ما تهمل إدراج نفسها ضمن إطار مرجعي ونظري ومنهجي وتطبيقي معياري واضح ومفهوم عند المختصين في المجالات ذات الصلة.

وقد قمنا في البحث بالتنفيذ العملي لهذا البرنامج بمعالجة أوضاع الإدراك وأصنافها وأحداثها وأدوارها، إلخ. ومهدت هذه التوصيفات المعجمية لإقامة توصيفات قاموسية جديدة، مما يؤكد الترابط الوثيق بين المعجمة المؤسسة نظرياً ومنهجياً والقومسة العملية والتعليمية. واستدللنا في المقال على ورود عدد من المعاني الأساسية، الحسية والذهنية، الإدراكية والتصورية، والمعاني المشتقة منها، بالتفاعل مع السيرورات الاشتقاقية الصرفية أو التركيبية، وتلازماً معاً. ومن أهم المعاني الضرورية لوصف تناوبات المواد المعجمية الإدراكية، وتقييم الكفاية الوصفية للقواميس المتوفرة، التي تطرقنا إليها: (أ) القدرة أو الاستطاعة الحسية (ب) التجربة (غير الإرادية) الواصفة للمدرك الحسي. (ج) النشاط الإرادي للمدرك الحسي، (د) الحالة الواصفة للمدرك الحسي، (هـ) دلالة الآلة. (و) العمل أو النشاط للمدرك الذهني، (ز) دلالة كيفية الإدراك، (ح) الدلالة التدللية. فهذه المعاني، على الأقل، يمكن أن تعد المنطلق إلى تشكيل لائحة المعاني الأشمل التي ينبغي البحث عنها عند وصف المواد المعجمية قاموسياً، توخياً للكفاية الوصفية. وهناك معانٍ أخرى، متولدة عن الزيادة في المبنى، عبر الصيغ المزیدة للجذور، محصورة بعدد الصيغ، وأهم معانيها، وضمنها الجعلية، والمطاوعة، والانعكاس، والمعكوسية، والتفاعل، إلخ. وهناك معانٍ متولدة عن ضروب المشتقات مثل اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر والتفضيل، إلخ. وكلها تتيح معاني متميزة. والمطلوب البحث فيها وإحصاء معانيها الرئيسية. ٣٢

ملحق: نماذج بديلة من أجل قومسة متعددة الأبعاد

١. مفردات عينية

رأى

إدراك حسي بالعين، أو ذهني معرفي، أو تصور، يقتضي عادة الاتصال بالشيء المدرك، أو هو مهارة إدراكية.

١. رَأَى، يَرَى (مص رؤية. فارئى. مف مرئى. ف ل. عد). ١, ١. رَأَى (ف ل): تحلى بالقدرة على الإبصار. «الْقَطَطُ تَرَى فِي الظَّلَامِ»: «تستطيع أن تبصر». ١, ٢. رَأَى (ف عد): وقع بصره على الشيء، التقط صورته. «رَأَى الرَّجُلُ الهِلَالَ»: «استعمل حاسة البصر لتكوين صورة عن الهلال».

٢. رَأَى، يَرَى (مص رأياً. ف عد) «إدراك ذهني». «أرى أَنَّكَ تُبَالِغُ»: «وجهة نظري في الأمر، ظني».

٣. رَأَى، يَرَى (مص رؤياً. ف عد) حَلَمَ. «رَأَى فِي المَنَامِ طِفْلاً لم يَعْهَدْ مِثْلَهُ».

٤. ارْتَأَى، يَرْتَأَى (فا مُرْتَأَى. مف مُرْتَأَى. ف عد عكس) «ارْتَأَى الأمرَ»: «اختره، قرره». «ارْتَأَى الرَّئِيسُ التَّأجِيلَ».

٥. أَرَى، يُرَى (مص إراءة. ف عد جع) «فعل جَعَلِيَّ حسي وذهني». «أراه اللوْحَةَ/ الصَّوَابَ»: «جَعَلَهُ يراه. دَلَّه عَلَيْهِ».

٦. تَرَأَى، يَتَرَأَى (مص تَرَأَى. فا مُتَرَأَى. مف مُتَرَأَى. ف ل. عد): ١, ٦. «فِعْلٌ مُطَاوِعٌ يَصِفُ حَالَةَ ظُهُورٍ أو بُرُوزٍ». «يَتَرَأَى لِي طَيْفُكُ»: «يظهر لي». نوعية إماراتية: «يَتَرَأَى لِي»: «يظهر لي». ٢, ٦. «فِعْلٌ تَفَاعُلِيٌّ معكوس». «تَرَأَى»: «رَأَى بعضهم بعضاً». «تَرَأَيْنَا الهِلَالَ»: «تشاركنا في رؤيته». ٣, ٦. «يَتَرَأَى بِرَأْيِ فلان»: «يَرَى رَأْيَهُ، يَمِيلُ إِلَيْهِ».

٧. اسْتَرَأَى، يَسْتَرَأَى (فا مُسْتَرَأَى. مف مُسْتَرَأَى. ف عد). ١, ٧. «فِعْلٌ جَعَلِيٌّ انْعِكَاسِيٌّ (جعل استفادة، طلبى)». «اسْتَرَأَى الشَّيْءَ»: «طَلَبَ رُؤْيِيته، بَحَثَ عن رُؤْيِيته لفائدته». ٢, ٧. «اسْتَرَأَى أباه»: «سَأَلَهُ رَأْيَهُ، اسْتَشَارَهُ».

٨. رَأَى (مص. س. ج آراء): «حَدَّثَ أَوْ حَالَةً». «ما ارتآه الإنسانُ واعتَقَدَه». «عارِضَ الرَّأْيِ العَامِّ إِخْطَاءً».

٩. رُؤْيَةٌ (مص): «نَظَرٌ، مُشَاهَدَةٌ». «أُعْلِنْتُ رُؤْيَةَ هِلَالِ شَهْرِ رَمَضانَ».

١٠. رُؤْيَا (مص. س. ج رُؤَى): «ما يُرَى فِي المَنَامِ أَوْ إِحْمالَ».

١١. مَرَأَى (مك): «مَنْظَرٌ، أَوْ مَكَانَ النَّظَرِ». «على مَرَأَى مِنَ النَّزْلِ»: «يُمْكِنُ مُشَاهَدَتُهُ مِنَ النَّزْلِ».

١٢. مَرَاةٌ (س. ج مراءٍ، مَرايا): «سَطْحٌ صَقِيلٌ يَعْكِسُ الضَّوْءَ، وَيَنْظُرُ فِيهَا النَّاسُ لِرُؤْيَةِ أَنْفُسِهِمْ».

١٣. الرُّوَاءُ (س): «حُسْنُ المَنْظَرِ». «امرأةٌ لها رُوءاءٌ»: «حَسَنَةُ المَرَأَى».

١٤. تراكيب مسكوكة: «رَأَيْتُهُ رَأَى العَيْنِ»: «جعلتَ الشَّيْءَ بَمَرَأَى مِنْكَ». «رَأَى النُّجُومَ ظُهْرًا»: «حَلَّ بِهِ مَكْرُوهٌ لَمْ يَعْهَدَهُ». «رَأَى مِنْهُ عَجَبًا»: «رَأَى شَيْئًا لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهُ». «أَلَمْ تَرَ إِلَى كَذَا»: «عِبارةٌ تَقالُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ». «لا يَرى أَبْعَدَ مِنْ أَنْفِهِ»: «قاصر الفهم». «بَمَرَأَى وَمَسْمَعٍ»: «يُمْكِنُ أَنْ يَرى أَوْ يَسْمَعُ». فِي المَثَلِ: «تُخْبِرُ عَن مَجْهولِهِ مَرَأَتُهُ»: «ظاهِرُهُ يَدُلُّ عَلى باطِنِهِ». «أَرى اللهُ بِفُلانٍ»: «أَرى اللهُ النَّاسَ مِنْهُ ما هُوَ شَرٌّ». «مَتى يا تُرى»: «مَتى يَحْضُلُ أَمْرٌ غيرُ مُنتَظَرٍ».

١٥. مُرادِفات: أَبْصَرَ، نَظَرَ، شَاهَدَ، عَايَنَ، شافَ^{٣٣}.

١٦. أَضداد: عَمِيَ، عَشَا، عَشِيَ، كَفَّ بَصْرُهُ.

ب ص ر

إدراك حسي بالعين، أو ذهني معرفي، أو تصور، يقتضي عادة الاتصال بالشيء المدرك، أو هو قدرة واستطاعة.

١. بَصْرٌ، يَبْصُرُ (مص بصراً. فإ باصر. ف ل). «بَصْرُ الرَّجُلِ»: «استطاع أن يَرى»، (صار يَرى). ١، ٢. «بَصْرَ بِهِ»: «اتصل به بصره، رآه». «بَصْرَ بِهِ قادمًا مِنْ بَعِيدٍ». ١، ٣. «بَصْرَ بِهِ»: «عَلِمَ بِهِ». «وَقَدْ بَصَرَ العُلَماءُ هِذِهِ الحَقِيقَةَ».

٢. أَبْصَرَ، يُبْصِرُ (مص. إِبْصَارًا. فَا مُبْصِر. مَف مُبْصِر. ف. ل. عد). ١, ٢. «أَبْصَرَ الرَّجُلُ»: (صار بصيرًا ومُدْرِكًا بِحَاسَّةِ الْبَصَرِ). «كُنْتُ أَعْمَى وَالْآنَ أَبْصِرُ». ٢, ٢. أَبْصَرَ الشَّيْءَ: (بلغ رؤيته، رآه). «أَبْصَرَ الْبَدْرَ وَهُوَ مَا يَزَالُ فِي السَّمَاءِ».
٣. بَصَّرَ، يُبْصِرُ (مص. تَبْصِيرًا، فَا مُبْصِر. ف. ل. عد). ١, ٣. «بَصَّرَ الْجُرُوءُ»: (فتح بَصْرَهُ). ٢, ٣. «بَصَّرَهُ الْأَمْرُ»: (جَعَلَهُ يَرَاهُ، وَفَهَّمَهُ إِيَّاهُ). ٣, ٣. نوعه شامية: «بَصَّرَ لَهُ»: (أَمَعَنَ فِي الْبَصَرِ لِيَرَى مُسْتَقْبَلَهُ).
٤. باصَرَ، يُبَاصِرُ (مص. مُبَاصِرَةً. فَا مُبَاصِر. ف. ل. عد): «بَاصَرَ الشَّيْءَ»: (نظر إليه عن بُعد).
٥. اسْتَبْصَرَ، يَسْتَبْصِرُ (مص. اسْتِبْصَارًا. فَا مُسْتَبْصِر. مَف مُسْتَبْصِر. ف. ل. عد). «اسْتَبْصَرَ الْأَمْرَ»: (اسْتَجْلَاهُ. تَأَمَّلَهُ). «اسْتَبْصَرَ فِي الْأَمْرِ»: (أَعْمَلَ بِصِيرَتِهِ فِيهِ).
٦. تَبَصَّرَ، يَتَبَصَّرُ (مص. تَبْصُرًا. فَا مُتَبَصِّر. ف. ل. عد). (نظر بدقة). «دَنَا مِنْهَا وَهُوَ يَتَبَصَّرُ». «تَبَصَّرَ فِي الشَّيْءِ»: (تَأَمَّلَ). «أَقَامَ لِحِظَةً يَتَبَصَّرُ فِي أَمْرِهِ». «تَبَصَّرَ الْأَمْرَ»: (تَأَمَّلَهُ وَتَدَبَّرَهُ). نوعه إماراتية: «تَبَصَّرَ لِفُلَانٍ»: (أَمَعَنَ النَّظَرَ لِحَدِثِهِ).
٧. تَبَاصَّرَ، يَتَبَاصَّرُ (مص. تَبَاصِرًا. فَا مُتَبَاصِر. ف. ل. عد). «تَبَاصَّرَ الْقَوْمُ»: صيغة معكوسة. «أَبْصَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا». «تَبَاصَّرُوا فِي الشَّيْءِ»: (اشتركوا فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ وَاسْتَجْلَاءَ الرَّأْيِ فِيهِ)^{٣٤}. «تَبَاصَّرَ الْغَرِيبَ»: (ادَّعَى أَنَّهُ عَلَى عِلْمٍ بِهِ).
٨. بَصَّرَ (مص. س. ج. أَبْصَار): (حاسة الرؤية).
٩. بَصَارَةٌ (مص): (الإدراك البصري أو الذهني، والقدرة على فهم الأشياء والتنبؤ بالنتائج). «كان له بَصَارَةٌ فِي التَّحَالِفَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ».
١٠. تَبْصِيرٌ (مص). (توضيح وإفهام). «علينا تبصير الرأي العام بما يجري». (تنبيه). «اضْطَرَّ إِلَى تَبْصِيرِ مَوْلَاهُ بِهَا تَجَرُّهُ عَلَيْهِ أَفْعَالَهُ مِنَ الْأَذْيَةِ وَسَوْءِ الْمَصِيرِ». نوعه شامية: (تَنْجِيمٌ، وَتَنْبُؤٌ بِالْمُسْتَقْبَلِ). «كَانَتْ تَصْنَعُ الْقَهْوَةَ لِمَنْ تَنَوَّى التَّبْصِيرَ لَهُ».
١١. تَبَاصَّرَ (مص). (تفكر وتباحث). «اجتمع المجلس لأجل المشورة والتباصر». (ادعاء). «العربي يستهجن التشدد والتباصر بالغير».

١٢. باصِر (فا). (مدرك بالبصر الحسي). «فلان عينٌ باصِر». (مدرك بالبصر الحسي). «نظره قاصِرٌ وفكره غيرٌ باصِر».
١٣. بصير (ص). (قادر على الرؤية). «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» (الإنسان: ٢). أعمى (والأصل تَفَاوُلٌ بالشفاء والانتقال إلى الإبصار).
١٤. أَبْصَرَ (ص فض): (أقدِرُ على النظر، أو الفهم والإدراك). «أَنْتُمْ أَبْصَرُ فِي شَأْنِكُمْ».
١٥. بَصَّارَةٌ (س. ص): (نوعه شامية: مُنْجَمَةٌ تَقْرَأُ الْمُسْتَقْبَل). «نظرت البصَّارَةُ في فنجانه وهمست بكلمات غير مفهومة».
١٦. مُسْتَبْصِر (فا): (مُسْتَجَلٍ). (مُتَطَّلِعٌ إِلَى). «مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ» (حسان بن ثابت).
١٧. بَصِيرَةٌ (س. ج بصائر): (الحاسة الذهنية التي تُمَكِّنُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْفَهْمِ وَالتَّمَثُّلِ وَالْإِدْرَاقِ وَالْفِطْنَةِ).
١٨. تراكيب مسكوكة: أَتَيْتُهُ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا: أَتَيْتُهُ بِأَرْضٍ لَا يُرَى وَلَا يُسْمَعُ فِيهَا أَحَدًا. خَيْرُ الْعِشَاءِ بَوَاصِرُهُ: (مَا يُبْصَرُ قَبْلَ حُلُولِ اللَّيْلِ). تَحَتَّ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ: (فِي مَجَالٍ يُسْمَعُ فِيهِ وَيُرَى). بَيْنَ سَمْعِ النَّاسِ وَبَصَرِهِمْ: (جَهَارًا وَعَلَانِيَةً). ثَاقِبُ الْبَصَرِ: (ذُو قُدْرَةٍ عَلَى تَمَثُّلِ الْأَشْيَاءِ وَبَلُوغِ كُنْهَائِهَا). فِي لُحِّ الْبَصَرِ: (بِسْرَعَةٍ). عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةٌ: (لَا يَسْتَطِيعُ تَدَبُّرَ الْأُمُورِ بوضوح).
١٩. مرادفات: رأى، نظر، شاهد، عاين، شاف.
٢٠. أضداد: عَمِيَ، عَشَا، عَشِيَ، كَفَّ بَصْرُهُ.

ن ظ ر

إدراك حسي بالعين، أو ذهني معرفي، أو تصور، لا يقتضي ضرورة الاتصال بالشيء المدرك، أو هو قدرة ومهارة بصر.

١. نَظَرَ، يَنْظُرُ (مص نَظَرًا. فاناظر. مف منظور. فل، فح): ١، ١. «لازم».

«نَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا». ١, ٢. نَظَرَ إِلَى كَذَا. «حسي». «نَظَرَ إِلَيْهِ شَزْرًا»: (نظر إليه باحتقار). «نَظَرَ إِلَيْهِ مَلِيًّا». ١, ٣. نَظَرَ إِلَى كَذَا. «ذهني». «نَظَرَ إِلَى الْمَوْضُوعِ نَظْرَةً مُتَشَائِمَةً». ١, ٤. نظر في كذا. «ذهني». (تأمل، وفكر فيه وتدبر). «نَظَرَ فِي الْقَضِيَةِ». ١, ٥. نظر بكيفية. «نَظَرَ بِرَبِيَّةٍ. نَظَرَ خِلْسَةً». «نَظَرَ بِعَيْنٍ مُتَّخِوْفَةٍ». ١, ٦. نظر باتجاه. «نَظَرَ حَوْلَهُ. نَظَرَ مِنْ خِلَالِهِ».

٢. انْتَظَرَ، يَنْتَظِرُ (مص انْتَظَرَ). فَا مُنْتَظِرٍ. مَف مُنْتَظَرٍ. ف (عد): ١, ٢. اتَّأَنَّى وَتَمَهَّلَ). «انْتَظِرْنِي! لَا تَذْهَبْ». ٢, ٢. (ترقب وتوقع). «انْتَظَرَ خَيْرًا». «مَا كُنْتُ أَنْتَظِرُ مِنْكَ أَنْ تُحْطِمَ قَلْبِي».

٣. أَنْظَرَ، يُنْظِرُ (مص إِنْظَارًا). فَا مُنْظِرٍ. مَف مُنْظَرٍ. ف (عد. جمع): ١, ٣. «أَنْظَرَ الرَّجُلَ»: (مكّنه من النظر). ٢, ٣. «أَنْظَرَهُ»: (أخّره وأمهله). «قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ». (الأعراف: ١٤)

٤. نَظَرَ، يُنْظَرُ (مص تَنْظِيرٍ). فَا مُنْظَرٍ. مَف مُنْظَرٍ. ف (عد): ١, ٤. «نَظَرَ نَتَائِجَ بَحْثِهِ»: (وضعها في شكل نظرية). «نَظَرَ لِلْمَسْأَلَةِ». ٢, ٤. «نَظَرَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ»: (قابله به).

٥. نَظَرَ، يُنَظَرُ (مص مُنَظَرَةٌ). فَا مُنَظِرٍ. مَف مُنَظَرٍ. ف (عد): ١, ٥. «نَظَرَ إِلَى الشَّيْءِ مِنْ بَعِيدٍ». «كَانَ يُنَظِرُ الْأَعْمَالَ الْقَائِمَةَ لِتَعْمِيرِ الْقَنَاةِ». ٢, ٥. «نَاقَشَ وَجَادَلَ». «كَانَ يُنَظِرُ الْعُلَمَاءَ». ٣, ٥. «نَظَرَ فَلَانًا»: (صار مُسَاوِيًا وَمُشَابِهًا لَهُ). ٤, ٥. «دَارِي تَنَظِيرُ دَارِهِ»: (تُقَابِلُهَا). ٥, ٥. «قَارِبَ». «وَهُوَ مَا يُنَظَرُ ٥٪ مِنْ إِجْمَالِي النَّاتِجِ الْمَحَلِّي».

٦. اسْتَنْظَرَ، يَسْتَنْظِرُ (مص اسْتِنْظَارًا). فَا مُسْتَنْظِرٍ. مَف مُسْتَنْظَرٍ. ف (عد): ١, ٦. «اسْتَنْظَرَهُ»: (طلب النظر منه). ٢, ٦. «اسْتَنْظَرَ أَمْرًا»: (ترقبه). «اسْتَنْظَرَ الصَّيْفَ الَّذِي لَنْ يَرِجِعَا» (نزار قباني) ٢, ٦. «اسْتَنْظَرَهُ»: (طلب إمهاله). ٤, ٦. «اسْتَنْظَرَهُ عَلَى كَذَا»: (أقام ناظرًا عليه).

٧. نَظَرَ، يَنْظُرُ (مص نَظْرًا). فَا مُنْظَرٍ. مَف مُنْظَرٍ. ف (عد): ١, ٧. (تأمّله بعينه). ٢, ٧.

(توقّعه). ٣, ٧. (تأتى عليه).

٨. تَنَاطَرَ، يَتَنَاطَرُ (مص تَنَاطَرًا. فَا مُتَنَاطِرًا. ف ل): ١, ٨. «تَنَاطَرَ القَوْمُ»: (نظر بعضهم إلى بعض). ٢, ٨. «تَنَاطَرُوا فِي الأَمْرِ»: (تجادلوا وتباحثوا). (معكوس ناظرًا). ٣, ٨. «دَوَّرَهُم تَتَنَاطَرًا»: (تقابل).

٩. نَظَرَ (مص. س. ج أنظار): ١, ٩. بَصَرَ. «لَمْ تَلْفِتْ نَظَرَ أَحَدٍ». ٢, ٩. رَأَى. «مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ المَوْءَلَفِ». (في هذا نَظَرَ): (فيه مجالٌ للاختلاف في الرأي). (تحت النظر): (موضوع للمراجعة). «إِعَادَةُ النَظَرِ». (في نَظَرِي): (في رأيي). «بَقَطْعِ النَظَرِ عَنْ هَذَا الأَمْرِ»: (دون الالتفات إليه). «نَظَرًا إِلَى كَذَا»، أو «بِالنَظَرِ إِلَى كَذَا»: (استنادًا إليه واعتبارًا له). «مَا أَبْعَدَ نَظَرَهُ!»: (ما أقدره على إدراك أبعاد الأمور).

١٠. تَنْظِير (مص. س): ١, ١٠. (تقنية النظر داخل جسم الإنسان باستخدام منظار داخلي). (مصطلح طبي) ٢, ١٠. (صياغة قواعد لمجموعة من الأفكار قابلة للتطبيق). (البحث النظري من أجل الوصول إلى نظرية في مجال ما).

١١. نَظْرَةٌ (مر): ١, ١١. (الوحدة من النظر). ٢, ١١. (اللمحة). «نَظَرٌ إِلَيَّ نَظْرَةً مَرِيبَةً».

١٢. ناظر (فا. ج نُظَّار): ١, ١٢. (من ينظر في أحوال الآخرين ويتولّى إدارة شؤونهم)، كـ ناظر المدرسة. ٢, ١٢. (العَيْن، أو السواد الأصغر في إنسان العين).

١٣. مُنَاطِر (فا): ١, ١٣. (مجادل ومُحَاجّ). ٢, ١٣. (مِثْل).

١٤. مِنْظَار (آلة): (آلة بصرية تُستخدم لرؤية الأجسام الصغيرة أو البعيدة).

١٥. نَظُور (ص بغ): ١, ١٥. (شديد النظر). «عَرَاءٌ تَسْبِي نَظَرَ النَظُورِ» (العجاج) ٢, ١٥. (لا يُعْغِلُ النظر فيما أهّمّه). ٣, ١٥. (الجندي القائم بسلاحه على باب الثكنة أو غيره من أبواب دواوين الحكومة). ٣٥.

١٦. نَظِير (ص): (المِثْل والمساوي). «هَيْهَاتَ أَنْ تَأْتِيَ الدُّنْيَ بِنَظِيرِهِ» (الرصافي).

١٧. نَظَّار (ص بـغ): (شديد النظر).
١٨. نَظَّارَة (س. آلة). ١٨, ١. (عدستان تمكَّنان من النظر إلى الأشياء البعيدة، أو القرية). ١٨, ٢. (قوم ينظرون).
١٩. مَنظَّر (مك. ج. مَنَظِر): (مَشْهَد). (موقع يُنظر إليه من بُعد).
٢٠. مَنظَّرَة (مك): ٢٠, ١. (مكان من البيت يُعدُّ لاستقبال الزائرين). ٢٠, ٢. (القوم الذين ينظرون إلى الشيء). ٢٠, ٣. (نوع إماراتية: امرأة).
٢١. الناظِران (س): (عِرْقان على حَرَفِي الأنف).
٢٢. ناظِرَة (س. ج. نَوَاطِر): (العين، أو عُروُقُ في الرأس تتصلُّ بالعينين).
٢٣. نَظَّر (س): (مثيل).
٢٤. نَظَّرَة (س): (انتظار). «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ» (البقرة: ٢٨٠)
٢٥. تراكب مسكوكة: يُقال: «نظر الدهر إلى بني فلان»: (أهلكهم). «ينظر بملء عينه»: (واثق من نفسه).
٢٦. مرادفات: رَأَى، نَظَرَ، شاهَدَ، عَايَنَ، شافَ. ٢٧. أصداد: عَمِيَ، عَشا، عَشِيَ، كَفَّ بَصْرَهُ.

ل م ح

كيفية إدراك حسي بالعين، أو ذهني معرفي، أو تصور، يتم بالامتداد أو الخِفة أو الاختلاس أو الإشارة.

١. لَمَحَ، يَلْمَحُ (مص لَمَحًا. فالامح. ف ل. عد): ١, ١. «لَمَحَ البرقُ والنجم»: (لَمَحَ). ١, ٢. «لَمَحَ البصرُ إلى الشيء»: (امتدَّ إليه، اختلس النظر إليه). ١, ٣. «لَمَحَ الشيء»: (اختلس النظر إليه). ١, ٤. «لَمَحَ الشيء ببصره»: (صَوَّبَ بَصْرَهُ إِلَيْهِ).
٢. أَلْمَحَ، يَلْمِحُ (مص إلماحًا. فاملمح. مف ملّمح. ف ل. عد. جمع): «ألمحت المرأة من وجهها»: (أمكنَّت من أن يلمحَ وجْهها).
٣. التَمَحَ، يلتَمِحُ (مص. التماحًا. فاملتمح. مف ملتّمح. ف عد): «التمحه»:

أَبْصَرَهُ بِنَظَرٍ خَفِيفٍ).

٤. لَمَحَ، يُلَمِّحُ (مص). تَلَمَّيْحًا. فَا مُلَمِّحٌ. ف ل): «لَمَحَ إِلَى الْمَوْضِعِ»: (أَشَارَ إِلَيْهِ وَلَمْ يُصْرِحْ بِهِ).

٥. لَامَحَ، يُلَامِحُ (مص) مُلَامِحَةً. فَا مُلَامِحٌ. مَف مُلَامِحٌ. ف عد): «لَامَحَهُ»: (خَالَسَهُ النَّظَرَ).

٦. لَمَحَةٌ (مر. س.): ٦، ١. نَظْرَةٌ خَفِيفَةٌ، عَاجِلَةٌ. ٦، ٢. (مَا يُلَمِحُ مِنْ تَشَابِهِ). «فِي فَلَانٍ لَمَحَةٌ مِنْ أَبِيهِ».

٧. مَلَامِحٌ: (مَا يَدُو مِنْ سِمَاتٍ فِي الْوَجْهِ أَوْ الْجِسْمِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ). مَفْرَدُهَا (مَلَمَحٌ).

٨. لَمَحَ (مص): (نَظَرَ خَفِيفَ خَاطِفٍ). «لَأُرِينَكَ لَمَحًا بَاصِرًا»: (أَمْرًا وَاضِحًا وَأَكْثَرَ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْوَعِيدِ).

٩. الْمَلْحِيَّ (ص): (مَنْ يَلْمَحُ كَثِيرًا).

١٠. لَامِحٌ (فا): (الَّذِي يَلْمَحُ). «فَلَانٌ لَامِحٌ عَطْفِيهِ»: (مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ).

١١. لَمَّاحٌ (ص): ١٠١١. شَدِيدُ اللَّحْمِ. ٢٠١١ «هُوَ أَبْيَضٌ لَمَّاحٌ»: (شَدِيدُ الْبَيَاضِ).

١٢. تَرَائِبٌ مَسْكُوكَةٌ: «لَامِحٌ عَطْفِيهِ»: (مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ). «لَأُرِينَنَّكَ لَمَحًا بَاصِرًا»: (أَمْرًا وَاضِحًا) (فِي مَقَامِ الْوَعِيدِ). «رَأَيْتَهُ لَمَحَةَ الْبَرْقِ»: (رَأَيْتَهُ بِسُرْعَةٍ، قَدْرَ لَمْعَةِ الْبَرْقِ). «فِي لَمَحِ الْبَصْرِ»: (بِسُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ).

١٣. مَرَادِفَاتٌ: رَأَى، نَظَرَ، شَاهَدَ، عَايَنَ، شَافَ. لَحَظَ، رَمَقَ.

١٤. أَضْدَادٌ: عَمِيَّ، عَشَاءَ، عَشِيَّ، كَفَّ بَصْرَهُ.

ش و ف

في الفصيحة، كيفية إدراك حسي بالعين، أو ذهني معرفي، أو تصور، يتم بالإشراف والتطاول. وفي الدوارج: إدراك حسي بالعين، أو ذهني معرفي، أو تصور، يقتضي ضرورة الاتصال بالشيء المدرك. قدرة ومهارة بصر.

١. شافَ، يشوفُ (مص شَوْفاً. فاشائف. مف مشوف. ف عد.) : ١, ١. «شافَ الشيءَ»: (صقله وجلاه). ١, ٢. (نوعات دارجة إماراتية ومغربية...) «شاف الشيءَ»: (رآه).
٢. اشتافَ، يَشْتافُ (مص اشْتِيفاً. ف ل، ف عد): ١, ٢. «اشتافَ فلان»: (تطاولَ ونظَرَ (لفائدته)). ٢, ٢. «اشتافَ الفرسُ والظبيُّ»: (نَصَبَ عُنُقَهُ وجعل ينظر).
٣. أشافَ، يُشيفُ (مص إشافة. ف ل): ١, ٣. «أشاف الشيءَ»: (ارتفع). (صيرورة) ٢, ٣. «أشاف على الشيءَ»: (أشرفَ عليه). (ف عمل).
٤. شوفَ، يُشوفُ^{٣٦} (مص تشويفاً. فامُشوف. مف مُشوف. ف عد.): ١, ٤. نوعات دارجة (إماراتية، ومغربية...): «شوفه الصورة»: (أراه إيّاها). ٢, ٤. «شوفَ الجارية»: (زَيَّنَهَا).
٥. تَشَوَّفَ، يَتَشَوَّفُ (مص تَشَوَّفاً. فامُتَشَوَّف. مف مُتَشَوَّف. ف ل): ١, ٥. «تَشَوَّفْتُ إلى الشيءَ»: (تطلَّعتُ). «رأيت نساء يتَشَوَّفْنَ من السُّطُوح»: (يَنْظُرْنَ وَيَتَطَاوَلْنَ). ٢, ٥. «تَشَوَّفَتِ المرأةُ»: (تزينت). «تَشَوَّفَتِ للخطابِ»: (طَمَحَتْ وَتَشَرَّفَتْ). ٣, ٥. «تَشَوَّفَ الشيءَ»: (ارتفع). ٤, ٥. «تَشَوَّفَ الفرسُ والظبيُّ»: (نَصَبَ عُنُقَهُ وجعل ينظر) (مثل اشتاف).
٦. مَشُوف (ص): ١, ٦. (مَجْلُوف). «دينار مَشُوف». ٢, ٦. «المَشُوفُ من الإبل»: (المَطْلِيُّ بالقطران لأن الهناء يشوفه أي يجلوه). ٣, ٦. (هائج). ٤, ٦. (مُزَيْنُ بالعُهون وغيرها). ٧. مَشُوفَة (ص): (المَشُوفَة من النساء: التي تُظْهِرُ نَفْسَهَا ليراها الناس).
٨. شَوَّاف (ص): (حاذٍ البصر). نوعة مغربية (س): (الذي يَتَطَلَّعُ للقال). (مؤنث شوافة).
٩. شَوْف (مص. س.): ١, ٩. (جَلُوف). ٢, ٩. (آلة تسوى بها الأرض المحروثة يركبها رجل ويجرها ثوران).
١٠. شوف، شوفان (مص): (النظر). (الرؤية). نوعة مغربية/ إماراتية: «شوفتك تُكْفِي»: (رؤيتك تكفيني عن أي شيء).

١١. شَوْفَة (مر): ١١, ١. (نظرة). نوعه مغربية. نوعه إماراتية. ١١, ٢. (زيارة).
نوعه مغربية. ١١, ٣. شيفة (مر): نوعه إماراتية.

١٢. تراكيب مسكوكة: نوعه إماراتية: «شُوف وحرَاق جُوف»: (يرى الشيء ولا
يَسْتطِيعُ الوُصُولَ إِلَيْهِ أَوْ التَّمَتُّعَ بِهِ).

١٣. مرادفات: رأى، نظر، شاهد، عاين، شاف. ١٤. أضداد: عَمِي، عَشَاء،
عَشِي، كَفَّ بصره.

٢. مفردات أذنية

س م ع

إدراك حسي بالأذن، أو ذهني معرفي، يقتضي عادة الاتصال بالشيء المدرك. مهارة
أو استطاعة إدراكية معينة.

١. سَمِعَ، يَسْمَعُ (مص سَمَعًا / سَمْعًا، سَمَاعًا). فَا سَمِعَ. مَف مَسْمُوع. ف ل. (عد.).
«سَمِعَ الصَّوْتِ»: (أدركه بحاسة الأذن). «سَمِعَ الطِّفْلُ صَوْتَ أُمِّهِ فَجَرَى
نَحْوَهَا». ١, ٢. «سَمِعَ لِمُحَدِّثِهِ / لِمُعَلِّمِهِ»: (أصغى إليه وأنصت). ١, ٣. «سَمِعَهُ»،
و«سَمِعَ لَهُ»: (أجابَهُ، وَاسْتَجَابَ لَهُ). ١, ٤. «سَمِعَ الْكَلَامَ»: (تَدَبَّرَهُ وَفَهِمَ مَعْنَاهُ
وَأَدْرَكَهُ). (عَلِمَ الْخَبَرَ، عَرَفَهُ).

٢. اسْتَمَعَ، يَسْتَمِعُ (مص استماعًا. فَا مُسْتَمِع. ف ل): «اسْتَمَعَ لَهُ / إِلَيْهِ»: (أصغى
إليه وأحسن الاستماع).

٣. انْسَمَعَ، يَنْسَمِعُ (ف ل): نوعه إماراتية: «الصوت ما يَنْسَمِعُ»: (الصوت لا
يُسْمَعُ).

٤. أُسْمِعَ، يُسْمِعُ (مص إسماعًا. فَا مُسْمِع. مَف مُسْمَع. ف عد. جمع): «أَسْمَعُهُ
الْكَلامَ»: (جعلته يسمعه). (أبلغه إياه).

٥. سَمِعَ، يَسْمَعُ (مص تَسْمِيْعًا. فَا مُسْمِع. مَف مُسْمَع. ف ل. عد): ١, ٥.
«سَمِعَهُ الْخَبَرَ»: (جعلته يَسْمَعُهُ، رَغْمًا عَنْهُ). ٥, ٢. «سَمِعَ الْقَصِيْدَةَ وَنَحْوَهَا»:
(ألقاها عن حفظ). ٥, ٣. «سَمِعَ بِالرَّجْلِ»: (أذاع عنه عيبًا، وشهر به وفضحه).

٦. اسْتَسْمَعَ، يَسْتَسْمَعُ (مص اسْتِسْمَاعًا. فَا مُسْتَسْمِع. ف ل): «اسْتَسْمَعَ الشَّخْصُ لَأَمْرٍ مَا»: «سَمِعَ مَا أَسْمَعْتُهُ إِيَّاهُ، أَيْ اسْتَجَابَ». مطاوعٌ لِلْجَعْلِ بِمَعْنَى اسْتَمَعَ إِلَى مَا أَسْمَعْتُهُ إِيَّاهُ، أَيْ لَبَّى. ٣٧.

٧. تَسَمَّعَ، يَتَسَمَّعُ (مص تَسْمَعًا. فَا مُتَسَمِّع. ف ل. عد): ١, ٧. «تَسَمَّعَ لَهُ»، و«تَسَمَّعَ إِلَيْهِ»: (أصغى إليه). ٢, ٧. نوعية إماراتية: «يَتَسَمَّعُ الْأَخْبَارَ»: «يَتَقَصَّى الْأَخْبَارَ قَبْلَ ذِيوعِهَا خَفِيَّةً».

٨. تَسَامَعَ، يَتَسَامَعُ (مص تَسَامُعًا. فَا مُتَسَامِع. مف مُتَسَامِع. ف ل. عد): ١, ٨. «تَسَامَعَ النَّاسُ بِالْكَلامِ / الْكَلَامِ»: (سمعه بعضهم من بعض، وتناقلوه بينهم). ٢, ٨. «تَسَامَعَ النَّاسُ بِفُلانٍ»: (شاع بينهم عَيْبُهُ).

٩. اسْمَعَّ، يَسْمَعُّ (فَا مُسْمَعُّ ف ل): «اسْمَعَّ إِلَى الْكَلَامِ»: (أصغى إليه).

١٠. سَمِعَ، (أَوْ سَمِعَ) (مص. س. ج. سَمَاعٌ): ١, ١٠. (حِسُّ تَدْرِكٌ بِهِ الْأَصْوَاتِ). «وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ» (الملك: ٢٣). ١٠, ٢. (ما وَقَرَّ فِي الْأُذُنِ مِنْ أَصْوَاتٍ أَوْ كَلَامٍ). «تَحْتَ سَمْعِ الْعَالَمِ وَبَصَرِهِ»: (بشكل مُعْلَن). ١١. سَمَاعٌ (مص. س): ١, ١١. (ما سَمَعْتَ بِهِ فِشَاعٌ وَتُكَلِّمُ بِهِ) ٣٨. ١١, ٢. (كُلُّ مَا التذته الْأُذُنُ مِنْ صَوْتٍ حَسَنٍ).

١٢. سَمِيعٌ (ص): (السميع من صفات الله وأسمائه). «هو سميع الدعاء»: (يَسْمَعُ الدَّعَاءَ وَيُجِيبُهُ).

١٣. اسْمَعُ (ص. فض): (أَبْلَغُ، وَأَنْسَبُ لِلْاسْتِجَابَةِ). فِي الْحَدِيثِ: «أَيُّ السَّاعَاتِ اسْمَعُ؟»: «أَوْفَقُ لاسْتِمَاعِ الدَّعَاءِ فِيهِ».

١٤. سَمَاعٌ (ص. بغ): «رَجُلٌ سَمَاعٌ»: (كثير الاستماع لما يقال).

١٥. سَمَاعَةٌ (ص. بغ. س. آلة): ١, ١٥. «أُذُنٌ سَمَاعَةٌ»: (شديدة الاستماع). ١٥, ٢. (آلةٌ يُسْمَعُ بِهَا نَبْضُ الْقَلْبِ).

١٦. سَامِعٌ، سَامِعَةٌ (ص. ف. ج. سَمَاعٌ، وَسَمَاعَةٌ): (السامعة: الْأُذُنُ).

١٧. مَسْمَعٌ (مك. ج. مَسَامِعُ): «هُوَ مِنْ بِي بَمَرَأَى وَبِمَسْمَعٍ»: (هو في مكان بحيث

أراه وأسمع كلامه).

١٨. سُمِعَة (س): (صِيَت، أو ما يُسْمَع عن شخص من ذِكْرِ حَسَنِ أو سَيِّءٍ).
«كَانَ رَجُلًا طَيِّبًا ذَا سُمْعَةٍ جَيِّدَةٍ».

١٩. تراكيب مسكوكة: «أَلْقَى السَّمْعَ / أَطْرَقَ السَّمْعَ»: (أَنْصَتَ). «سَمِعَتْ أُذُنِي فَلَانًا يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا»: (أَبْصَرْتُهُ بِعَيْنِي يَفْعَلُ ذَلِكَ). «أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعُ»: (يَقَالُ تَقْدِيرًا لِلشَّخْصِ). «لَيْسَ مَنْ سَمِعَ كَمَنْ رَأَى»: (حِجَّةُ المِشَاهِدَةِ أَقْوَى مِنْ حِجَّةِ الِاسْتِماعِ). «مَنْ تَدَخَّلَ فِيهَا لَا يَعْينُهُ سَمْعٌ مَا لَا يَرْضِيهِ»: (مَنْ اقْتَحَمَ خُصُوصِيَّاتِ الأَخْرَيْنَ فَسَيَلْقَى رَدًّا لَا يُعْجِبُهُ).

٢٠. مرادفات: أَنْصَتَ، أَصْغَى، أذُنٌ ٣٩.

٢١. أَضْدَادٌ: صَمٌّ، طَرَشٌ، صَلَخٌ.

٣. مفردات أنفية

ش م ش

إدراك حسي بالأنف، أو ذهني معرفي، يقتضي عادة الاتصال بالشيء المدرك، أو هو مهارة أو استطاعة إدراكية معينة.

١. شَمٌّ، يَشُمُّ (مَصَّ شَمًّا). فَاشَامَ. مَفَّ مَشْمُومًا. ف ل. (عد): ١, ١. «لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أُشَمَّ»: (لَا أَقْدِرُ عَلَى التَّقَاتِ الرُّوَاتِحِ). ١, ٢. «شَمَّ الشَّيْءَ»: (أَدْرَكَ رَائِحَتَهُ). «يَسْتَطِيعُ الفَيْلُ أَنْ يَشُمَّ رَائِحَةَ الإنسانِ عَلَى بُعْدِ نِصْفِ كِيلُو مِترٍ». ١, ٣. «شَمَّ خَبْرًا»: (أَدْرَكَه بِفِطْنَتِهِ). «كَانَ يَبْعَثُ مَنْ يَشُمُّ لَهُ الأَخْبَارَ».

٢. اشْتَمَّ، يَشْتُمُّ (مَصَّ اشْتِمَامًا). فَاشْتَمَّ. ف (عد): ١, ٢. «اشْتَمَّهُ»: (اجْتَذَبَ رَائِحَتَهُ إِلَيْهِ). ٢, ٢. «اشْتَمَّ الكَذِبَ فِي حَدِيثِهِ»: (أَدْرَكَه بِفِطْنَتِهِ أَنَّهُ يَكْذِبُ).

٣. أَشَمَّ، يَشُمُّ (مَصَّ إِشْمَامًا). فَاشْمَمَ. مَفَّ مَشْمَمًا. ف (عد): «أَشَمَمْتُ فَلَانًا الطَّيْبَ فَشَمَّمَهُ»: (جَعَلَهُ يَشُمُّهُ). ٤٠.

٤. شَمَمَ، يُشَمِّمُ (مص تشمياً). فَا مُشَمِّمٌ. مَف مُشَمِّمٌ. ف عد.: «شَمَمَهُ الطَّيْبُ»: (جعله يَشُمُّه على مهل).
٥. اسْتَشَمَّ، يَسْتَشِمُّ (مص اسْتَشَمَّ). فَا مُسْتَشِمٌّ. ف عد.: «اسْتَشَمَّ الشَّيْءَ»: (استنشق على مَهَلٍ). (طلب أن يشمه).
٦. تَشَمَّمَ، يَتَشَمَّمُ (مص تَشَمَّمًا). فَا مُتَشَمِّمٌ. مَف مُتَشَمِّمٌ. عد.: ٦, ١. «تَشَمَّمَ الشَّيْءَ»: (شممه لنفسه في مَهَلٍ).^{٤١} «أَخَذْتُ تَشَمِّمَ رَائِحَةَ ثِيَابِهِ». ٦, ٢. «تَشَمَّمَ الْأَخْبَارَ»: (تَطَلَّبَهَا وَتَقَصَّأَهَا). «أَخَافُهُ مَا تَشَمَّمُ مِنْ رِيحِ غَدْرِ الرَّجْلِ».
٧. شَمَّ (مص): ٧, ١. (حاسة الشم، وهي حاسة إدراك الروائح بواسطة الأنف). «فقدان حاسة الشم من أعراض «كوفيد-١٩». ٧, ٢. (وفي حالة التشابك الحسي يمكن الشم بواسطة أعضاء أخرى بما فيها الذهن). «شَمَّ الْأَخْبَارَ».
٨. شَمَمَ (مص): (ارتفاع قصبه الأنف في استواء. أو مُطَلِّقُ الارتفاع). «رَفَعَتْ رَأْسَهَا فِي شَمَمٍ وَعِزَّةٍ».
٩. شَمِيمَ (ص): (ما يُشَمُّ، أو الرائحة). «كَانَ مُصْقُولًا، دَافِتًا، وَلَهُ شَمِيمَ الْيَاسْمِينِ».
١٠. تَشَمَّمُ (مص): «بَاحِثَةٌ تُنظِّمُ جَوَالَاتٍ لِلتَشَمُّمِ لِاسْتِكْشَافِ المُدُنِ بِالْأَنْفِ»: (الاستقصاء الروائح وتدوينها).
١١. مَشْمُومٌ (ص مف): (ما يُدْرِكُ بِالشَّمِّ). «بِالعنبرِ المَشْمُومِ دُونَ دُخَانِهِ» (ابن قلاقس)
١٢. شَمَامٌ (ص. س): ١٢, ١. (حَادَّ الشَّمِّ). ١٢, ٢. (نبات من الفصيلة القرعية ثمره مدور مستطيل قليلاً وقشره مخطّط، وأبرز صفاته قوة الرائحة وطيبها).
١٣. أَشَمُّ (ص. مؤنث. شَمَاءٌ. جُ شَمٌّ، شَمَاوَاتٍ): ١٣, ١. «رَجُلٌ أَشَمُّ الْأَنْفِ»: (عزيز النفس، ذو أنفة). ١٣, ٢. «مَنْكَبٌ أَشَمُّ»: (مُرْتَفَعٌ). «جَبَلٌ أَشَمٌّ». ١٤. مرادفات: راح، نشق، ساف^{٤٢}.

٤. مفردات يدوية

ل م س

إدراك حسي باليد، أو ذهني معرفي، يقتضي عادة الاتصال بالشيء المدرك، أو هو مهارة أو استطاعة إدراكية معينة.

١. لَمَسَ، يَلْمَسُ، يَلْمَسُ (مص لَمَسًا. فَا لَمَسَ. مَف مَلْمَس. ف عد.): ١, ١.
«لَمَسَ الشَّيْءَ»: (مَسَّهُ). «لَمَسَ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ جُذُوعَ الْأَشْجَارِ». ١. ٢. «لَمَسَ تَغْيِيرًا فِي سُلُوكِهِ»: (أَدْرَكَه، عَرَفَهُ، شَعَرَ بِهِ). «لَمَسَ فِي نَفْسِهِ الْقُدْرَةَ عَلَى الْقِتَالِ». ١. ٣. «لَمَسَ الْحَقِيقَةَ»: (اهْتَدَى إِلَيْهَا وَأَدْرَكَهَا). ١, ٤. (أَحَسَّ، اسْتَشْعَرَ). «يَلْمَسُ رُوحِي».

٢. اِلْتَمَسَ، يَلْتَمِسُ (مص اِلْتِمَاسًا. فَا مُلْتَمَس. مَف مُلْتَمَس. ف عد.): ٢, ١.
«الْتَمَسَ الشَّيْءَ»: (طَلَبَهُ). فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا». ٢, ٢.
«الْتَمَسَ لَهُ عُدْرًا»: (أَوْجَدَهُ لَهُ).

٣. لَامَسَ، يُلَامِسُ (مص مُلَامَسَةً. فَا مُلَامِس. مَف مُلَامَس. ف عد.): «لَامَسَ الشَّيْءَ»: (لَمَسَهُ لَمَسًا خَفِيفًا أَوْ سَرِيعًا أَوْ عَارِضًا أَوْ أَصَابَهُ)، حِسًّا أَوْ تَجْرِيدًا.
«لَامَسَ سَطْحًا بَارِدًا». «لَامَسَ صُعُوبَةَ التَّبَاعُدِ حِينَ رَحَلَ عَنْهَا»^{٤٣}.

٤. تَلَمَّسَ، يَتَلَمَّسُ (مص تَلَمُّسًا. فَا مُتَلَمَّس. مَف مُتَلَمَّس. ف عد.): ٤. ١.
«تَلَمَّسَ الشَّيْءَ»: (تَطَلَّبَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. بَحَثَ عَنْهُ). «يَتَلَمَّسُ طَرِيقَهُ بِحِرْصٍ شَدِيدٍ». ٤. ٢. وَجَدَ. «تَلَمَّسَ فِيهِ خَيْرًا».

٥. تَلَامَسَ، يَتَلَامَسُ (مص تَلَامَسًا. فَا مُتَلَامَس. ف ل.): ١, ٥. «تَلَامَسَ الشَّيْئَانِ»: (تَمَاسًا). ٥, ٢. (تَقَارَبَا).^{٤٤}

٦. لَمَسَ (مص. س): ٦. ١. (إِلْحَادِي الْحَوَاسِ الْخَمْسِ. وَهِيَ قُوَّةٌ تُدْرِكُهَا الْحَرَارَةُ وَالْبُرُودَةُ وَالرُّطُوبَةُ وَالْيَبُوسَةُ وَنَحْوَ ذَلِكَ عِنْدَ التَّمَاسِ). ٦. ٢. (الْمَسُّ بِالْيَدِ أَوْ بِغَيْرِهَا). «لَمْ أَعْمَدْ لِمَسِّ الْكُرَةِ». ٦. ٣. (مَعْرِفَةٌ أَوْ إِدْرَاكٌ). «لَمَسَ التَّفَاصِيلَ». ٦. ٤. «شَاشَةُ اللَّمَسِ»: (شَاشَةٌ ذَكِيَّةٌ تَسْتَجِيبُ لِلْمَسِّ، كَمَا فِي بَعْضِ الْأَجْهَازِ اللَّوْحِيَّةِ).^{٤٥}

٧. مَلْمَسَ (مَف): ٧, ١. (مَحْسُوسٌ، مُدْرِكٌ). «أَمْرٌ مَلْمُوسٌ». ٧, ٢. «الدَّلِيلُ

الملموس»: (المؤكد والمدرك بالحواس)..

٨. لمسة (مر): «لمسه لمسة»: مرّةً واحِدَةً. «أدخل على النصّ اللمسة الأخيرة»: (آخر تحرير أو تصحيح قبل إتمامه).

٩. ملّمس (مص. مك): (مكان اللمس). «هيكّلها إلخارجي ذات ملّمس ناعم ولا مع».

١٠. مُلامسة (مص): «مُلامسة الشيء»: (مسه باليد أو غيرها). «مُلامسة الوجه قد تؤدى لانتشار العدوى».

١١. تراكيب مسكوكة: «عادت لِعترتها ليس»: (وصف لمن يرجع إلى عادة سوء تركّها).

١٢. مرادفات: مسّ، حسّ، جسّ^{٤٦}.

٥. مفردات لسانية فموية

ذوق

إدراك حسي باللسان أو عبر الفم، أو ذهني معرفي، يقتضي عادة الاتصال بالشيء المدرك، أو هو مهارة أو استطاعة إدراكية معينة.

١. ذاق، يذوق (مص. ذوقاً، ذوقاً، ذوقاً). فاذا تق. مف مذوق. ف ل. عد..):

١, ١. «حسي». (اختبر طعمه وجربه). «ذاق الطعام أو الشراب». ١, ٢. (أحس

وجرب نفسياً وذهنياً، عانى). «ذاق العذاب»: (عاناه وقاساه). ١, ٣. (قدرة،

استطاعة)^{٤٧}. «مكثت لا تذوق النوم ثلاثة أيام».

٢. أذاق، يذيق (مص. إذاقة. فا مذيق. مف مذاق. ف عد جمع): ١, ٢. «أذاقه

الطعام»: (جعلّه يذوقه ويختبر طعمه). ٢, ٢. «وأذاقوه العذاب»: (جعلّه يعانى).

٢, ٣. (التحول إلى وضع الذائق). «أذاق فلان بعدك سرّاً».

٣. ذَوْقٌ، يُذَوِّقُ (مص. تذويقًا. فامذوق. فعد. جمع): «ذَوْقُهُ الطَّعَامُ»: (جعلهُ يَجْتَبِرُ طَعْمَهُ (على مراحل)).

٤. تَذَوَّقَ، يَتَذَوَّقُ (مص. تَذَوَّقًا. فامُتَذَوَّقَ. مف مُتَذَوَّقٌ. فعد): ٤, ١. «تذوَّقُ الطَّعَامَ»: (ذاقه شيئاً فشيئاً). «هل يَتَذَوَّقُ الجَنِينُ الطَّعَامَ؟» ٤, ٢. «بَعْضُ الأشخاصِ لا يَتَذَوَّقُونَ النِّكْتَةَ»: (لا يَسْتَسِيغُونَهَا ولا يَسْتَمْتَعُونَ بِهَا). «يَتَذَوَّقُ الشَّعْرَ»: (يَسْتَطِيبُهُ وَيَسْتَمْتَعُ بِهِ). ٤, ٣. «سَيَتَذَوَّقُ الظَّالِمُ يَوْمًا طَعْمَ الشَّعْرِ بِالظُّلْمِ»: (يُعاني ويقاسي).

٥. تَذَاوَقَ، يَتَذَاوَقُ (مص. تَذَاوَقًا. فامُتَذَاوَقَ. مف مُتَذَاوَقٌ. فعد): ٥, ١. «تَذَاوَقُوا الطَّبِيخَ»: (تشاركوا طعمه). ٥, ٢. «تَذَاوَقُوا سِجَالَ الحَرْبِ»: (تقاسموا المعاناة منها).

٦. اسْتَدَاقَ، يَسْتَدِيقُ (مص. اسْتِدَاقَةً. فامُسْتَدِيقٌ. مف مُسْتَدِيقٌ. فعد): ٦, ١. «اسْتَدَاقَ الشَّيْءَ»: (لَذَّ لَهُ، وَأَعْجَبَهُ) ^{٤٨}. «يَسْتَدِيقُ لَذَّةَ أَنْسِهِ». ٦, ٢. «اسْتَدَاقَ لَهُ الأَمْرُ»: (انْقَادَ لَهُ وطَاوَعَهُ).

١٠. ذَوَّقَ (مص. س. ج أذواق): ١٠, ١. (حاسة من الحواس الخمس يُدْرِكُ بِهَا الطَّعْمَ، وعضوها اللسان).

١٠, ٢. (حَسٌّ جَمَالِي، إِيجَابِيٌّ أَوْ سَلْبِيٌّ). «يَتَمَيَّزُ بِالْأَنَاقَةِ وَحُسْنِ الذَّوْقِ». «من ذَوَّقِكَ»: (من لُطْفِكَ وَحُسْنِ خُلُقِكَ).

١١. ذَوَاقٌ (مص. س): ١١, ١. (ذَوُقُ الطَّعْمِ). «ذَوَاقُهُ طَيِّبٌ». ١١, ٢. (الطَّعَامُ والشَّرَابُ). «ما ذُقْتُ ذَوَاقًا». في الحديث: «لم يكنْ يَذُومُ ذَوَاقًا». ١١, ٣. في الحديث: «كانوا إذا خَرَجُوا من عِنْدِهِ لا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عن ذَوَاقٍ»: (صَرَبَ الذَّوَاقَ مثلاً لما يَنَالُونَ عِنْدَهُ من الخَيْرِ، أي لا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عن عِلْمٍ وأدبٍ يَتَمَلَكُونَهُ).

١٢. مَذَاقٌ (مص ميمي. س): ١٢, ١. (الطَّعْمُ الَّذِي يُدْرِكُ بِاللِّسَانِ). «مَذَاقُهُ طَيِّبٌ». ١٢, ٢. (مُتَعَةً وَلَذَّةً). «له مَذَاقٌ خَاصٌ». ١٢, ٣. (طريقة وأسلوب).

«لحديثه مذاقٌ خاص». ١٢, ٤. (معاناة). «إلخيانة مُرَّةُ المذاق».

١٣. ذَوَاقٌ (ص): ١٣, ١. (خبير بالتمييز بين المذاقات). ١٣, ٢. (صاحبُ حِسِّ جَمَالِيٍّ جَيِّدٍ مَادِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا). ١٣, ٣. (مَلُول). في الحديث: «إن الله يُبْغِضُ الذَوَاقِينَ وَالدَوَاقَاتِ»: (سريعي الزواج سريعي الطلاق).

١٤. ذَوَاقَةٌ (س): (لَمْطَةٌ). قَلِيلٌ مِنَ الطَّعَامِ يَتَلَمَّظُهُ الْإِنْسَانُ لِاخْتِبَارِ طَعْمِهِ. ١٥. ذَائِقَةٌ (س): (قُوَّةٌ تُدْرِكُ بِهَا الطَّعُوم).

١٦. نوعية مغربية: ١٦, ١. دُوَّقٌ (بالتشديد)، دُوَّقُو: أي «ذَوَقَةٌ»، (بادله طعاما ليجعله يختبر طعمه). دُوَّقِيٌّ مِنَ الْخَلِيعِ: (اهدي (ناولني) قسطا من هذا اللحم المقدد). ١٦, ٢. دُوَّقَةٌ، تَدْوِيقَةٌ: (قِسْطٌ مِنَ الْأَطْعِمَةِ أَوْ الْحَلْوَيَاتِ يُهْدَى لِلآخِرِ، عَلَى سَبِيلِ الْإِكْرَامِ أَوْ تَبَادُلِ الْهَدَايَا مَعَ الْأَقْرِبَاءِ أَوْ غَيْرِهِمْ). ١٦, ٣. تَدَوَّقَ: مص «دوق». ١٦, ٤. ذَوَاقٌ: من له مَهَارَةٌ خَاصَّةٌ فِي التَّقَاطِطِ وَقِيَاسِ الْجُودَةِ فِي الْأَطْعِمَةِ وَغَيْرِهَا، مَا هُوَ مَادِّيٌّ أَوْ غَيْرُ مَادِّيٍّ).

١٧. تراكيب مسكوكة: «ذاق العذاب والمكروه»: (قاساه). «ما ذاق ذواقًا»: (ما طَعِمَ شَيْئًا). «ذاق الأمرين»: (تَعَرَّضَ لِصُعُوبَاتٍ كَثِيرَةٍ). «ذُقْتُ فَلَانًا/ ما عنده»: (خَبِرْتُهُ وَعَرَفْتُ حَقِيقَتَهُ). «مُرَّةُ المذاق»: (صَعْبَةٌ وَمُحْزَنَةٌ). ١٨. مرادفات: طَعِمَ، ساغ.^{٤٩}

الهوامش

١. هل المعجم نظام أم لائحة طويلة من المفردات والعبارات؟ في الثمانينات، ظهر خلافٌ بيني وبين د. تمام حسان حول طبيعة المعجم، هل هو معجم-لائحة، أم معجم-نظام. المعجم اللائحة يتّجه إلى «دراسة قائمة من الكلمات تشتمل على جميع ما يستعمله المجتمع اللغوي من مفردات»، ومن «طبيعة هذه اللائحة الضخمة التي هي في حوزة المجتمع في عمومه ألا يحيط بها فردٌ واحدٌ من أفراد هذا المجتمع مهما حرص على استقصائها». حسان (١٩٧٣)، ص. ٣١٤ وما بعدها. وأما المعجم-النظام، فيُترجم المعرفة المعجمية، التي تُفَرِّز المفردات فيها «خصائص واطرادات فرعية أو تامة تُمكن من وضعها في طبقات عامة أو فرعية لها خصائص يمكن استخلاصها من مبادئ عامة تضبط الملكة اللسانية العامة للإنسان، أو الملكة الخاصة بلغة من اللغات الطبيعية المرتبطة بوسائط وباختيارات يتيحها النظام الكلي». و«المعرفة المعجمية لا تقتضي تعلّم كل معرفة على حدة، بل لا تقتضي تعلّم كثير من خصائص أصناف المفردات. وهناك كثير من المعلومات عن طبقات المفردات تكون مكتسبة فطرة ودون تعلّم». الفاسي الفهري (١٩٨٦)، ص. ٦-٧. المعجم-النظام معجم ذهني، له واقع في الذهن، وهو مكون أساسي فيما يُسمّى الملكة اللغوية، أو العضو الذهني للغة.

ويرتبط بهذا الخلاف خلاف حول مصدر اللغة الموصوفة. هل تنحصر اللغة العربية في لسان السلف الفصيح في القرون الأولى، وفي بيئات معينة داخل الجزيرة العربية، أو ما يُسمي باللغة (الفصحى)، التي أصبحت اللغة المعيارية Standard Arabic ابتداء من القرن الأول، أم يمتد إلى اللسان التنوعى الحديث، الذي يهدف إلى توسيع الثروة المفرداتية العربية وإغنائها بالتعبيرات الدارجة، التي ترفع من حيوية العربية، ومن ألفتها، وتساعد على انتشارها في سياقات أوسع مما يتاح لها، وتفصيح المواد من أجل توفيرها لأغراض تعليمية-تعليمية في القاموس الجديد.

٢. انظر أنيس (١٩٩٢) وإبراهيم (٢٠١١) والفاسي الفهري (٢٠١٩)، والمراجع

المذكورة هناك.

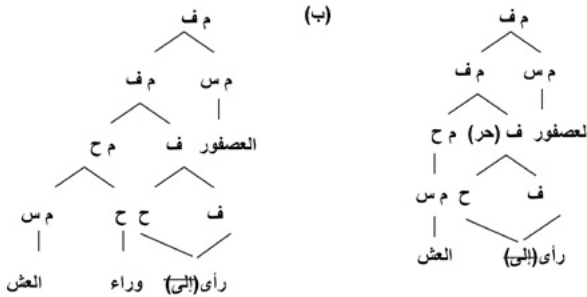
٣. انظر كراشن (2004) Krashen، ودور (المدخل المفهوم) Comprehensive input في نظرية التعلم.
٤. انظر ينج (2016) Yang، على سبيل المثال.
٥. انظر الفاسي الفهري (٢٠١٤) للتفصيل.
٦. انظر السيوطي. ١٩٩٨. الاقتراح، ٣٣.
٧. « أَبْصَرْتُ الشَّيْءَ: رَأَيْتَهُ » (لسان العرب). و«رَأَى الْهَلَالَ: أَبْصَرَهُ بِالْعَيْنِ» (معجم اللغة العربية المعاصرة).
٨. واللهجة: لغة الإنسان التي جبل عَلَيْهَا فاعتادها. (المعجم الوسيط) (م ل ع م)
٩. وَتَبَاَصَرَ الْقَوْمُ: أَبْصَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا (لسان العرب)
١٠. عن أهمية وأدوار الإصهار والإفراغ في بناء المعجمة، وتطبيقاتها في العربية، انظر الفاسي (١٩٩٧). ويمكن التمثيل لذلك بتركيب مثل «أَسْرَجَ الْفَرَسَ»، وشرحه عبر (وضع السرج على الفرس). وفي هذا التصور، يكون الفعل (أَسْرَجَ) فعل (وضع) مشتق، ويكون الجذر في الأصل اسم، أي (السرج)، يتم إصهاره في (أَسْرَجَ) في سيرورة الْمُعْجَمَةِ.
١١. عن دور الطراز في تحديد المقولة والمعجمة، انظر روش (1978) Rosch، وعن تحديد ما هو أولي prime، أو أساسي basic فيروسيكا (1996) Wierzbicka.
١٢. بالنسبة لهيكلية الجذور العربية داخل مركبات الجذور، انظر الفاسي الفهري (١٩٩٧، ٢٠١٦، و٢٠٢٠).
١٣. عن تجذرات الأفعال في الاسمية أو الفعلية أو الوصفية أو الحرفية، انظر الفاسي الفهري (١٩٩٧)، على إختصاص، وكذلك الفاسي (٢٠١٣) و(٢٠١٤) الذي يلجأ إلى تصنيفات أنطولوجية (غير مقولية) هي: الذات، والحدث، وإلخاصية، والمسار (أو المكان).
١٤. جاء في لسان العرب: أَرَاَحَ الشَّيْءَ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُ. والرائحة: النسيم طيباً كان

أَوْ تَنْتَنًا. وَرِحْتُ رَائِحَةً طَيِّبَةً أَوْ خَبِيثَةً أَرَاخُهَا وَأَرِيحُهَا. وَأَرَا حَ اللَّحْمِ أَيَّ أَتْتَنَ. فكله مشتق مما هو رائح، أي صفة أو حالة. والفعل مشتق منها، مثل ما يحصل في (صعُور) و(كُبر)، و(طال)، إلخ. فكلها صفات في أصل معناها.

١٥. صَاتَ يَصُوتُ صَوْتًا: نَادَى. وَأَصَاتَ، وَصَوَّتَ بِهِ. وَالصَّائِتُ: الصَّائِحُ. وَأَصَاتَ الرَّجُلُ بِالرَّجُلِ إِذَا شَهَّرَهُ بِأَمْرٍ لَا يَشْتَهِيهِ. وَأَنْصَاتَ الزَّمَانُ بِهِ أَنْصِيَاتًا إِذَا اشْتَهَرَ. يُقَالُ: لَهُ صَوْتُ وَصِيْتُ أَيُّ ذَكَرُ. وَرَجُلٌ صَيِّتٌ: شَدِيدُ الصَّوْتِ. وَكُلُّ صَرْبٍ مِنَ الْغِنَاءِ صَوْتُ، وَالْجَمْعُ أَصْوَاتٌ. وَأَصَاتَ الْقَوْسَ: جَعَلَهَا تُصَوِّتُ. وَالصَّيْتُ: الذُّكْرُ. يُقَالُ: ذَهَبَ صَيْتُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ ذَكَرَهُ (لسان العرب).

١٦. انظر العروسي وبوغابة (٢٠٠٦) بصدد لائحة لا بأس بها للكيفيات البصرية في النوعة الفصيحة، والعمري (٢٠١٨) بالنسبة للفصيحة والنوعه الدراجة المغربية. وفي المخصص أن الجحمة: العين. والحملاق باطنها المحمر، إذا قلبت للكحل بدت ممرتها. وعن صاحب العين: الحملاق ما غطى الجفن من بياض المقلة. وعن ابن جنبي، الحملاق، لغة في الحملاق. وعن الأصمعي: حملق الرجل، فتح عينيه ونظر نظراً شديداً. وفي العين: اللحاظ، مؤخر العين، إلخ. فكلها أسماء وأوضاع خاصة لأجزاء العين، أو أوصاف لها، لم يتم التدقيق في وصفها بما يكفي، وربطها بموقعها في بنية جذر (الرؤية).

١٧. وعليه تكون بنية (رأى) المتعدية كما في (أ)، وأما اللازمة الحرفية، فهي كما في (ب) (بتصرف، بحيث قمنا بالتحين الضروري للمحافظة على تحليله الأصلي المتفرد):



١٨. تجدر الإشارة إلى أن كروبر لا يتحدث عن (المحور) theme في نصه، وهذا يعني أنه لم يحدده، بخلاف المنفذ. وشرحه للحركة البصرية يوحي بأن محور الحركة هو gaze، أي التحديقة أو النظرة أو الرؤية نفسها، وهو يذكر ذلك، إلا أنه لا يحدد أنه هو (المحور) بالفعل.

١٩. يقول سيبويه، مثلاً، في باب (أبصر): «أبصره إذا أخبر بالذي وقعت رؤيته عليه». وعلق السيرافي «بَصَرَ الرجل، فهو بصير، إذا أخبرت عن وجود بصره وصحته، لا على معنى وقوع الرؤية منه، لأنه قد يقال (بصير) لمن غمض عينيه ولم ير شيئاً، لصحة بصره. فإذا قلت (أبصر) أخبرت بوقوع رؤيته على الشيء». وقد قاس سيبويه تناوب (بَصَرَ) و(أَبْصَرَ) على (غَفَلَ) و(أَغْفَلَ). فغفلت: صرت غافلاً، وأغفلت إذا أخبرت أنك تركت شيئاً ووصلت غفلتك إليه. وإن شئت قلت: غفل عنه، فاجتزأت ب(عن) عن أغفلته، لأنك إذا قلت عنه، فقد أخبرت بالذي وصلت غفلتك إليه (الكتاب، ج. ٤، ص. ٦١-٦٢). ويمكن تقريب هذا التناوب من تناوب ما نجده في بعض اللغات الهندية الأصلية في أمريكا أو أستراليا، أو ما يصفه كين هيل بتناوب (الكوناتيف) conative، أي تناوب الاتصال أو التماس، كما في الزوج التالي:

(i) I shot the bear. (ii) I shot at the bear.

٢٠. توجد (رأى) في عدد من الآيات القرآنية متعددة بالحرف (إلى)، مما قد يشفع لها بأن تحلل على أنها فعل حركي يسوغ محورا وهدفاً. نجد هذا في الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ (الفرقان ٤٥). فالتأويل قد يوحي بأنها (هدفية)، أو (التجاهية)، على غرار (نظر إلى)، بتضمينها معناها. ولا يكون المركب بصرياً بالضرورة هنا، بل قد يفيد العلم، أو التدبر، على الأرجح. انظر جماه وجماعة (Jumaah et al ٢٠٢٠)، من بين آخرين.

٢١. عن مفهوم التدلالية، انظر إيكنفالد (Aikhenvald ٢٠٠٤)، من بين آخرين.

٢٢. أجماري في هذا التقديم ما ورد في كزبورن، ن.م.، ص. ١٧٣-١٧٤.
٢٣. نجد عند الشرتوني في مستدركاته على المعاجم في أقرب الموارد (ج. ٣، ص. ٥٤١) أن (استسمعه) تعني (سمعه). ولا يقدم شواهد تقر ذلك.
٢٤. نجد عند مختار عمر في معجم اللغة العربية المعاصرة (م ل ع م) أن (استرأى الشيء): (أبصره). بمعنى أنه رديف (رأى). وهو لا يقدم شواهد على ذلك. ونجد في اللسان، بالمقابل أن استرأى الشيء: استدعى رؤيته. وهو خلاف ما جاء به مختار عمر، بحيث يكون التأويل إما (طليبا)، أو (اتخاذيا).
٢٥. انظر كلاسن وهوز (١٩٩٦) Classen & Howes، اللذين يبينان أن اللغة الأمازونية ديساننا تعبر عن (الرؤية) بالأساس، في مقابل الإدراكات الأخرى مجتمعة. وعن أولوية اللمس في عدد من اللغات، انظر أعمال كلاسن.
٢٦. هلال، محمد غنيمي. النقد الأدبي الحديث، ص ٣٩٥. وزادة وأصفهاني. ص ٥١.
٢٧. البغدادي، عبد اللطيف. مقالتان في الحواس، ص ٨٧. وزادة وأصفهاني. ص ٥٣.
٢٨. الأصفهاني، أبو بكر محمد بن داود. الزهرة. ج ١. ص ١٤٨. وزاده وأصفهاني. ص ٥٣.
٢٩. جاد (٢٠١٦)، والروايات المحال عليها هناك.
٣٠. محفوظ، القرار الأخير، ص ٣١، عن جاد، ن.م.
٣١. عن هذا التوجه في تأويل التشابك الحسي، انظر مروتزكو، نيكوليتش Mroczko-Wasowicz & Nikolic (٢٠١٤)، من بين آخرين.
٣٢. أحصينا في الفاسي الفهري وسالم طه (٢٠٢٠) ٢٤ صنفاً أولياً لدلالة الجذور

المجردة والمزيدة لأفعال الرؤية وحدها، دون احتساب المصادر والمشتقات، و١٢ صنفا صرفيا، و مثلنا لخمسة أصناف تركيبية أولى، ولأصناف شجرية موازية. وهناك معانٍ خطابية، مثل التمني في (أ) لا تدخل في هذا الحساب، لأنها لا تعني الدلالة على (الرؤية) الحسية أو الذهنية: (أ) يا ريتو تزوج! «يا ليته تزوج» (نوعة مغربية ونوعة إماراتية).

٣٣. تمت معالجة (أَبْصَرَ، وَاَنْظَرَ، وَاَشَاهَدَ، وَاَعَايَنَ، وَاَلْحَظَ، وَاَرْمَقَ) في بحث مطوّل في الفاسي الفهري وطه سالم (ن.م.).

٣٤. أبو سعد، أحمد. معجم فصيح العامّة. بيروت: دار العلم للملايين. ص ٨٦.

٣٥. ابن الحسين، محمد المكي. ١٩٩٧. كلمات للاستعمال. تونس: الدار الحسينية للكتاب.

٣٦. ويضيف الوسيط: شَيَّفَ الدَّوَاءَ: جعله شيافا. ولا يشرح معنى (شيافاً).

٣٧. وهذا المعنى خلاف ما استخلصه معجم الدوحة التاريخي بأن (استسمع الصوت) بمعنى أصغى إليه.

٣٨. ومنه جاء في اللغة مصطلح (السماع) مقابل (القياس) للدلالة على ما يستعمل على غير قياس لأنّه سُمع من العرب. والنسبة إليه (سَمَاعِيّ).

٣٩. تمت معالجة (أَنْصَتَ)، و(أَصْغَى)، و(أَذِنَ) في الفاسي الفهري وطه سالم (ن.م.).

٤٠. يُعَرِّف الوسيط صيغة بأخرى مسويا بينهما، وهكذا تكون (اشتّمه) بمعنى (شَمّه). وهو يذكر للفعل (شَمَّ) ستة معانٍ، ولا يُوضّح أي معنى منها يقابل (اشتّم). وهذا المنهج يتناقض مع افتراضنا أن اختلاف المبني (أو تعدده) يؤشّر على اختلاف المعنى (أو تعدده).

٤١. يُعَرِّف الوسيط (تَشَمَّم) بمعنى (شَمَّ)، دون أن يبين أي معنى من معاني (شَمَّ)

يقصد. وانظر الهامش ٩٥ أعلاه.

٤٢. تَمَّت معالجة (نشق) و(طاب) في الفاسي الفهري وسالم طه (ن.م.).

٤٣. جاء في اللسان والمعجم الوسيط وم ل ع م ومعجم أخرى أن: «لامس المرأة: جامعها أو باشرها». وهذا المعنى متخيل، وليس من صلب المعنى المعجمي. واستشهد بعضهم بالآية القرآنية: «أو لامستم النساء». وهناك ما يوحى بأن هذه المعاني ليست لغوية معجمية، وإنما هي «ثقافية» خاصة، أو متخيَّلة. ويجدر عدم الأخذ بها في نواة القاموس. والتحليل عينه يصدق على المعاني الجنسية في «باضع» و«ضاجع» وغيرها.

٤٤. لا توجد (تلامس) في جل القواميس العربية، بما فيها الوسيط، وهي موجودة في م ل ع م لمختار عمر.

٤٥. جاء في معجم الدوحة التاريخي أن (لمَسَ) و(الأمَسَ) و(تَلَمَّسَ): مس باليد، بدون تمييز بينها، وكذلك خلط المصادر المتولدة عنها، والمشتقات مثل اسم الفاعل واسم المفعول، كلها تحمل معنى (المس باليد) في معناها الأساسي. إلا أن هذه التعريفات أو الشروح تتنافى ومنهجنا الذي يجعل الصيغ المختلفة للجذر الواحد مختلفة في المعنى، وهي كذلك فعلا، ولا تنوب عن بعضها بعضا.

٤٦. تَمَّت معالجة (مَسَّ) و(حَسَّ) في بتفصيل في الفاسي الفهري وطه سالم (ن.م.).

٤٧. ويذكر م ل ع م من معاني (ذاق) ما لا يُمكن تصوره ضمن معانيها المعجمية، مثل: «ذاق عُسَيْلَةَ المرأة: جامعها»، و«ذاقت كُفَّهُ فلانةٌ: مَسَّها».

٤٨. يجعل الوسيط (تذاوق) و(استذاق) بمعنى (ذاق). وهذا يتنافى مع فكرة اختلاف المبنى مؤشرا على اختلاف المعنى.

٤٩. تَمَّت معالجة هذه الأحداث بتفصيل في الفاسي الفهري وسالم طه (ن.م.).

المراجع

مراجع عربية

- ابن رشد، أبو الوليد. ١٩٩٤. تلخيص كتاب النفس. القاهرة: المكتبة العربية.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. ١٩٩٦. المخصص. تقديم: خليل إبراهيم جفال. بيروت: دار إحياء التراث.
- ابن منظور، محمد جمال الدين. (د.ت). لسان العرب. تقديم عبد الله العلالى. إعداد وتصنيف يوسف إحياط. بيروت: دار لسان العرب.
- ابن هشام، جمال الدين الأنصاري. ١٩٩٢. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. بيروت: دار الفكر.
- أنيس، إبراهيم. ١٩٩٢. في اللهجات العربية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ط ٨.
- بدوي، السعيد. ١٩٧٣. مستويات اللغة العربية في مصر. القاهرة: دار المعارف.
- جاد، يسرية حسين السيد. ٢٠١٦. أفعال الحواس في اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.
- حسان. تمام. ١٩٧٣. اللغة العربية، معناها ومبناها. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- زاده، حميد عباس، وأصفهاني، محمد خاقاني. ٢٠١٥. تراسل الحواس في ضوء القرآن الكريم، وظائف وجماليات. مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها. ع ٢١.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دار الجيل.

- الشرتوني، سعيد. ١٩٩٢. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد. بيروت: لبنان ناشرون.
- العروصي، بشرى، وبوغابة، عبد الإله. ٢٠٠٦. أفعال الحواس في اللغة العربية: المعجمة والسماة النسقية. القنيطرة: المطبعة السريعة.
- عمر، أحمد مختار. ٢٠٠٨. معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.
- العمري، نادية. ٢٠١٨. أسئلة العربية في التركيب والمعجمة والدلالة. منشورات كلية علوم التربية، الرباط.
- الفاسي الفهري، عبد القادر. ١٩٨٦. المعجم العربي، نماذج تحليلية جديدة. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- الفاسي الفهري، عبد القادر. ١٩٩٧. المعجمة والتوسيط. الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الفاسي الفهري، عبد القادر. ٢٠١٣. السياسة اللغوية في البلاد العربية. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- الفاسي الفهري، عبد القادر. ٢٠١٤. المعجم الذهني العربي الجديد. محاضرة افتتاحية. تونس: جامعة منوبة.
- الفاسي الفهري، عبد القادر. ٢٠١٦. دور الجذور والإغصان الوظيفي في الحوسبة البنائية للكلمات والمركبات. محاضرة افتتاحية. الدار البيضاء: جامعة الحسن الثاني عين الشق.
- الفاسي الفهري، عبد القادر. ٢٠١٩. العدالة اللغوية والنظامية والتخطيط. عمان: دار كنوز المعرفة.
- الفاسي الفهري، عبد القادر. ٢٠٢٠. المعجم العربي البنائي التنوعي. ورقة توصيفية. الرباط جمعية اللسانيات بالمغرب.
- الفاسي الفهري، عبد القادر، وسالم طه، هدى. ٢٠٢٠. أوضاع الإدراك

- وأدوارها وأصنافها في اللغة العربية: دراسة معجمية بنائية تنوعية مقارنة.
 أبو ظبي: وزارة التربية والتعليم، والعين: جامعة الإمارات العربية المتحدة.
- الفيروزابادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب. ١٩٣٥. القاموس المحيط. القاهرة: المكتبة التجارية.
 - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين. ١٩٦٤. الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية. ط ٢.
 - مصطفى، إبراهيم، وآخرون (مجمع اللغة العربية بالقاهرة). المعجم الوسيط. إسطنبول: مؤسسة الدعوة.
 - المنجد في اللغة العربية المعاصرة. ٢٠٠٠. بيروت: دار المشرق.
 - هلال، محمد غنيمي. النقد الأدبي الحديث. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر.

مراجع إلكترونية

- الأنطولوجيا العربية: <https://ontology.birzeit.edu>
- الديوان: <https://www.aldiwan.net>
- المدونة اللغوية العربية الدولية: <https://www.bibalex.org/ica/ar/login.aspx>
- الباحث العربي: <http://www.baheth.info>

مراجع أجنبية

- Aikhenvald, A. 2004. Evidentiality. Oxford: Oxford University Press.
- Al-Ameedi, R. & L. Mayuuf. 2016. Semantic extension in verbs

of touch in English and Arabic. *Journal of Human Sciences* 23.1: 532–544.

- Borer, Hagit. 2005. *Structuring Sense*. 2 Vol. Oxford: OUP.
- Bresnan, J. 1994. Locative inversion and the architecture of Universal Grammar. *Language* 70: 72–131.
- Chomsky, N. 1986. *Knowledge of Language: Its Nature, Origin, and Use*. New York: Praeger.
- Chomsky, N. 1995. *The Minimalist Program*. Cambridge: The MIT Press.
- Classen, C. & D. Howes 1996. *Making Sense of Culture: Anthropology as a Sensual Experience*. *Etnofoor* 9.2: 86-96.
- Copley, B. & H. Harley. 2015. A force-theoretic framework for event structure. *Linguistics and Philosophy* 38:103–58.
- Croft, W. 1991. *Syntactic Categories and Grammatical Relations: The Cognitive Organization of Information*. Chicago. IL: University of Chicago Press.
- Dehaene, S. 2006. *The Number Sense*. Oxford: OUP.
- Dowty, D. 1979. *Word Meaning and Montague Grammar*. Dordrecht: Reidel.
- Evans, N. & D. Wilkins. 2000. In the mind's ear: the semantic extensions of perception verbs in Australian languages. *Language* 76: 546–92.
- Fassi Fehri, A. 2012. *Key Features and Parameters in Arabic Grammar*. Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins.
- Fassi Fehri, A. 2018. *Constructing Feminine to Mean: Gender,*

Number, Numeral, and Quantifier Extensions in Arabic. Lexington Books.

- Fassi Fehri, A. 2020. Number and Gender Convergence: The Arabic Plurative. *Catalan Journal of Linguistics* 19: 1-52.
- Ferguson, C. 1959. The Arabic koine. *Language* 35: 616-630.
- Gärdenfors, P. 2019. From Sensations to Concepts: a Proposal for Two Learning Processes. *Rev. Phil. Psych.* 10: 441–464
- Gisborne, N. 2010. *The Event Structure of Perception Verbs*. Oxford: OUP.
- Goldberg, A. E. 2006. *Constructions at Work: The Nature of Generalization in Language*. Oxford: Oxford University Press.
- Goldsmith, J. 1979. The thematic nature of see. *Linguistic Inquiry* 10: 347–52.
- Gruber, J. S. 1967. Look and see. *Language* 43: 937–47.
- Gruber, J. S. 1976. *Lexical Structures in Syntax and Semantics*. Amsterdam: North-Holland.
- Hale, K. & J. Keyser. 2002. *Prolegomenon to a Theory of Argument Structure*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Halle, M. & A. Marantz. 1993. Distributed morphology and the pieces of inflection. In *The view from Building 20*, 111–76. Cambridge, MA: The MIT Press.
- Harley, H. 2014. On the identity of roots. *Theoretical Linguistics* 40.3-4: 225-276.
- Higginbotham, James. 1985. On semantics. *Linguistic Inquiry* 16: 547–93.

- Higginbotham, James. 2005. Event positions: Suppression and emergence. *Theoretical Linguistics* 31: 349–58.
- Ibrahim, Z. 2011. Lexical variation: Modern Standard Arabic. *EALL* Vol. 3, 13-21.
- Jackendoff, R. 1983. *Semantics and Cognition*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Jackendoff, R. 1990. *Semantic Structures*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Jumaah , Ruaa Talal et al. 2020. A Cognitive Semantic Analysis of Arabic Verb of Visual Perception رَأَى (raʾa) in Fiction Writing. *SAGE Open*, 1–12.
- Krashen. 2004. *Explorations in Language Acquisition and Use*. Portsmouth: Heinemann.
- Langacker, R. 1991. *Foundations of Cognitive Grammar*, vol. 2. Palo Alto, CA: Stanford University Press.
- Levin, B. 1993. *English Verb Classes and Alternations: A Preliminary Investigation*. Chicago, IL: University of Chicago Press.
- Marantz, Alec. 1997. No escape from syntax. *UWPL* 4: 201-225.
- Marantz, Alec. 2001. *Phases and Words*. Ms. New York University.
- Miller, G., & P. Johnson-Laird. 1976. *Language and Perception*. Cambridge MA: Harvard University Press.
- Mroczko-Wąsowicz, A. & D. Nikolić. 2014. Semantic mechanisms may be responsible for developing synesthesia. *Frontiers in Human Neuroscience* 8, 509.

- Parsons, T. 1990. Events in the Semantics of English. Cambridge: MIT Press.
- Pustejovsky, J. 1991. The syntax of event structure. Cognition 41: 47–81.
- Ramchand, G. 2008. Verb Meaning and the Lexicon: A First-phase Syntax. Cambridge: Cambridge University Press.
- Rosch, E. 1978. Principles of categorization. In E. Rosch and B. Lloyd eds. Cognition and Categorization, 27–48. Hillsdale, NJ: Erlbaum.
- Ryle, G. 1949. The Concept of Mind. London: Hutchinson.
- Talmy, L. 2000. Toward a Cognitive Semantics. 2 vols. Cambridge: MIT Press.
- Van Develde, R. 1977. Mistaken views of see. Linguistic Inquiry 8: 767-71.
- van Gelderen, E. 2018. The Diachrony of Verb Meaning. New York: Routledge.
- Vendler, Z. 1967. Linguistics in Philosophy. NY: Cornell University Press.
- Verkuyl, H. 1993. A Theory of Aspectuality: The Interaction between Temporal and Atemporal Structure. Cambridge: Cambridge University Press.
- Viberg, Ake. 1983. The verbs of perception: A typological study. In Butterworth B. et al. eds. Explanations for language universals, 123-162. Mouton de Gruyter.
- Viberg A. 2015. Sensation, Perception and Cognition. Swedish

in a Typological-Contrastive Perspective. *Functions of Language* 22.1: 96-131.

- Ward, J. 2013. Synaesthesia. *Annual Review of Psychology* 64:49–75.
- Ward, J. & J. Simner. 2003. Lexical-gustatory synaesthesia: linguistic and conceptual factors. *Cognition* 89:237–61
- Wierzbicka, A. 1996. *Semantics. Primes and Universals*. Oxford: OUP.
- Wehr, H. 1961. *A Dictionary of Modern Written Arabic*. Cowan J. M. translator & editor. Wiesbaden: Otto Harrassowitz.
- Yang, C. 2016. *The price of linguistic productivity: How children learn to break the rules of language*. Cambridge MA: The MIT Press.

تركيب الجذر ومَقُولَتَه في العربية: مقارنة أدنوية

د. عبد الحق العَمْرِي^١

الملخص

نسعى في هذا المقال إلى تبيان كيفية بناء الجذر ومَقُولَتَه في اللغة العربية، في ضوء الأدنوية القوية، وذلك بمحاولة الإجابة عن الإشكالات المرتبطة بالخصائص التركيبية التي تميز الجذور في هذه اللغة، وكيفية تَصَوُّر البرنامج الأدنوي للجذور، ثم محل ضم الجذور في اللغة العربية، وكيفية بنائها ومَقُولَتَها في ضوء هذا البرنامج. وندافع عن فرضية مفادها أن الجذور ملحقات للرأس المَقُول. وللاستدلال على هذه الفرضية، نبين خصائص الجذور تركيبياً، وكيفية بنائها في العربية، ثم نُبَيِّن مَحَلَّ ضم الجذر ومَقُولَتَه في اللغة العربية في ضوء عملية الضم، وكذا العنونة المصاغة في أعمال تشومكي الأخيرة.

الكلمات المفتاحية: جذر، تركيب، مَقُولَة، برنامج أدنوي، ضم، عنونة، رأس

مُقُول

١- أستاذ مؤهل (تخصص لسانيات) بالكلية متعددة التخصصات بالناظور، بجامعة محمد الأول وجدة، المغرب.

أرسل البحث بتاريخ ٢٠٢١/٠٤/٠١، وقيل للنشر بتاريخ ٢٠٢١/٠٥/٠٤

The Syntax of Root and its Categorization in Arabic in light of a Minimalist Approach

ABDELHAK EL OMARI [1]

Abstract

The purpose of the present article is to show how roots are constructed and categorized in Arabic, in light of the strong minimalist approach. An attempt will be made to answer the problematics related to the syntactic characteristics of roots in Arabic, and how they are conceptualized in the minimalist program. We defend the hypothesis that roots are adjuncts of the categorizing head. In support of this hypothesis, the syntactic characteristics of roots in Arabic and how they are constructed are discussed. The locus of roots and their categorization in Arabic will then be discussed in light of the merge operation, as well as the label formulated in Chomsky's recent works.

Key words: Root, syntax, Categorization, minimalist program, merge, label, categorizing head

1- Professor of Linguistics, Polydisciplinary Faculty of Nador, Mohammed The first University, Oujda, Morocco.

المقدمة

يُدرِكُ الباحثُ اللساني أن الظواهر اللغوية تبقى هي هي، أو قد تتطور، لكن دراستها ومقاربتها يجب أن تتجدد تبعاً لتطور النظريات اللسانية. فقد دُرِسَ الجذر (Root) في إطار الصرف الموزع (Distributed Morphology)؛ وذلك ما تُبَيِّنُهُ أعمالٌ عديدة منها هالي ومرنتز (١٩٩٣) وأمبيك ومرنتز (٢٠٠٨) وتورايب (٢٠١٥). وتعددت القضايا والإشكالات التي يثيرها الجذر؛ حيث نوقش هذا الموضوع من حيث ماهيته كما في هارلي هايدي (٢٠١٤)، وكذا كيفية بنائه على نحو ما نجد في ألكسيادو ولوهندال (٢٠١٧)، واشتقاقه ومَقُولَتَه كما في عمل بورر (٢٠١٤). ويرصدُ هذا المقال الموسوم بـ «تركيب الجذر ومَقُولَتَه في العربية: مقارنة أدنوية»^(١) محلَّ (Locus) ضم الجذر في اللغة العربية في ضوء البرنامج الأدنوي (The Minimalist Program). وسندافع عن فرضية مفادها أن الجذور تُضَمُّ كنعوت أو ملحقات للرأس المَقُول (The Categorizing Head). ولذلك نسعى، في هذا المقال، إلى الإجابة عن الإشكالات التالية: ما الخصائص التركيبية التي تميز الجذور في اللغة العربية؟ كيف تبنى هذه الجذور في النحو التوليدي (قبل البرنامج الأدنوي)؟ كيف يتصوّر البرنامج الأدنوي الجذور؟ ما محل ضم الجذور في اللغة العربية؟ كيف تُتمَقُولُ الجذور في اللغة العربية في ضوء الأدنوية؟

وللدفاع عن فرضيتنا، نتبع المنهجية التالية: نحدد، في المحور الأول، الإطار النظري لهذا العمل ومسوغات اعتماده، ونحدد، في المحور الثاني، خصائص الجذور في اللغة العربية تركيبياً. ولكي تتضح أبعاد المعالجة الأدنوية للجذور، نبرز بإيجاز، في المحور الثالث، تصور الصرف الموزع لهذا الموضوع. ونخصص المحور الرابع لكيفية بناء الجذر في العربية قبل الأدنوية، ثم نبين محلَّ ضم الجذر ومَقُولَتَه في العربية في

ضوء الأدنوية، ونختم بخلاصة.

١- الإطار النظري: البرنامج الأدنوي

يُشكّل البرنامج الأدنوي نموذجاً لتجاوز ثغرات نظرية المبادئ والوسائط المقترحة في تشومسكي (١٩٨١)، ومراجعة نقائصها وتصحيح هفواتها، وليس إلغاء لها، بل تطويراً لمكتسباتها ولنتائجها التجريبية وإنجازاتها الصورية. وهذا البرنامج «امتداد طبيعي لصيغ سابقة للنحو التوليدي الذي ظهر في صورة شبه مكتملة في البنية المنطقية للنظرية اللسانية منذ ١٩٥٥» (الفاسي الفهري، ٢٠١٠، ص ٥). كما أن تشومسكي كان يرى أن نظرية الربط العاملي كفيلة بتحقيق درجة عالية من الكفاية التفسيرية بالنظر إلى قوة كفايتها الوصفية. لكن تبين أن هذه النظرية اتسمت بجملة من النقائص التي تتمثل في اهتمامها بالخصائص الداخلية للملكة اللغوية، وحشوية مستويات التمثيل، وعدم الوصول إلى مستوى الكفاية التفسيرية باعتبارها هدفاً أساسياً للنحو الكلي. واتجه البحث في البرنامج الأدنوي إلى «مستوى من التفسير أعمق من الكفاية التفسيرية» (تشومسكي، ٢٠٠٤، ص ١٠٥). ويُمثّل هذا البرنامج «أحد أبرز التشكلات الجديدة للبحث في تحديد معالم المعرفة اللغوية، أو خصائص النحو باعتباره عضواً ذهنياً، أو ملكة بشرية تدخل دراستها ضمن دراسة أعم هي دراسة المعرفة» (الفاسي الفهري، ٢٠١٠، ص ٥).

ولقد انفتح البرنامج الأدنوي على سؤال جديد، فرضته خصائص الاقتصاد (Economy) والبساطة (Simplicity) والإيجاز (Non-redundancy) التي تُسَيِّر الأبنية النحوية، هو: «إلى أي مدى تتسم اللغة بالكمال؟» (How "perfect" is language?) (تشومسكي، ١٩٩٥، ص ٩)، ذلك أن «البحوث التوليدية سابقاً لم تهتم بتقصي جانب الامتياز والكمال في اللغة، بل وجهت اهتماماتها نحو الآليات التي يشتغل وفقها الدماغ لتحقيق اللغة، دون سعي نحو تحديد مدى تفرد هذا النشاط بالقياس إلى الأنظمة «العرفانية»^(٢) الأخرى» (المكي، ٢٠١٣، ص ١٩٨).

وقد أعاد تشومسكي (١٩٩٨) صياغة السؤال (إلى أي مدى تتسم اللغة بالكمال؟) على النحو التالي: كيف تتسم الملكة اللغوية بحسن التصميم؟ و«لذا تحول

السؤال عن مدى جودة تصميم النظام اللغوي في حد ذاته، أي في إطار وظيفته التواصلية، إلى سؤال حول جودة التصميم بالقياس إلى البنية العضوية الداخلية برمتها. وهذا ما مثّل الجِدَّة في البرنامج الأذنوي؛ وهو ما تسعى التوليدية إلى الإجابة عنه، فأضافت مفهوماً جديداً هو مفهوم «الوجهة» (Interface)^(٣)، وهو تصور يوضح التعامل بين نظام اللغة العرفاني وأنظمة عرفانية خارجية» (المكي، ٢٠١٣، صص ١٩٩ - ٢٠٠).

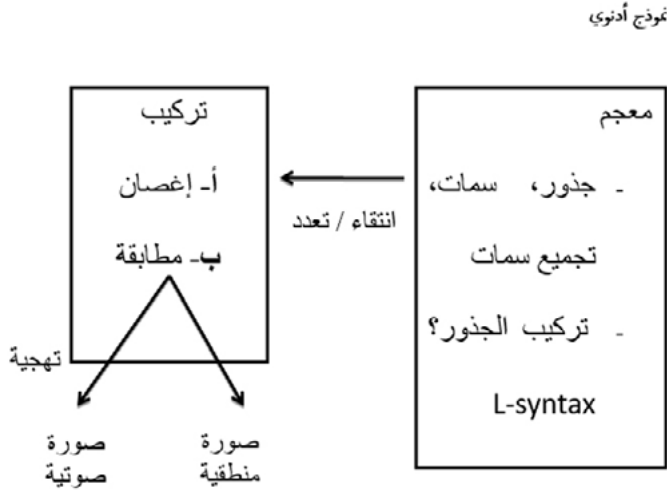
وما يميز البرنامج الأذنوي، أيضاً، هو «اعتبار اللغة نظاماً محكماً (Perfect System) ذا تصميم أمثل (Optimal Design)؛ ومعنى هذا أن أنحاء اللغات الطبيعية تتناسب جيداً والأنساق الذهنية الأخرى التي تتفاعل معها، وخاصة أنظمة الفكر والنطق» (الفاسي الفهري، ٢٠١٠، ص ٥). ويوجب البرنامج الأذنوي «إخضاع الافتراضات التقليدية للتقضي المتأني، وأكثر القضايا وضوحاً أن للغة صوتاً ومعنى، وترجم هذه القضية في المصطلحات الجديدة إلى الدعوة التي تقضي بأن الملكة اللغوية تلتقي بالأنظمة الأخرى للذهن / الدماغ عند مستويين وجيهين (Interface Levels) يتصل أحدهما بالصوت والآخر بالمعنى» (تشومسكي، ٢٠٠٠، صص ٩ - ١٠).

وتُشكّل أعمال تشومسكي (١٩٩٣ و ١٩٩٥ و ١٩٩٨ و ١٩٩٩ و ٢٠٠٤ و ٢٠١٣ و ٢٠١٤) الإطار العام للبرنامج الأذنوي «الذي خطط معاملة تشومسكي ابتداءً من سنة ١٩٩١» (الفاسي الفهري، ١٩٩٨، ص ١٢). ويمكن التمييز بين صيغتين في البرنامج الأذنوي: أدنوية أولى عبر عنها تشومسكي في أعماله (١٩٩٣ و ١٩٩٥)، وأدنوية قوية عبر عنها تشومسكي في أعماله (١٩٩٨ و ١٩٩٩ و ٢٠٠٠ و ٢٠٠٤ وما بعدها).

وسنركز، في هذا العمل، على الصيغة الثانية أي الأذنوية القوية؛ لأن الصيغة الأولى في البرنامج الأذنوي لها طريقة تصور خاصة للمعجم؛ إذ تفترض أن الوحدات المعجمية كاملة التصريف في المعجم^(٤)، جاهزة لدخول البنية التركيبية، حاملة لكل سماتها (Features). و«هذا الافتراض سيؤدي بالنظرية إلى التشريع

لوجود هذه السمات داخل البنية» (المكي، ٢٠١٣، ص ٢٣٠). أما في الصيغة القوية، التي تهدف إلى البحث عن مستوى من التفسير أعمق من الكفاية التفسيرية؛ فلم تعد المقولات المعجمية قائمة، وإن ما يسقط في التركيب هو الجذر، ويحدد الضم اللاحق نمط مقولة الجذر (تشومسكي، ٢٠٠٤).

ويتميز البرنامج الأدنوي بالمقاربة الاشتقاقية^(٥) (تشومسكي، ١٩٩٨، ص ١٦) (Derivational Approach). ويمثل التصميم المقترح (١) موقع الجذور في بنية النحو في البرنامج الأدنوي:



(الفاسي الفهري، ٢٠١٠، ص ٧)

وفيما يلي توضيح للتصميم (١):

يَعْتَبِرُ تشومسكي (٢٠٠٠) الملكة اللغوية (Language Faculty)، بما هي فرضية ظلت توجه البحوث التوليدية، مكونا من مكونات الذهن/ الدماغ البشري، حيث «يمكن أن ننظر إلى الملكة اللغوية بشكل معقول على أنها «عضو للغة» بالمعنى نفسه الذي يتحدث به العلماء عن نظام الإبصار، أو نظام المناعة، أو نظام الدورة الدموية بوصفها أنظمة للجسد» (تشومسكي، ٢٠٠٠، ص ٤). وتحدد الحالة الذهنية الأولى من الملكة اللغوية مجموعة من {السمات} التي تملكها اللغات. وتقوم كل لغة بانتقاء مرة واحدة لمجموعة فرعية [سمات] من {السمات}، وتقوم مرة واحدة

بتجميع عناصر [السمات] لتكوين منظومة معجمية. وبعبارة أوضح، تبنى جمل اللغة في التصميم (١) بانتقاء الوحدات من المعجم لتكوين تعداد أو منظومة^(٦). ويشمل المعجم (المعجم الضيق) عند تشومسكي «مجموعة من السمات من قائمة السمات التي يتيحها النحو الكلي، وتستعملها اللغات عجزاً نهائية (العجز التي يمكن دمجها) في التركيب» (تورابي، ٢٠١٥، ص ٧١).

ولاشتقاق بنية ما، فإن اللغة تتضمن ثلاثة مكونات: التركيب الضيق^(٧) (Narrow Syntax) الذي يربط المنظومة بالاشتقاق، والمكون الصوتي (Phonological Component) الذي يربط الاشتقاق بالصوت أي الصورة الصوتية، والمكون الدلالي (Semantic Component) الذي يربط الاشتقاق بالمعنى. وفي الحالة المثلى، تستجيب عمليات الربط لقيد التضمن، الذي يمنع إدخال أي عنصر جديد ويسمح فقط بإعادة تنظيم العناصر الموجودة سلفاً في المجال. ويفترض تشومسكي (٢٠٠٤) أن المكونات الثلاثة سلكية. ولم يعد هناك مجال للصورة المنطقية في إطار التصور المقدم، فالحوسبة تنقل المنظومة إلى صوت ومعنى، قطعة، قطعة بشكل سلكي. وعليه، فقد استغني عن خصائص الصورة المنطقية وعن تأويلها، بالمعنى الدقيق، على الرغم من أن الصواتة والدلالة تقومان بتأويل الوحدات التي تعد جزءاً من شيء يشبه الصورة المنطقية بمفهومها غير السلكي. وهذه الوحدات هي المراحل^(٨)؛ وينبغي أن تكون المراحل (Phases) قسوية، بمعنى أن كل مرحلة لها بنيتها الموضوعية التامة؛ وعلى هذا الأساس، هناك مرحلتان قويتان هما مرحلة المصدرية ومرحلة الفعل الخفيف^(٩) (تشومسكي، ٢٠٠٤، ص ١٠٧).

ويعتمد التركيب الضيق، حسب تشومسكي (٢٠٠٤)، على عملية الضم الحرة ويلزم عن الأذنوية القوية أن عملية الضم (Merge) غير مقيدة سواء أكان الضم خارجياً أم داخلياً. وتقوم عملية الضم الخارجي بتكوين الوحدات المعجمية (الكلمات) في مركبات تركيبية، وتقوم عملية الضم الداخلي أو النقل بنقل المركبات لفحص أو مطابقة^(١٠) سماتها الصرف - تركيبية بالسمات المجردة للمقولات التركيبية. وفي الضم الداخلي يكون الموضوعان المركبان منفصلين، وفي الضم الداخلي، تعد الوحدة جزءاً من الأخرى (تشومسكي، ٢٠٠٤، ص ١٠٨). وتأخذ عملية الضم

عنصرين بُنِيَا سلفا: (أ) و(ب)، وتنتج (تخلق) عنصرا جديدا مكونا من العنصرين السالفين: {أ، ب}، وينظر إلى العنصر الجديد على أنه إسقاط لرأس معين هو (أ) أو (ب). ويفترض تشومسكي أن تعيين الإسقاط {أ، ب} يتم بواسطة (أ) أو (ب)؛ أي العنونة (Label)، و«تكون العنونة دائما رأسا» (A label then, is always a head) (تشومسكي، ٢٠٠٤، ص ١٠٩). كما أن العنونة تحرك الحوسبة وتنحصر في مجالها، والعنونة هي المقولة التي تؤمن البحث الأدنى (Minimal Search)، تبعا للفرضية الأدنوية القوية.

ويعتمد البرنامج الأدنوي على مجموعة من المبادئ التي تضبط عملية اشتقاق العبارة اللغوية، يَهْمُنَا منها مبدأ التضمن (Inclusiveness) الذي يمكن صياغته على النحو التالي:

لا يسمح الاشتقاق إلا بما وفره التعداد (يمنع النفاذ إلى وحدات معجمية أخرى أو سمات إضافية).

وبعد هذا التحديد الموجز للإطار النظري، سنبين، في المحور الموالي، خصائص الجذور في اللغة العربية تركيبيا^(١١).

٢. الخصائص التركيبية للجذور في اللغة العربية

تشكل الجذور «المادة الصامتة الأصلية» (الفاسي الفهري، ٢٠١٨، ص ٤٨). وتعتبر الجذور سواء في الدراسات اللغوية العربية القديمة، أو في الدراسات اللسانية المعاصرة مؤلفة من حروف (صوامت) ولا يمكنها أن تتضمن حركات (صوائت). و«نجد عند اللسانيين المعاصرين، كرنبرغ (١٩٥٠) وكوهن (١٩٦٠) وبوهاس (١٩٨٤) الموقف نفسه المعتبر الجذور في العربية وحدات مكونة فقط من الصوامت» (التاقي، ٢٠١٨، ص ١٥). وتبعا لِدِي بلدر مارجيك وجيروين فان كرانبروك (٢٠١٥) تتميز الجذور بخصائص أو مسلمات (Axioms) نبرزها على النحو التالي:

أ. الجذور ليست لها سمات نحوية محددة: (Roots have no grammatical features)

بَيَّنَت بورر (٢٠٠٥ أ) أن الجذور لا تملك سمات نحوية محددة، فالجذر يستعمل

بطرق مختلفة؛ قد يكون اسماً أو فعلاً. فالجذر (س.ل.م) قد يركب اسماً (سالم، سليم، سلامة...) وقد يستعمل فعلاً (سَلِمَ، يَسْلُمُ، سَلَّمَ، يَسَلِّمُ...) وهذه الخاصية ليست خاصة باللغة العربية وحدها؛ بل توجد في لغات أخرى. فالمدخل المعجمي (Stone) في اللغة الانجليزية يستعمل بطرق مختلفة، فعلاً أو اسماً كما في الأمثلة التالية:

I have a stone in my hand (١)

(لدي حجرٌ في يدي)

There's too much stone in this room (٢)

(هناك الكثير من الأحجار في هذه الغرفة)

They want to stone this man (٣)

(يريدون أن يرموا هذا الرجل)

تبرز الأمثلة (١ و ٢ و ٣) أعلاه، في اللغة الإنجليزية، أن الجذر (stone) = حجر استعمل اسماً (a stone) كما في الجملة (١)، واستعمل فعلاً (to stone) كما في الجملة (٣). ومعنى هذا، أن الجذر ليست له سمة نحوية ملازمة له.

ب. الجذور لا تملك مقولة تركيبية (Roots have no syntactic category)

تبعاً لألكسايدو ولوهندال (٢٠١٧) فإن الجذور لا تُتَمَقَّوَل إلا بعد دخولها التركيب، إذ «لا تملك الجذور مقولة تركيبية، فهي محايدة مقولياً»^(١٢) (Category Neutral)، ولا تُتَمَقَّوَل إلا بعد أن تدخل التركيب» (الكسايدو ولوهندال، ٢٠١٧، ص ٥٢٠). فـ «إذا افترضنا أن الجذر هو الذي يسقط في التركيب، فإن هذا الأخير لا يمكن أن يكون مخصصاً مقولياً في المعجم، وذلك لأن نفس الجذر يصلح لتكوين الأسماء والأفعال والصفات، إلخ، فلا يرث السمة المقولية إلا عندما يدخل التركيب» (الفاسي الفهري، ١٩٩٠، ص ٤٧).

ت. الجذور تُضَمُّ أسفل من العناصر الوظيفية. (Roots are merged lower

(than functional material

تعلو المقولات الوظيفية الجذور في التمثيل الشجري، ولا تحل الجذور في موقع العناوين كما سنيين في المحور الرابع أسفله، بل تحل في موقع أسفل من المقولات الوظيفية، ويبين (٤)^(١٣) التالي أن محل (LOCUS) الجذر أسفل من الفعل الخفيف ف:

(٤) [ف ف ٧ جذر]

ث. الجذور محددة بنيويا لا معجميا (Roots are defined structurally, no (lexically)

وتبعاً لـ (بلدر مارجيك وجيروين فان كرانبروك، ٢٠١٥)، فإن الجذور لها سمات غير محددة في المعجم.

هكذا يتبين أن الجذور في اللغة العربية مؤلفة من حروف (صوامت) ولا يمكنها أن تتضمن حركات (صوائت). كما أن الجذور ليست لها سمات ومقولات تركيبية محددة في المعجم، وأنها تحل أسفل من المقولات الوظيفية.

هذه، إذن، بعض الخصائص التركيبية للجذور في اللغة العربية؛ وهي خصائص لا تخص اللغة العربية وحدها، بل توجد في لغات أخرى كاللغات السامية. ولكي تتضح خصوصيات المعالجة الأدنوية للجذور نبرز، في المحور الموالي، تصور الصرف الموزع لتركيبها، قبل تبيان كيفية بناء الجذر ومقولاته في اللغة العربية في ضوء البرنامج الأدنوي.

٣. تصور نظرية الصرف الموزع للجذور

تدخل نظرية الصرف الموزع في إطار النقاش الكبير الدائر حول منزلة الصرف في النحو التوليدي. إذ دار «نقاش حول استقلال الصرافة، أو عدم استقلالها، عن التركيب والصوائت، أو عن المعجم، والذين يسلمون باستقلالية الصرافة، لا يتفقون دائماً حول مجالها» (الفاسي الفهري، ٢٠١٨، ص ٤٧). وتعددت النظريات والمقاييس للفصل بين ما يمكن معالجته في التركيب أو المعجم أو الصرافة أو الصوائت مدرجة معالجة الكلمة داخل هذا المكون أو ذاك^(١٤). ويرى هالي ومرنتر (١٩٩٣) أن أصل التسمية يرجع لإبراز كون آلة ما سُمي قديماً بالصرف ليس مركزاً في مكون

واحد من النحو، ولكنه بالأحرى موزع على مكونات متعددة مختلفة. و«الجوهري في النظرية، إذن، هو أن هناك آلة توليدية واحدة هي التركيب أو العمليات الحاسوبية، ولا وجود للمعجم. والصرافة، باعتبارها مستوى وسيطا بين التركيب والصوارة، تقوم بعمليات التهجية (أو إدراج المداخل المفردية) وتطبيق بعض التعديلات قبل تأويل البنيات الناتجة صوتياً» (تورابي، ٢٠١٥، ص ٦٩).

وتتميز نظرية الصرف الموزع، تبعاً (لتورابي، ٢٠١٥، ص ٧٠) بثلاث خاصيات أساسية هي كالتالي:

أ. الإدماج المتأخر للوحدات المفردية في العجر النهائية التي تنتظم بمبادئ التركيب وعملياته.

ب. التخصيص الأدنى، إذ إن الوحدات المفردية لا تكون مخصصة تخصيصاً تاماً من حيث سمات العجر التي تدمج فيها. وهذا يفسح المجال لإمكان تنافس هذه الوحدات للإدماج. والوحدات التي تكون أكثر تخصيصاً هي التي تدمج أولاً. وعلاوة على هذا، يجب ألا تتعارض سمات الوحدة المفردية مع سمات العجرة، كما أنه لا يشترط أن توافق الوحدة كل سمات العجرة.

ج. البنيات التراتبية التي تأتي من التركيب يمكن أن تعدل في الصورة الصوتية بواسطة عمليات صرافية يمكن أن تضم عجرتين، أو تصهرهما، في عجرة واحدة، أو تشطر عجرة واحدة إلى عجرتين، أو تحذف سمة معينة.

ويتعامل التركيب في الصرف الموزع مع نوعين من النهائيات: صرفيات وظيفية، وجذور. وتتكون الصرفيات الوظيفية من سمات غير صوتية. وتكون الجذور طبقة مفتوحة من المفردات، وهي محايدة مقولياً. فكل جذر يجب أن يؤلف برأس وظيفي يحدد المقولة. و«لا شك أن العديد من طروحات الصرف الموزع مهمة مثل الإدماج المتأخر، وكون التركيب مسؤولاً عن تحديد بنية الكلمة، وتنافس المفردات في الإدماج المفرد، وأخيراً الإقرار بوجود عدم التناظر بين التركيب والصرافة»

(تورابي، ٢٠١٥، ص ٧٢).

وفي مقابل الصورة التي يقدمها الصرف الموزع، يقترح تشومسكي (١٩٩٣) أن الوجية بين البنية الصرفية الداخلية للفعل والتركيب تتضمن نسقا لفحص السمات بدل إضافة السمات؛ وهذا وجه من وجوه الاختلاف بين نظرية الصرف الموزع والأدنوية.

٤. بناء الجذر ومقولاته في اللغة العربية في ضوء البرنامج الأدنوي

يلاحظ المتأمل في الأبحاث التوليدية قبل الأدنوية (نظرية المبادئ والوسائط) أن بناء الكلمة في اللغة العربية كان يتم بواسطة عملية النقل (أي نقل رأس إلى رأس) التي بُيِّت بشكل واضح في الفاسي الفهري (١٩٩٠). إن المعجم في العربية عبارة عن جذور، وكل جذر يختزل معاني شبكاته الاشتقاقية، والمشتقات لا تظهر إلا في التركيب حين يتم جمع الجذر أو الجذع بالصيغ أو الصرفات. ف«انطلاقاً من جذر (ض. ر. ب) يمكننا أن نحصل في التركيب على «ضرب» و«ضارب» و«مضروب».. الخ. فالخصائص المشتركة بين هذه المقولات تعود إلى اشتراكها المعجمي في نفس الجذر. والخصائص المميزة لا تعود إلى اختلاف الصور الصرفية فحسب، ولكن إلى اختلاف التركيب كذلك» (خيري، ١٩٩٢، ص ١٩٤).

أضف إلى ذلك، أن الكلمات في اللغة العربية يتم تكوينها في التركيب بواسطة عملية النقل؛ فإذا مثلنا للأفعال مثلاً، فإن تكوينها يتم بواسطة ضم جذر إلى جذر إلى صيغة صرفية (ينظر الأمثلة في الفصل الثاني من الفاسي الفهري، ١٩٩٠). و«تعتبر هذه العملية إجبارية في العربية لأن الأفعال لا يمكن تهجيتها إلا بعد تمام هذه العملية» (خيري، ١٩٩٢، ص ١٧٢).

وقد بيّن الفاسي الفهري (١٩٩٠ و ٢٠١٨) أن «الكلمة العربية يتم بناؤها في مراحل؛ من الجذر المجرد إلى الجذر المزيد إلى الجذع البسيط فالمركب فالكلمة التامة. وقد يكون البناء في بعض مراحلها معجمياً، وقد يكون تركيبياً» (الفاسي الفهري،

٢٠١٨، ص ٥٣). وإذا كانت عملية النقل تمكن من بناء الجذر في البرامج التوليدية قبل الأدنوية، فكيف يبنى الجذر ويمقُولُ في البرنامج الأدنوي؟

أشرنا في الإطار النظري إلى أن المقولات لم تعد قائمة في الأدنوية القوية، وأن ما يسقط في التركيب هو الجذر؛ فالمنظومة أو التعداد لا تتضمن مقولات، ويُحدّد الضم اللاحق طبيعة الجذر، وأشرنا كذلك إلى أن عملية الضم غير مقيدة، وأن الجذور غير مُمقولة. وعليه «إذا كان لنا جذر مثل وصل (Arrive)، فإننا لا نعرف ما إذا كان فعلاً (ينتقي موضوعاً داخلياً) أو اسماً (لا يحتاج إلى موضوع داخلي) إلا بعد الانتقال إلى المرحلة الموالية من الاشتقاق، حيث سيكون الأوان قد فات لضم الموضوع الداخلي (بالسلكية)» (تشومسكي، ٢٠٠٤، ص ١١٢).

وللتوضيح، نطلق من الجذر (رأى) لاشتقاق البنية (٥) التالية:

(٥) ف [رأى] [الصورة]]

سيلزم عن ذلك أن الفعل الخفيف ف في (٥) سيقوم بجعل الجذر رأى فعلاً، وهو افتراض معقول، تبعاً لتشومسكي (٢٠٠٤). وينبغي أن نجربنا الضم اللاحق، إذا كان الجذر هو (رأى)، أيضاً، بنوع العنصر؛ أهو الفعل رأى أم الاسم رؤية. وفي الحالة الفضلى، إذن، ينبغي أن يستدعي الضم اللاحق البنية (٦) التالية، حيث (أ) هي العنصر المفعّل ف أو العنصر المؤسّم س:

(٦) {أ، {رأى، مف}}

وإذا كانت أ = س (اسم)، فإن المفعول مف يأخذ إعراباً ملازماً، ويمكن أن يُهجي في هذه الخطوة. أما إذا افترضنا أن أ = ف (فعل)، ففي هذه الحالة، نكون أمام التحليل المتعارف عليه ف - م ف. ينتقل الفعل إلى ف، لكننا مازلنا لا نعرف إلى حد الآن ما إذا هجي أم لا (تشومسكي، ٢٠٠٤، ص ١٢٢).

ونقدم مثالا آخر، يدعم ما سبق. لتأمل العنصرين المضمومين في (٧) التالي:

(٧) {ضرب، الرجل} في المرحلة المبكرة من عملية الضم، لا نعرف أيًا من الموضوعين «الرجل» أو «ضرب» متهجي في مكانه، أو ما إذا كانا ينتقلان بشكل

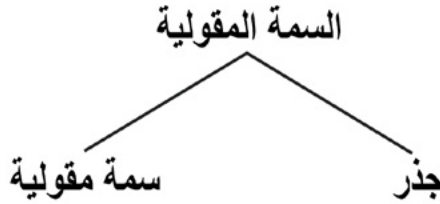
ظاهر ليتهاجي في مكان أعلى. فإذا كانا ينتقلان، فإن التهجية لا يمكن أن تطبق عند مستوى الضم الأول، والنظرية السلوكية لا تفضل الانتظار الطويل لكي نعرف ما إذا كانت (٧) متهجة في مكانها، وبالتالي فإنه لا بد من وجود الضم اللاحق الذي يسند إليه دور تحديد مقولة ذلك الجذر (ضرب). فالضم اللاحق يجب أن يجبرنا عن مقولة الجذر (هل هو ف = ضرب أو س = ضرب)، ويفترض تشومسكي (٢٠٠٤) أن الضم اللاحق يتم إلى العنصر {أ} على النحو المقدم في (٨):

(٨) {أ {ضرب، الرجل}}

حيث أ هي إما مؤسّم (Nominalizer) أو مفعّل (Verbalizer).

ونجيب عن السؤال التالي: ما محل ضم الجذر في العربية؟

تبعاً لاقتراح تشومسكي (٢٠١٣) الذي قدم فيه افتراضات عن العنونة، فإن الجذور لا تملك القدرة على العنونة؛ لأنها تتشكل من معلومات تصورية فقط؛ غير متصلة بالتركيب. ولما كان الجذر غير قادر على منح العنونة، فإن المرشح الوحيد المتبقي هو السمة المقولية (Categorical Feature) كما يوضح الشكل التالي:



يُظهر الشكل، أعلاه، أن الجذر لا يملك القدرة على العنونة؛ ولذلك «يقتضي أي موضوع تركيبى تم تشكيله لاحقاً عن طريق ضم سمة مقولية مع الجذر، والذي يكون واضحاً بشكل مباشر، أن السمة التي يتم ضمها مع الموضوع التركيبى (المركب) ستوفر حتماً العنونة (Label)؛ نظراً إلى أنها الأعلى، ومن ثم فهي الأقرب» (الكساندرا فيركوترين، ٢٠١٧، ص ٨١).

إذن، كيف يتم ضم الجذر وما محله؟

يشكل الضم أهم عملية من عمليات اشتقاق العبارة اللغوية، ذلك أن النحو يولد اشتقاقات تركيبية بواسطة عملية (الضم) (Merge) التي تعد بمثابة تحويل معمم (Transformation Generalized) في الأطروحات التوليدية الأولى. ويحدد الضم، كما أشرنا سابقاً، بكونه «عملية تركيبية تأخذ بنيتين شجرتين وتدمجها في موضوع جديد (K)، ويعني أن الضم يأخذ الموضوعين (α) و(β) لتشكيل الموضوع الجديد (K)، وهذا الموضوع الجديد يحدد بعنوانه» (تشومسكي، ١٩٩٥، ص ٢٤٣). وسندافع، بناء على عملية الضم وكذا العنوان، عن الفرضية المشار إليها أعلاه؛ والتي مفادها أن الجذور تضم كملحقات للرأس المَقُول. ونبين ذلك على النحو التالي:

للدفاع عن فرضية الجذور ملحقات للرأس المَقُول، نتأمل (٩) و(١٠) التاليين:

(٩) [ف ف جذر]

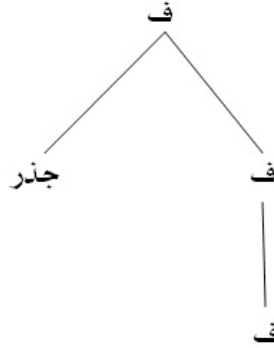
(١٠) [*ف جذر ف جذر]

نسعى إلى التأكيد على أن النحو لا يولد بنية يكون فيها الجذر عنونة للعنصر المَقُول (Categorized). والطريقة الوحيدة للتأكد من عدم حصولنا على (١٠) اللائحة أعلاه، تكمن في اقتراح أن الجذور تضم، دائماً، باعتبارها نعوتاً أو ملحقات لرؤوسها المَقُولَة (Modifiers of Adjuncts to their categorizing head). (ألكسيادو ولوهندال، ٢٠١٧، ص ٢١٩). فكيف يتم، إذن، ضم الجذور كملحقات أو نعوت للرأس المَقُول؟

للإجابة عن هذا الإشكال، يفيدنا عمل تشومسكي (٢٠٠٤) الموسوم بـ «ما بعد الكفاية التفسيرية» الذي يميز فيه بين ضم المجموعة (Set Merge) وضم الزوج (Pair Merge)؛ حيث يُؤلّد الأول (ضم المجموعة) بشكل اعتيادي مجموعة غير مرتبة. ويعتبر الثاني، أي ضم الزوج، شكلاً من أشكال الضم الذي يولد زوجاً مرتباً في البنية. وتبعاً لتشومسكي، يوافق (Corresponds) الإلحاق (Adjunction) «ضمّ الزوج». فكيف يعمل الإلحاق؟

يُعدّ وجود عملية الإلحاق اللامتناظرة، تبعا لتشومسكي (٢٠٠٤)، معطى تجريبيا يأخذ بنتين (ب) و(أ)، ويكون الزوج المرتب <أ، ب> حيث (أ) ملحقة ب (ب). والترتيب مطلوب فقط في الصواتة؛ فداخل الصوت، تدمج (أ) في <أ، ب>، ووفقا للتهجئة، بشكل عام، فإن الترتيب ليس جزءا من التركيب الضيق. (تشومسكي ٢٠٠٤، ص ١١٩) وبالنظر إلى محل ضم الجذر، يكون الجذر (ب) ملحقا ب مركب (أ) ويحدد المركب (أ) عنوانه للجذر (ب). وفي حالات الإلحاق، وتبعاً لـ (ألكسيادو ولوهندال، ٢٠١٧، ص ٢١٩ - ٢٢٠)، يركب أو يضم المركب الملحق (ب) مع مركب آخر (أ)؛ وعادة ما يسقط (أ) العنوانه (دونتي، ٢٠٠٦). ومن هذا المنطلق، تتفاعل الجذور مع المَمَقُولَات (Categorizers) بالطريقة المماثلة التي تتفاعل بها الملحقات مع الجزء غير الملحق في البنية. فنحصل على البنية (١١) التالية باستخدام وصف تقليدي لبنى الإلحاق.

(١١)



إن إلحاق الجذر بمقولة يحدد النمط المقولي للجذر، والجذر الملحق تشرف عليه عنوانه المقولة التي ألحق بها؛ لأن الجذر، كما أشرنا سابقا، لا يحل في موقع العنوانه. والمقولة التي ألحق بها تُمَقُولُه، ففي (١١) أعلاه صُمِّمَ الجذر كملحق بالفعل؛ فنحصل الجذر على عنوانه تحدد مَقُولَتَه (فعل).

خلاصة

يتبين، من خلال ما تقدم في ثنايا هذا المقال، أن الجذورَ في اللغة العربية مؤلفة من حروف (صوامت) ولا تتضمن حركات (صوائت)، كما أن الجذور ليست لها سمات ومقولات تركيبية محددة في المعجم، وأنها تحل أسفل من المقولات الوظيفية. وبيّنا كيفية ضمّ الجذر ومَقُولَتَه في العربية من منظور أدنوي، حيث إن المقولات في الأدنوية القوية لم تعد قائمة، وأن ما يسقط في التركيب هو الجذر. ويختلف تصور تشومسكي في الأدنوية عن تصور الصرف الموزع في أن السمات التي يتضمنها المعجم، من منظور أدنوي، سمات من قائمة السمات التي يتيحها النحو الكلي، وتستعملها اللغات عجزاً نهائية في التركيب، ولا يمكن إضافة سمات أخرى طبقا لمبدأ التضمن. أضف إلى ذلك أن التركيب الضيق يقوم ببناء الاشتقاقات اعتماداً على المنظومة المعجمية التي تُشكل مجموعة من العناصر المنتمية إلى المعجم، وفي الحالة الفضلى، تعد هذه العناصر ذرية للاشتقاق، فلا يمكن تغييرها في التركيب الضيق، في حين أن الصرف الموزع يعتمد على الدمج المتأخر لسمات أخرى. وقد وظفنا عملية الضم باعتبارها أهم العمليات الحوسبية التركيبية التي تمكن من بناء الجذر وتحديد مقولته. وأكدنا أن الجذور لا تملك القدرة على العنونة؛ لأنها تتشكل من معلومات تصورية فقط؛ غير متصلة بالتركيب. وبيّنا أن الضم اللاحق يحدد طبيعة الجذر. كما دافعنا عن كون الجذور تحل نعوتاً أو ملحقات بالرأس المَقُول، وذلك بناء على ما تتيحه العنونة وفرضية الإلحاق المبينة في الأدنوية القوية.

الهوامش:

١- أتقدم بالشكر الجزيل لكل من زودني ببعض المراجع أو قدّم بعض الملاحظات والتوجيهات، أو ناقش بعض الأفكار الواردة في هذا العمل؛ وأخص بالذكر الباحثين: رشيد بن زكو ، ومصطفى منياني، وطارق المالكي، وعبد الرحمان منصورى، وعبد السلام طالب، وعبد الله الضاوي، وإبراهيم لحمامي، وعبد العلي بوطاهر، وإسماعيل الزومي، وعبد العالي سليلي، وسعاد ادريد، وهشام العُمري.

٢- عرفاني مصطلح يوظفه الباحثون التونسيون (المكي (٢٠١٣) على سبيل التمثيل) في أبحاثهم مقابلاً لـ (cognitive)، ويترجمه بعض الباحثين المغاربة بـ «معرفي» كما في أبحاث الفاسي الفهري (٢٠٠٩ و٢٠١٠).

٣- الوجيهة هي المستوى الذي يتعامل من خلاله النحو مع أنظمة خارجة عن النحو.

٤- شكل الاهتمام ببنية المفردات نقطة الالتقاء بين المعجم والصرافة، ولقد اتضحت نقطة الالتقاء هاته عند إدخال تشومسكي (١٩٦٥) المعجم في النموذج المعياري، وأكد تشومسكي في عمله (١٩٧٠) أن عمل النموذج التفسيري للنحو يبدأ بالاهتمام بالمكون التركيبي المشتمل على قواعد إعادة الكتابة والمعجم ثم المكون التحويلي. وستتضح علاقة المعجم بالصرافة أكثر مع ظهور البوادر الأولى للبرنامج الأدنوي؛ حيث بدأ الإلحاح على التمييز بين إجرائين هما: الإجراء الصرافي والإجراء الاشتقاقي؛ ويتم الاشتقاقي في المعجم، ويقتضي الإجراء الصرافي الحوسبة التي تشمل قواعد بناء الكلمة ثم

الفحص (Checking) (انظر: السعيد، ٢٠٠٥، ص ٢٥).

٥- عن مزايا المقاربة الاشتقاقية في البرنامج الأذنوي، ينظر الرحالي (٢٠٠٣) والعُمري (٢٠١٨).

٦- بين الرحالي (٢٠٠٣) الفرق بين المنظومة والتعداد؛ ذلك أن المنظومة تنتج بتطبيق الانتقاء مرة واحدة على المعجم لاختيار الوحدات التي تدخل الحوسبة، في حين أن التعداد يرتبط بتعدد مرات بلوغ عناصر المعجم (الهامش ٧ في الصفحة ١٦).

٧- يعد التركيب الضيق حسب تشومسكي (٢٠٠٤) «المحرك التوليدي (Generative Engine) للغة، ويقوم التركيب الضيق ببناء الاشتقاقات اعتماداً على المنظومة المعجمية. وتعد المنظومة مجموعة من العناصر المتتمية إلى المعجم، وفي الحالة الفضلى، تعد هذه العناصر ذرية للاشتقاق، فلا يمكن تغييرها في التركيب الضيق» (ص ١٠٨).

٨- ما يميز البرنامج الأذنوي، أيضاً، هو سعيه إلى تقليص اعتبارات التعقيد الحاسوبي والمفاضلة بين الاشتقاقات كما هو مبين في مقال تشومسكي (١٩٩٩) الموسوم بـ «الاشتقاق عبر المراحل».

٩- المصدرية مقولة وظيفية شكّلت نقاشاً واسعاً بين الباحثين اللسانيين؛ فقد دافعت برزنان (Breznan) (١٩٧٠ و ١٩٧٢) عن إقحام المصدرية في الجملة. وبالعودة إلى عمل الفاسي الفهري (١٩٨٢)، يتضح أن أول من أدخل المصدرية في الأدبيات اللسانية هو روزنوم (Rosenbaum) (١٩٦٧) ليدل على بعض أجزاء التبعية التي تظهر في الجملة الأصلية مثل أن (That) في الانجليزية (انظر: الفاسي الفهري، ١٩٨٢، ص ١١٧) وتبنى تشومسكي ولاسنيك (١٩٧٧) أطروحة برزنان واعتبرا المصدرية عنصراً في كل جملة، وأنه

يتحقق بسمة [+ مص]؛ فيكون بسمة [+ مص] في الجمل الاستفهامية، ويكون ب [- مص] في الجمل الخبرية وفي تركيب الصلات. أما الفعل الخفيف (light verb) فهو رأس وظيفي وضع لاستيعاب البنيات المتعدية إلى أكثر من مفعول.

١٠- اقترح تشومسكي (١٩٩٩) في الاشتقاق عبر المراحل (Derivation by Phases) عملية من العمليات التي يتطلبها النسق الحوسبي. ويتعلق الأمر بعملية (طابق Agree) التي وضعت بديلاً لعملية فحص السمات التي اقترحت في تشومسكي (١٩٩٥)، أو ما يسمى في الأدبيات التوليدية بالصيغة الأولى للبرنامج الأدنى. وتكون عملية طابق مصاحبة بالنقل والضم، وهي التي عوضت عملية فحص (Checking) السمات، وتتم على مسافة بعيدة مثلما هو موضح في كرستنس (٢٠٠٠) والرحالي (٢٠٠٣ و٢٠٠٨) و الفاسي الفهري (٢٠١٠).

١١- توجد أبحاث اهتمت بالخصائص الصوتية للجذور ومبادئ بنائها كما هو الأمر في الوادي (١٩٩٢).

١٢- نجد هذا التصور، أيضاً، عند أتباع الصرف الموزع الذين يعتبرون الجذور محايدة مقولياً وممقولة تركيبياً، فهي تدخل الاشتقاق التركيبي بدون مقولات، وتتمقول حينما تتركب مع الرؤوس / العناوين الوظيفية المحددة مقولياً. (ألكسيادو ولوهندال، ٢٠١٧، ص ٢٠٥).

١٣- هذا المثال قدمه (ألكسيادو ولوهندال، ٢٠١٧، ص ٢٠٥) في إطار تبيان افتقار الجذر للمقولة.

١٤- خصص تورابي (٢٠١٥) محاور تخصص الصرافة في النحو التوليدي للإجابة عن الأسئلة: هل يمكن أن يوجد مكون صرافي مستقل عن التركيب

والصواتة؟ وما محتواه؟ وما موقعه من النموذج؟ وهي أسئلة تختلف إجاباتها باختلاف الإطار النظري الذي يجيب عنها.

المصادر والمراجع

أ. العربية

- التاقي، محمد، «مقاربة صرافية مبتكرة للجذور المعتلة في اللسان العربي»، ضمن كتاب: مقاربات لسانية، الدار البيضاء: منشورات مختبر اللسانيات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك، ٢٠١٨.
- تورابي، عبد الرزاق، صرف - تركيب اللغة العربية، الطبعة ١، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠١٥.
- خيري، عبد الواحد، «ملاحظات حول نقل الرؤوس في العربية» ضمن كتاب: قضايا في اللسانيات العربية، إعداد: عبد اللطيف شوطا وعبد المجيد جحفة وعبد القادر كركاي، الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك، ١٩٩٢، صص ١٧١ - ١٩٨.
- الرحالي، محمد، تركيب اللغة العربية: مقارنة نظرية جديدة، الطبعة ١، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠٠٣.
- الرحالي، محمد، «بعض الخصائص الحاسوبية للغة»، في مجلة أبحاث لسانية، مجلد ١٣، الرباط: منشورات معهد الأبحاث والتعريب، ٢٠٠٨، صص ٦٥ - ٨٥.
- السعيد، الحسن، المقولات الوظيفية في الجملة العربية، دراسة صرفية وتركيبية، الطبعة ١، فاس: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس - فاس، سلسلة رسائل وأطروحات، ٢٠٠٥.

- العُمري، عبد الحق، «المقاربة الاشتقاقية في البرنامج الأدنوي: الصلة في اللغة العربية نموذجاً»، مقال ضمن: الاشتقاق والنص: إبستمولوجيا المصطلح وقواعد الأعمال، الرشيدية: منشورات فريق البحث: النص والفكر والنموذج التفسيري (نفس)، بالكلية متعددة التخصصات، ٢٠١٨، صص. ٣٧٥-٤٠٢.
- الفاسي الفهري، عبد القادر، البناء الموازي، نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، الطبعة ١، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ١٩٩٠.
- الفاسي الفهري، عبد القادر، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، الطبعة ١، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ١٩٩٨.
- الفاسي الفهري، عبد القادر بمشاركة نادية العمري، معجم المصطلحات اللسانية. إنجليزي - فرنسي - عربي، الطبعة ١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩.
- الفاسي الفهري، عبد القادر، ذرات اللغة العربية وهندستها: دراسة أدنوية استكشافية، الطبعة ١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠.
- الفاسي الفهري، عبد القادر، البناء الموازي الموسع، نظرية توليدية جديدة، الطبعة ١، الأردن: دار كنوز المعرفة العلمية بعمان، ٢٠١٨.
- المكي، سمية، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، الطبعة ١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٣.
- الوادي، محمد، «بناء الجذر في المعجم العربي» ضمن كتاب: قضايا في اللسانيات العربية، إعداد: عبد اللطيف شوطا وعبد المجيد جحفة وعبد القادر كركاي، الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك، ١٩٩٢، صص. ١٤٥-١٦٧.

ب. الأجنبية

- Alexiadou, Artemis & Lohndal, Terje, "The Structural Configu-

- rations of Root Categorization” in Labels and roots, vol. 128, Berlin: De Gruyter Mouton, 2017, pp. 203 – 232.
- Borer, Hagit, IN Name Only: Structuring Sense, Vol I. Oxford, 2005.
 - Borer Hagit, “The Category of Roots”, in The Syntax of Roots and the Roots of Syntax, Oxford University Press, 2014, pp. 112-148.
 - Bresnan, J. “On Complementizers: Toward a Syntactic Theory of Complement Types”, Foundations of Language 6, 1970, pp. 297–321.
 - Carstens, Vicki, Concord in Minimalist Theory, Linguistic Inquiry 31, 2000, pp. 319–355.
 - Chomsky, Noam, Aspects of Theory of Syntax, MIT press, Cambridge, Mass, 1965.
 - Chomsky, Noam, “Remarks on Nominalizations”, in R. Jacobs and P. Rosenbaum (eds.), Readings in English Transformational Grammar, Ginn, Waltham, Mass, 1970.
 - Chomsky, Noam, Lectures on Government and Binding, Dordrecht, Frois, 1981.
 - Chomsky, Noam, “A Minimalist Program for Linguistic Theory”, in Hale, k. and keyser, S.J : The View from Building 20, Cambridge, Mass, MIT Press ,1993.
 - Chomsky, Noam, The Minimalist Program, Cambridge Mass, MIT press, 1995.
 - Chomsky, Noam, “Minimalist Inquiries: The Framework”, MIT,

- Occasional Papers in Linguistics, N.15, 1998.
- Chomsky, Noam, "Derivation By phase", MIT Occasional, Papers in Linguistics. N.18, 1999.
 - Chomsky, Noam, New Horizons in the Study of Language and Mind, Cambridge University Press, 2000.
 - Chomsky, Noam, "Beyond Explanatory Adequacy", in The Cartography of Syntactic Structures, volume 3, edited by Adriana Belletti, Oxford University Press, 2004, pp. 104-131.
 - Chomsky, Noam, "Problems of Projection", *Lingua* 130, 2013, pp. 33-49.
 - Chomsky, Noam, Problems of Projection. *Lingua*, 2014.
 - Chomsky, N. and Lasnik, H. "Filters and Control". *Linguistic Inquiry*. 8, 1977, pp. 425–504.
 - COHEN D, "Essai d'une Analyse Automatique de l'Arabe", in D. COHEN, *Études de Linguistique Sémitique et Arabe*, Paris: Mouton, 1970.
 - De Belder, Marijke, Van Craenenbroeck, Jeroen, "How to Merge a Root", *Linguistic Inquiry*, 46:4, 2015, pp. 625-655.
 - Donati, Caterina, On WH head Movement. in Lisa Cheng and Norbert Corver (eds.), *Wh Moving on*, 21-46. Cambridge, MA: MIT Press, 2006.
 - Embick, D. and Marantz, A, "Architecture and Blocking" *Linguistics Inquiry*, 39 (1), 2008, 1-53.
 - Fassi Fehri, Abdelkader, *Linguistique Arabe: Forme et Interprétation*, Rabat : Publications de la Faculté des Lettres, 1982.

- Greenberg, Joseph H, , “The Patterning of Root Morphemes in Semitic”, Word. 6, 1950, 162–181.
- Hale, Morris and Alec Marantz, “Distributed Morphology and the Pieces of Inflection” In The View from Building 20: Essays in Linguistics in Honor of Sylvain Bromberger, ed. Kenneth Hale and Samuel Jay Keyser, 111- 176. Cambridge, MA: MIT Press, 1993.
- Harley, Heidi, “On The Identity of Roots”, Theoretical Linguistics, De Gruyter Mouton, 40(3/4), 2014, pp. 225- 276.
- Vercauteren, Aleksandra, “Features and Labelling: Label Driven Movement”.. In Labels and Roots, De Gruyter Mouton, 2017, pp.69-89.

مدخل إلى تصنيف الأفعال بالنظر في السلوك النحويّ والبُعد الدلاليّ لـ «وَجَبَ/يَجِبُ» فِعْلاً حَمَلِيّاً وَفِعْلاً تَوْجِيهِيّاً

د. راضية عبيد^١

ملخّص

هدفنا من هذا العمل هو إبراز الخصائص التركيبية والدلالية للفعل «وَجَبَ/يَجِبُ»، باعتبار استعماله فعلاً حملياً وفِعْلاً توجيهاً، وانضوائه ضمن أفعال الميتا خطاب، المضطّعة بإدراج النواة الحملية، المكتنزة للشحنة الإعلامية المراد أداؤها. سنعمد إلى إلقاء الضوء على قيود الانتقاء والتوارد للفعل «وَجَبَ/يَجِبُ» وما يصحبها من أبعاد دلالية وظلال جهية. وقد أفضى وصف «وَجَبَ/يَجِبُ» إلى تأكيد أنّه من الممكن تصنيف الأفعال بمقياس اشتغالها على الحدث والزمان أو تحضّنها للزمان وما يلحق به، كالجبهة والتوجيه.

الكلمات المفتاحية: تصنيف، فعل حمليّ، فعل توجيهي، الخصائص التركيبية

والدلالية، التوجيه، الجبهة.

١ - قسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة التونسية - تونس.
أرسل البحث بتاريخ ٠٤/٠٤/٢٠٢١م، وقبل للنشر بتاريخ ٠٥/٢٠/٢٠٢١م.

Abstract

Our purpose in this paper is to highlight the syntactic and semantic properties of the verb (wajaba/yajibu, i.e., must) in both uses: as a predicative and as a modal verb. Interesting is also its belonging to the metalanguage category verbs, which are involved in introducing the predicative kernel that carries the linguistic information. Moreover, we will determine the selection and occurrence constraints of the verb "wajaba/yajibu", taking the semantic dimensions and the aspectual shades into consideration. Such a description emphasizes the verbs classification based on whether they include a predicate and a tense or only a tense associated to aspect and modality.

Keywords: classification, predicative verb, modal verb, syntactic and semantic properties, modality, aspect.

المقدمة

لا يخفى أن التصنيف من لوازم الدرس النحويّ عموماً، وأقسام الكلم على وجه الخصوص، في ظلّ تتبّع الدارسين لها منذ القديم بالملاحظة والوصف، لغاية التثبيد. وقد تواصلت، بل تكثفت العناية بالتصنيف في عصرنا، ويمكن اعتباره بمثابة التثبيت التجريبيّ للنظريّات (بما في ذلك التحويليّة) المبنية في الغالب انطلاقاً من عدد محدود من الأمثلة؛ في حين أنّ حجم العناصر المعجميّة المتوفّرة يتيح تنوعها بشكل موسّع؛ ومن ثمّ فإنّ المقاربة التصنيفيّة المستوفية للمعطيات اللغوية ضرورية ومجدية وغير متوقّفة، من أجل تحقيق مزيد من الدقّة في وصفها وصفاً مشكلناً.

ومن المعروف أنّ النحو العربيّ قد صنّف الأفعال (وكذلك الأسماء والحروف) على اعتبارات، منها الزمان، واللزوم والتعدّي، والتام والنقصان الذي يشمل الأفعال الناقصة/ أفعال العبارة، «كان» وأخواتها وما يُحمل عليها من أفعال المقاربة وأفعال القلوب. وقد ذهب اللسانيّون المحدثون، ومنهم موريس قروس Maurice Gross، صاحب نظريّة النحو المعجم *théorie du lexique-grammaire*، وقاسطون قروس Gaston Gross، صاحب مقاربة طبقات الأشياء *classes d'objets/object classes*، إلى تصنيفات بمقاييس دخول الأفعال في تراكيب «حرّة»، وهي الأفعال الحمليّة/ العاديّة/ التوزيعيّة، أو في تراكيب متجمّدة/ متكسّسة، وهي الأفعال غير التوليفيّة (أي أنّ معانيها لا تُستقى من مجموع معاني ألفاظها)؛ إلى جانب فئة الأفعال المساعدة *verbes auxiliaires/auxiliary verbs*، ومنها خاصّة فعل المُلك *avoir/to have*، وفعل الوجود *être/to be*، باعتبارهما يساعدان الفعل الأصليّ على أداء الزمان، وعلى الاقتران بجملته اللواصق (الجنس والعدد) عند المطابقة؛ وليس لنا في العربيّة أفعال مساعدة مماثلة، وإن كانت الأفعال الناقصة في لغتنا تضطلع بأداء الزمن؛ وفئة الأفعال الجهيّة *verbes aspectuels/aspectual verbs*؛ وفئة أفعال العهاد *verbes supports/support verbs*. وفي ضوء القيمة التي يكتسبها تصنيف الأفعال في اللغات الطبيعيّة قديماً وحديثاً، يندرج اهتمامنا بالفعل «وَجَبَ/يَجِبُ»، المتصدّر أفعال الوجوب، بحكم استعماله فعلاً حمليّاً *verbe prédicatif/pedicative verb* وفعلّ توجيه *verbe modal*

modal verb، تحت لائحة الميتا خطاب/ لغة *méta-discours*، من جهة خروجه عن الحدّث الرئيسيّ، المضمّن فيما يدرجه من تراكيب اختار المتكلم إضفاء معنى الوجوب وغيره عليها، وتوجيهها ذاك التوجيه. ويُستجلى ذلك من خلال ما نصادفه في اللغات الخاصّة/ لغات الاختصاص *langues de spécialité/ sublanguages*، كالطبّ والقانون والرياضة والبورصة، وما إلى ذلك، من توزّع الخطاب إلى نوعين: خطابٍ تقنيّ صرف، يعبرّ فيه كلّ محمول عن مضمون قضويّ مراد في المجال المتعين، من قبيل (في لغة البورصة مثلاً): «ارتفع سعر الدولار اليوم أمام سعر اليورو في أسواق المال العالميّة»؛ وخطابٍ واصف، للتعبير عن المواقف من ذلك المضمون القضويّ، مثل: «يتوقّع/ يثمّن الخبراء الاقتصاديون ارتفاع سعر الدولار اليوم أمام سعر اليورو في أسواق المال العالميّة»، باعتبار أنّ أفعال التواصل (القول والرأي) *verbes de communication* [١] (*parole et opinion*) هي الأخرى من خارج الحدّث، وهو ههنا «ارتفاع سعر اليورو أمام سعر الدولار».

وانطلاقاً من كلّ هذا، ارتأينا أن ننظر في السلوك النحويّ للفعل «وجب/ يجب»، ولجملة من بدائله الجدوليّة، في الاستعمالين الحلميّ والموجّه؛ عن طريق تتبّع ما يخضع له من قيود الانتقاء والتوارد *contraintes de sélection et de co-occurrences*، وما يضيفه، تبعاً لذلك، على التراكيب من أبعاد دلاليّة *sémantique* وظلال جهيّة *aspectuelle*، تماشياً مع ما تكتسبه الدلالة من أهميّة في وصف وقائع اللغة لا تقلّ عن الأهميّة التي يحظى بها التركيب. ولا يتمّ حصر المعنى إلّا في كنف مراعاة التواشج بين المعجم والنحو/ التركيب والدلالة؛ وذلك من صميم ما تتبناه نظريّة النحو المعجم (موريس قروس 1981-1975 *théorie du lexique-grammaire*) التي نشغل في إطارها.

ومّا سيفضي إليه النظر في هذه المسائل، إمكانيّة تصنيف الأفعال باعتبار اشتغالها على حدث وزمان أو تحضّنها للزمان والجهة والتوجيه فحسب؛ وهذا مقياس معتمد في النحو العربيّ، باعتبار التمام والنقصان؛ ويأتي فعلنا «وَجَبَ/ يَجِبُ» المتوفّر على هاتين الخاصّيتين داعماً له، في ظلّ غياب إدراج أفعال الوجوب ضمن التبويب، قديماً. إذن ما هي الروايز المحدّدة للاستعمالين، باعتقاد أبرز الخصائص التركيبيّة

والدلالية لكلّ منها؟

سيقوم عملنا على ثلاثة أقسام: نرصد في أوّلها الخصائص التركيبية والدلالية لـ«وَجَبَ/يَجِبُ» فعلاً حملياً؛ ونحصى في الثاني الخصائص التركيبية والأبعاد الجهية لـ«وَجَبَ/يَجِبُ» فعل توجيه؛ أمّا القسم الثالث، فنخصّصه لإطلالة على آفاق تناوّل «وَجَبَ/يَجِبُ» تركيبياً ودلالياً (من حيث دعمه تصنيف الأفعال على أساس جمعها بين الحدث والزمان أو اقتصارها على الزمان وما هو منه). وبالطبع، لا يخلو عملنا من تبيان لبعض المفاهيم المعتمّدة، مثل التوزيع والتوجيه والجهة aspect وغيرها.

وقبل الخوض في الأقسام المعلن عنها، نذكّر بأمرين:

أوّلها، أنّ منطلقنا النظريّ في هذا العمل هو نحو زاليق هاريس التحويليّ *grammaire transformationnelle*, Zellig Harris (١٩٦٤-١٩٩١)، ونظريّة النحو المعجم لموريس قروس المنبثقة عنه. سنلجأ كذلك إلى مقاربة قاسطون قروس (التابعة لهما) حول الطبقات الدلالية للموضوعات/المعمولات، لغاية الفصل بين استعمالات فعلنا «وَجَبَ/يَجِبُ».

ومن مبادئ نظريّة النحو المعجم، اعتبار الجملة الأوّلية/البيضة الوحدة الدنيا للمعنى والتحليل، والمدخل للمعجم وليس اللفظ المعزول. وتتأسس الجملة الأوّلية/البيضة على علاقة محمول *prédicat* بمعموله/موضوعه (الفاعل) أو بمعمولاته/موضوعاته *argument(s)* الفاعل والمفعول الواحد أو أكثر؛ في إطار قيود الانتقاء والتوارد. وليس المحمول حكراً على الفعل، بما أنّه يمكن أن يرد اسماً أو صفة أو أن يكون أصله ظرفاً أو ما يُحمل عليه:

(١) حلّل الأستاذ خطاب الوزير اليوم

= (٢) قام الأستاذ بتحليل خطاب الوزير اليوم

= (٣) الأستاذ محلّل خطاب الوزير اليوم

(٤) نزل النباُ المفزع على الأسرة بغتةً اليوم

= (٥) باغت النباُ المفزع الأسرة اليوم

وللتوضيح، فإنَّ فعل «قام» في الجملة الثانية هو فعل عماد [٢]، «فارغ الدلالة»، ويتمثّل دوره في تصريف المحمول الاسميّ «تحليل»، بتحديد زمان الجملة وتسريب البُعد الجهميِّ إليها؛ غيرَ محققٍ إسناداً إضافياً، بما أنّ الجملة (٢) لا تخرج عن حيز الجملة البسيطة، ذات الإسناد الواحد. ولا يخفى أنّ «قام» ههنا مختلف عن «قام» في الاستعمال التوزيعيّ/العاديّ، كما في قولنا مثلاً: «قام الرجل إلى ضيفه»، الحامل للشحنة الإعلامية؛ بينما يكتنزها في الجملة (٢) الاسم المشتقّ «تحليل»؛ بدليل التكافؤ الدلاليّ بين (١) و(٢).

والمعمولات في الجملة الأوّليّة/البسيطة غير متطلّبة بدورها معمولات، كما في:

(٦) اشترت العائلة منزلاً

بخلاف الجملة:

(٧) استأنفت الشركة تصدير متوجها

التي تطلّب فيها الفعلُ (استأنف) معمولاً/مفعولاً (تصدير) متطلّباً بدوره معمولين (فاعلاً: الشركة، ومفعولاً: متوجها)؛ ذلك أنّ المفعول اسم مشتقّ وليس اسماً جامداً، كما في الجملة السابقة. ولنا أيضاً:

(٨) أربكت الخلافات بين الأطراف تقدّم المفاوضات الصلحيّة

حيث معمولان: الفاعل (الخلافات) والمفعول (تقدّم) اسمان مشتقان متطلّبان لمعمولات؛ «اختلفت/تختلف الأطراف»، و«تقدّمت/تتقدّم المفاوضات».

وعلى هذا الأساس، اعتبر هاريس تنوع السلوك النحويّ للأفعال سبيلاً إلى التصنيف، ومنها الأفعال العاملة [٣] *verbes opérateurs* التي تُعمل جملة في جملة (قاعدية)؛ مثل أعمال جملة: «أقرّ زيد» في جملة «زيدٌ أذنب»، فيكون لدينا: «أقرّ زيد بأنّه أذنب»؛ وهو ما تنتج عنه، في معظم الحالات جملٌ مركّبة. وتحت هذه اللائحة يندرج فعلنا «وجب/يجب» فعلٌ توجيهِ:

(٩) يجب (توفير + أن تتوفر + أن يوفرُوا) مستلزمات السلامة المهنية

إلى جانب استعماله فعلاً حَمَلِيًّا، فاعله اسم جامد؛ كما في:

(١٠) وجب الحائط (بمعنى سقط)

وسنعود إلى توزيع «وجب/ يجب»؛ بحسب كونه فعلٌ توجيه (كما في (٩)) أو فعلاً حملياً (كما في (١٠)).

وثانيهما، أننا نورد جملة من الرموز المستخدمة في تمثيل البنى النحوية وغيرها من السياقات:

«ف» للفعل؛ «١٠» للفاعل؛ «١١» للمفعول (به) الأول؛ «٢١» للمفعول (به) الثاني...؛ «ح» للحرف (واسطة تعدّي الفعل إلى المفعول)؛ «ج» للجملة.

«*» للجملة غير المقبولة؛ «؟» للجملة التي عليها احتراز في القبول؛ «E» للعنصر الفارغ؛ «مق» لـ مقابل؛ «+» علامة إمكان ترد بين البدائل الجدولية كأن نتخير بين «أ» و«ب» في مثل (أ + ب)؛ «>» لتحديد طبقة الاسم الدلالية؛ «#» للإشارة إلى حدود كل تركيب، وينتج عن إزالتها إعمال جملة في جملة.

١. «وَجَبَ/يَجِبُ» فعلاً حملياً/حقيقياً

من لوازم الجملة البسيطة خضوعها لقيود الانتقاء، فيما يعرف بالتوزيع، واحتفاظها بإعلامها الأوّليّ مهما طالها من تحويلات (الأمثلة ١ - ٣).

١,١ في المقصود بالتوزيع

معنى التوزيع هو أن يكون ورود لفظ في موقع من التركيب بسبب من مواقع بقيّة الألفاظ. ويُنظر إلى اللغة على أنّها حمّالة معان من جهة الكلمات المستخدمة، ومن جهة التوليفات التي تحكمها، في إطار قيود الانتقاء وعلاقة التوارد؛ بمعنى أنّ الألفاظ لا ينتقي بعضها بعضاً اعتباطاً. ويسند هاريس إلى اللغة وظيفة نقل الإعلام اللسانيّ/ اللغويّ *information linguistique*، جاعلاً البحث في مسألة «كيف تنقل اللغة الإعلام؟» أجدى من الاكتفاء بـ «ترديد» أنّ وظيفة اللغة هي التواصل بين متكلّم وسامع؛ ومن ثمة جاء اعتباره بنية الإعلام من بنية اللغة، والنظر إلى بنية اللغة بمعيار قيود الانتقاء وما يندرج تحتها من توزيع *distribution* وتوليف *combinaison*

وجوار *environnement* في إطار الجملة البسيطة؛ وهي في الحقيقة مفاهيم متقاربة، لاندراجها في قيود الانتقاء التي تعني جوار اللفظ، أي القيود المسلطة على المسند/ الحَمَل في اقتضائه لمعمولاته/ موضوعاته؛ وقل الشيء نفسه عن المعمولات، بما أن اللفظ المفرد لا يُعامل معه على هيئته تلك، بل في توليفاته الممكنة؛ ذلك أن «توزيع عنصر من العناصر يُحدّد بكونه حاصل جوارات هذا العنصر. فجوار العنصر «أ» مثلاً هو الترتيب الفعليّ لكلّ المتوارِدات، بمعنى بقية العناصر، كلّ واحد في موقع معيّن، يحضر معها «أ» لإنتاج تعبير؛ ويسمّى ما يتوارد مع «أ» في موقع معيّن انتقاءً «أ» في هذا الموقع» [٤].

وهكذا، فإنّ تحديد الخصائص التوزيعية ليس شيئاً آخر غير تنويع بعض عناصر جملة من الجمل؛ ومن ثمّ تتحدّد الاستقامة أو الامتناع. لدينا على سبيل المثال:

(١) فقد زيد (حافضة أوراقه + بصره + *وقته)

فيما «مرادفه» «أضاع» لا ينتقي نفس المفاعيل بصفة مطلقة:

(٢) أضاع زيد (حافضة أوراقه + *بصره + وقته)

ذلك أنّ الترادف، حسب موريس قروس (١٩٩٧)، لا يُدرس بين الكلمات، ولكن بين الجمل.

ولأنّ الخصائص التوزيعية لا تنفك عن الخصائص التركيبية في الوصف اللسانيّ، فإنّ دخول المسند/ الحمل الواحد في بُنى مختلفة يكسبه معاني مختلفة؛ فإذا كان الفعل «هوى» في البنية:

٠١ ف

(٣) هوت أسعار الذهب

بمعنى النزول، فإنّه بمعنى «الجعل»/ (التسبب في النزول) في البنية:

٠١ <١١ ف

(٤) هوى الطلب المتزايد على النفط بأسعار الذهب

لهذا فإنّ «التوزيع المقبول من فعل ما في إطار بنية معينة يمكنه مبدئياً أن يكون

مختلفاً عن التوزيع المقبول من نفس الفعل في أيّ بنية أخرى من بُناه» [٥]؛ ليتأكد أنّ التوزيع هو مجموع ما يكتنف عنصراً معجمياً، وأنّه هو الخاصية المعجمية التركيبية للعناصر المحتلّة موقِعاً ما، بمعنى أنّه ذو طبيعة معجمية على قاعدة من الروايز النحوية؛ وليس هذا بعيداً عن اعتبار علاقة المسانيد/ الحمول بمعمولاتها/ موضوعاتها سبيلاً إلى معرفة قيود الانتقاء.

وللمعمولات/ الموضوعات، وليس فقط المسانيد، دور في تحصيل الإخبار اللغويّ؛ يقول هاريس: «كلّ جزء من الخطاب هو توليفة مخصوصة من العناصر» [٦]. وليس التوزيع عديم الصلة بالجهة، فجملة:

(٥) بلغ العداء خطّ النهاية

محيلة على جهة الانتهاء aspect terminatif، فيما تحيل جملة:

(٦) (توافد + تواصل توافد) ضيوف المؤتمر طيلة اليوم

على جهة الاستمرار. وهكذا، فإنّ الحديث عن التوزيع يندرج في وظائف النحو، باعتبار أنّ أولاها هي وصف توليفيّ (توزيعيّ) بحث لتوارد العناصر. ويتمّ عرض العلاقات التوزيعية ضمن أنواع من التمثيل للمعطيات، ويعدّ التوزيع من المقاييس الداخلية التي تحمي المتكلم من الإبداعات اللغوية؛ كما يتحكّم في السلوك النحويّ للكلمات من جهة قبولها أو عدم قبولها لهذا الفعل أو ذاك.

٢,١ البنى النحوية لـ «وجب» فعلاً حملياً

البنية ف ا.

يمثّل «وجب»، حسب توزيعه، عدّة «وحدات معجمية لا يمكن اعتبارها كائنات معزولة، بل يجب، على العكس، أن تحدّد بمقتضى شروط استعمالها في إطار الجمل التي تظهر فيها» (دوني لو بوزان وميشال ماثيو كولا، في إطلاقات ...، المجدوب: ٧٣٢). وورود فعلنا على هذه البنية يدرجه في الأفعال اللازمة؛ فما أهمّ معانيه، باعتبار الخصائص الدلالية لموضوعه/ فاعله؟

١. القضاء/ الموت، فقط مع فاعل من طبقة <العاقل>؛ ولا يتحقق مع فاعل من <الحيوان> أو <النبات>؛ في تصنيف ق. قروس (١٩٩٤) لطبقات الأشياء.

(١) وجب (الرجلُ + *الكبشُ + *الزرع)

٢. الأفلو/ الغياب، فقط مع لفظ «الشمس» المدرج في طبقة <الكواكب> المتفرعة عن طبقة <فلك>؛ في نفس التصنيف.

(٢) وجب(ت) (الشمسُ + *النجمُ + *القمر)

٣. السقوط/ الانهيار إلى الأرض، للقائم من طبقة <المبنى> المتفرعة عن طبقة <الجامد المادي>؛ في نفس التصنيف [٧].

(٣) وجب الحائطُ (بمعنى سقط)

٤. الخفقان الاضطراب، بفاعل هو «القلب»؛ وعلامته الدلالية: «عضو من الجسد»، في تصنيف م. قروس (١٩٩٥).

(٤) وجب القلبُ

ولـ/ وجب/ يجب» معان أخرى تشير إليها باعتماد طبيعة وروده في بقية البنى النحوية.

هذه الأمثلة مأخوذة من «لسان العرب»، مادة/ وج ب/؛ وهي تشارك في كون الفاعل فيها اسماً جامداً (الرجل، الشمس، الحائط، القلب)؛ وقد ذكر مصدرها أن أصل الوجود هو السقوط، مما يميز اعتباره (السقوط) معنى جامعاً مرتبطاً بالأجال (على الأقل في الأمثلة الثلاثة الأولى)، من قبيل الموت والأفلو والسقوط؛ وإن من علاقة بين السقوط ووجب القلب، فهي الصوت، وربما الحركة اللصيقين بكليهما. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، فإن سمة الجمود في الفاعل، وشبه انتقاء الفعل «وجب» لفظاً واحداً (في موقع الموضوع) لكل معنى، ووروده بصيغة الماضي فحسب، لما يفسر انحسار استعماله فعلاً حملياً إلى درجة ملامسة التجمد.

وبالتبّت في مادة/ وج ب/ في لسان العرب، أمكننا تسجيل غياب استعمال الفعل في صيغة المضارع، في مقابل حضور الصفة «واجب» والمصدر «وجوب»؛

ولهاتين الصيغتين سياقات استعمال مؤكدة، مثل وجوب الحذف والتقديم والتأخير، في الدرس اللغوي القديم بنحوه وصرفه وأصواته، كما في: «يتقدم الخبر على المبتدأ وجوباً إذا كان ...». وقد سجلنا نفس الظاهرة من مراجعتنا لـ«المنجد في اللغة والأعلام»؛ غير أن لسان العرب أورد مثلاً بـ«وجب» في صيغة الماضي، فاعله مصدر (مشتق) / مجرد *abstrait*؛ قابل للتحويل إلى مركب موصولي بـ«أن ج»، وهو بمعنى:

٥. اللزوم المقترن بحلول ميقات زمني

(٥) وجب البيع [٨]

= وجب (أن يبيع فلان لفلان + أن يتم البيع)

وفي معنى اللزوم، يورد «معجم الدوحة التاريخي» (على النت) استعمالاً منسوباً إلى هاشم بن عبد مناف القرشي (١٢٢ ق هـ) للفعل في صيغة المضارع، ونصّه: «وَلِكُلِّ فِي كُلِّ حِلْفٍ يَجِبُ عَلَيْهِ نُصْرَتُهُ، وَإِجَابَةُ دَعْوَتِهِ». هذان المثالان يحملان على القول بأن استعمال فعلنا بصيغتي الماضي والمضارع قائم منذ القديم؛ والحديث بتواتر استعماله في العربية المعاصرة بصيغة المضارع يُردّ، لا إلى اعتباره شكلاً من أشكال تطوره، وإنّما من تزايد الحاجة إليه، تبعاً لتعدد مجالات إدراج معنى «الوجوب»، من قبيل سنّ القوانين (بتدرجاتها المتراوحة بين التحجير الصارم والجواز والإمكان) المنظّمة لحياة الناس.

نشير إلى أن الأمثلة المعتمدة من لسان العرب لم تُعدَم قِيماً جِهية، أوضحها جهة الانتهاء *aspect terminatif*، والحدث فيها (من قبيل الغياب والسقوط) مقصور في الزمن *ponctuel*، باستثناء «وجيب القلب»، في معنى الخفقان، والجهة فيه التكرار *aspect itératif*

ورغم غلبة استعمال الفعل «وجب» بصيغة المضارع في اللغة الفصحى اليوم، فإن لصيغته في الماضي حضوراً في اللغة العامية [٩].

ولسائل أن يسأل عن علاقة الفعل «وجب» المؤدّي معنى الحدث، مقترناً بميقات، بأطعمة تسمى «وجبات»، تُتناول في أوقات بعينها: وجبة الإفطار (في

الصباح)، وجبة الغداء (عند الزوال)، وجبة العشاء (في المساء)؟ ويمكن عدّ لفظ «الوجبة» فضلة داخلية للفعل «وجب» المستغنى عنه، اجتناباً للحشو. والوجبة في لسان العرب (ج ١٥-١٦ ص ١٥٥): الأكلة في اليوم إلى مثلها من الغد. [١٠]

البنية ف.ا.ح <ل> ا

في الأحاديث النبوية الشريفة، تتواتر جملة «وجبت له الجنة» جواب شرط لأعمال ومآثر عديدة «تستوجب» دخول القائم بها الجنة، من مثل ما جاء في «المعجم الكبير» للطبراني في معنى

٦. الاستحقاق

(٦) مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ

في هذا المثال، تقدّم المفعول على الفاعل، ولا يتغيّر المعنى بردهما إلى موقعيهما الأصليين:

= وَجِبَتْ الْجَنَّةُ لِمَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ

والجملة مكافئة لـ:

= مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ (وجب + توجب) (دخوله + أن يدخل) الجنة

نلاحظ في هذا المثال تكافؤاً بين صيغتي الماضي والمضارع، لكون المحتوى (وجوب الجنة لمن أسلم على يديه رجل) غير مقيّد بزمان محدّد، والإطلاق تختصّ بالتعبير عنه عموماً صيغة المضارع والجملة الإسمية. ولسائل أن يسأل: «على من تجب الإثابة بالجنة؟» من المعلوم أنّ المثيب هو الخالق سبحانه، لذلك انزاح الخطاب من معنى إيجاب الثواب، لقداسة منقّذه الذي «يقضي ولا يقضى عليه»، إلى معنى أحقية المثاب في الفوز بالجنة.

وفي سياق معنى الاستحقاق، نستحضر دلالة «وجب/ يجب» على معنى ضديد، وإنّ بُنى مغايرة، نجيز إدراجها ههنا، استكمالاً لحصر المعاني والأبعاد الجهيّة؛ لدينا:

٧. [ضرورة] ردّ الدّين/ الحقوق، المادّيّة) والمعنويّة)ة)، ولا تخلو التراكيب
عموماً من تعديّ «وجب/ يجب» بالواسطة «على» التي يمكنها أن تنوب عن فعل
الوجوب

(٧) (يجب على + على) زيد (تسديد المبالغ المتخلّدة بدمّته + ردّ جميل معلّميه)

٨. تحمّل العبء

(٨) (؟ تجب على + على) زيد (واجبات + تحمّل (أوزار + أعباء + مسؤوليّة)
(تصرّفه + أسرته)

٩. الاضطرار، وقد تسهم بعض الظروف في تأديته

(٩) (يجب عليّ + عليّ) المغادرة حالاً

١٠. الضرورة المقترنة بشرط/ وضعيّة ما

(١٠) يجب إقضاء الطالب عن إتمام الامتحان (إن ضُبط متلبساً بالغشّ + في حال
ضبطه متلبساً بالغشّ)

إنّ مصادفتنا في بعض المعاجم، وإن بقلّة، لفاعل «وجب» النحويّ بصيغة
المصدر، القابل التحويل إلى المركّب الموصوليّ «أن ج»، وينعكس، لا يخوّل لنا القول
بأنّ استعمال «وجب» فعلٌ توجيه هو نتاج تطوّر اللغة؛ وإنّما يُكتفى بالقول إنّ نسبة
استعماله بتلك الصفة أعلى بكثير في لغتنا اليوم؛ وكذا هو الشأن بالنسبة إلى استعمال
فعلنا في صيغة المضارع. وليس بالوسع ادّعاء احتجابه بصيغة الماضي؛ خاصّة مع
تسجيل تواتره في اللغة العاميّة بصفة ملحوظة؛ وفي سياق هذا الاسترسال في
الاستعمال بين القديم والحاضر، يتنزّل تناولنا لـ «وَجَبَ/ يَجِبُ» في تداوله الثاني.

٢. «وَجَبَ/ يَجِبُ» فعلٌ توجيه

١,٢ لمحة عن أفعال التوجيه

يشتمل الفعل عند النحاة العرب على حدث مقترن بزمان، خلافاً للمصدر المقترن
على الحدث. ويختصّ الفعل في أدبيّات بعض الأنحاء (ومنها النحو الفرنسيّ) بثلاث

مقولات متقاربة وشبه متداخلة، رغم النزوع إلى الممايزة بينها؛ وهي الزمن *temps* والجهة *aspect* والصيغة *mode* التي تصبغ «شكل» الفعل بحسب موقف المتكلم مما يقوله.

يُجَمَلُ الزمن في المنقضي (للماضي (من الأحداث)) وغير المنقضي (للمحاضر/ الحال والاستقبال)، ويمكن التمثيل لكل معنى من الثلاثة بنقطة على خط الزمن، بينما يُمَثَّل للجهة بمجال على نفس الخط، لأنها تخصّ كيفية جريان الحدث، من حيث الابتداء (اندلع الخلاف) أو الانتهاء (آتت المساعي أكملها) أو الاستمرار (توافد القوم) أو التكرار (تتالت الطلقات) أو عدم الاستغراق في الزمن (انفجر اللغم)؛ وما إلى ذلك من التفرعات كالتكثيف والتتويج والانتشار. ولا يمكن بحال الحديث عن اصطلاح مكوّن بعينه في التركيب بإنتاج القيمة الجهية، نظراً إلى كون الجهة إنمّا هي حاصل تفاعل مجمل العناصر بعضها مع بعض؛ فهي «ليست من الزمان، إذ لا لفظ لها يُسَلَّمها إلى أبنية دون أخرى، ولا هي من التوزيع المعجمي المحض بحيث يُتَبَّنأ بمجرد صيغته بالجهة فيه، يبقى أن نخلص إلى أمثا من التركيب» [١١].

أمّا الصيغة فتحدّد في الأصل بالفضلة التي تكون، إمّا مصدرًا *infinitive* (أقترح الخروج غداً)، ويكون الحديث عن الصيغة الإخبارية *mode indicatif*؛ أو ذات الطبيعة الجُمليّة *complétive* (أقترح أن يخرجوا غداً)، ويكون الحديث عن صيغة الاقتضاء أو الصيغة الاحتمالية/ الافتراضية/ الشرطية *mode du subjonctif*، للأفعال الموجهة *verbes modaux* التي منها أفعال الوجوب، موضوع بحثنا؛ وهي فئة من الأفعال تُتخذ أدواتٍ لسانية تسمح بإدراج حدث *procès* في الخطاب، على أنّه من الممكن أو الجائز أو الممنوع/ المحجّر أو الضروريّ أو الواجب أو المحبّد أو المقدور عليه...، وتلك معان يعود تقديرها إلى المتكلم، صانع الخطاب، والسامع، المؤوّل له. ففي جملة مثل: «يسافر زيد» إثبات لحدث (السفر)؛ بينما في الجملتين: «يستطيع زيد أن يسافر» و«يجب على زيد أن يسافر»، الإثبات موجّه نحو الاستطاعة أو الوجوب، بمجرد لجوء المتلفّظ إلى الفعلين «يستطيع» و«يجب». وتقبل أفعال الوجوب المصدر والمركب الموصوليّ (الفعل فيه منصوب بـ«أن») في «موقع الفاعل»: (ينبغي الخروج غداً)، و(ينبغي أن يخرجوا غداً)، ويسمح هذان النوعان

(من الفاعل) بنوعين من التأويل، حرّ ومقيّد؛ كما سيأتي.

المفاهيم الثلاثة التي لا ينفكّ منها الفعل، وهي الزمن والجهة والصيغة لا تفترق إلا لتجتمع في تحصيل معنى الخطاب؛ وعن عسر الفصل بينها، نورد أقوالاً تخصّ علاقة الجهة بالزمن خاصّة، وبموقف المتكلّم ممّا يتلفّظ به. يقول دافيد كوهان David Cohen: «العلاقة بين الجهة والزمن متعدّدة ويمكن النظر إليها من زوايا مختلفة، فمفهوم الجهة حظي منذ بدايات التنظير له بتأويل زمنيّ، جزئياً أو كلياً، والمفهوم المُقدّم [في هذا السياق] هو مفهوم المدة [١٢]. وقد اعتُبرت الجهة «الحدث مستغرِقاً في الزمان باعتبار مدّته فيه أو باعتبار جريانه أو انتهائه منه» [١٣]، وفي شأنها أورد ألبير داس، ج. قريماس Algirdas, J. Greimas وجوزيف كورتاس Joseph Courtès: «أدرجت الجهة تاريخياً في اللسانيّات على أنّها «وجهة نظر حول الحدث» قادرة على أن تظهر في شكل مورفيّات نحوية مستقلة. ويقتضي منّا السعيّ إلى توضيح بنية الفواعل التحتيّة لتجليّ مختلف «الجهات» إدراج [...] فاعل منقذ للفعل من ناحية، ومن ناحية أخرى، فاعل عرفانيّ [يتولّى] ملاحظة هذا الحدث وتفكيكه، محوّلاً إيّاه إلى حدث (متميّز إذن بدلالات الاستمرار أو عدم الاستمرار، بالانقضاء أو عدم الانقضاء، بالابتداء أو الانتهاء)» [١٤]، ورأى جون ديوبوا وأصحابه Jean Dubois et al أن «الجهة مقولة نحوية تعبّر عن تصوّر الفرد المتكلّم للحدث المُعبّر عنه بواسطة الفعل (أو اسم الحدث)، بمعنى تصوّر مدّته وجريانه أو انتهائه (جهة الشروع والتدرّج/الصدد والانتهاء، إلخ.)» [١٥].

وأفعال التوجيه فيما يعيننا حاضرة في معظم اللغات الطبيعيّة، وهي مثار جدل بين من يعتبرها متعلّقة بالمعجم ومن يعتبرها متعلّقة بالنحو، ويقرّها من الأفعال المساعدة *verbes auxiliaires* والأفعال شبه المساعدة *verbes semi-auxiliaires* التي لا يمكنها أن تكون الأفعال الأساسيّة في التراكيب، وممّا يقوله عنها موريس قروس Maurice Gross، صاحب نظريّة النحو المعجم (١٩٧٥-١٩٨١) *théorie du lexique-grammaire*: «[للفعل] المساعد دور دلاليّ ثانويّ، لعلّه ظرفيّ، قياساً على الظرف. ويقتصر دور الأفعال المساعدة على إضافة تدقيقات (أو موجهات *modalités*) إلى الحدث الأساسيّ الموافق للفعل» [١٦].

وقد تكون أفعال توجيه متعدّدة المعاني، لكنّ سياق التلفّظ ونبرته كفيّلان برفع اللبّس؛ فجملة من قبيل: «يستطيع العامل أن يتأخّر» قابلة، إلى جانب مكافأتهما لـ: «يمكن أن يتأخّر العامل»، للتأويل بـ: «للعامل إذن بالتأخّر»، «العامل قادر على التأخّر»، «عوائق مادّيّة ما تسبّب تأخّر العامل».

سنحاول، في ضوء ما تقدّم، الكشف عن نحو «وجب/يجب»، فعّل توجيهه، وما يضيفه من معان على التراكيب التي يدخل فيها.

٢,٢ البنى النحويّة للفعل «وجب/يجب» بصيغة المجرّد وصيغ المزيد

البنية ف ١.

(١) يجب إجراء عمليّة تصحيحية في سوق الكويت الماليّة

يدعو هذا المثال إلى التوقّف عند ثلاث مسائل:

- طبيعة ٠١ المصدرية بما أنّه لا يستقيم قولنا:

*يجب رأس المال

لكون الموضوع اسماً جامداً

مق استقامة:

يجب توفير رأس المال

بفاعل من المجرّد (مصدر/ اسم مشتقّ)

ففاعل هذا الصنف من الأفعال لا يكون اسماً جامداً، بل هو ذو طبيعة مصدرية أو جملية:

لا يجب أن يتجاوز ارتفاع السهم هامش ١٥٪

- تواتر ورود هذا الفعل في صيغة المضارع؛ وتتطلّب صيغة الماضي حضور ظروف زمان ملائمة:

وجب تصحيح السوق (؟E + آنذاك + وقتها)

ولا يتعارض هذا مع ما أوردناه من أمثلة «لسان العرب»، إذ أن معانيها تفترض الانقضاء، ومن ثم التلاؤم والاكْتفاء بصيغة الماضي؛ في حين يشترط مثالنا الأخير أن أسبقية التلقُّظ بفعل الوجوب «وجب/ يجب» على تحقُّق الحدث المضمَّن في الفاعل النحويِّ للتركيب؛ وحتى في قولنا: «وجب تصحيح السوق (E؟ + آنذاك + وقتها)»، ينسجم الفاعل النحويُّ المشتقُّ «تصحيح» مع التحقُّق في مستقبل، فيما مضى. ويظَلُّ التفاوت بين زمان التلقُّظ وزمان المضمون القضويِّ للفاعل النحويِّ، علاوة على القيود التركيبية، من أهمِّ شروط تصنيف «وجب/ يجب» فعل توجيه؛ وسنعود إليه.

- ورود ١٠ معرفاً بالأداة «ال» أو بالإضافة:

* يجب ضحٌّ

مق:

يجب (ال) ضحٌّ (للـ + ال) أموال.

إلا أن مثلاً أوردته المنجد في اللغة والأعلام [١٧]، وكان على

البنية ف ١٠ ح <لـ > ١١ ح <على > ٢١

(٢) وجب لي على فلان دينار

(وهو قابل لإعادة البناء، باسترداد المصدر المحذوف، كما سيتوضَّح من (٢)) يجعل ما اعتُبر من لوازم فعلنا محلَّ مراجعة، فالفعل في صيغة الماضي، و١٠ «دينار» اسم جامد غير معرّف، وإن كان تقدير مشتقُّ مُلبس محذوف من قبيل: «صرف»، «دفع»،...، واردة؛ فيكون أصل الكلام:

(٢١) وجب لي على فلان (دفعُ + صرفُ + تسديدُ) دينار

وعن طبيعة ١٠ المصدرية، فإنَّ ما تجدر ملاحظته هو أن التأويل الحرَّ أو المقيد يكون بحسب استعمالنا على التوالي، المصدرَ أو الفعلَ المضارع المنصوب بـ«أن»، فالقول:

(٣) يجب احترامُ الإجراءات الوقائية ضدَّ الفيروس

لا يُفصح لا عن جنس ولا عن عدد المعنيتين بالحدث الذي في الفاعل النحويِّ بالمصدر «احترام»، وهذا مجال التأويل الحرِّ، أمَّا في قولنا مثلاً:

(٤) ينبغي على (المواطنين + المرّي + ...) احترام الإجراءات الوقائية ضدّ
الفيروس

فإنّ ١٠ الدلاليّ للحدث يتعيّن من حضور ١١ (المواطنين + المرّي + ...) في
التركيب، وينطبق التأويلان على أفعال أخرى من قبيل «أراد» في قولنا:

(٥) أراد الخبراء (رفع + أن يرفعوا + أن يرفع المسؤولون) حجم السيولة

إلّا أنّ التأويل الحرّ يبدو منحسراً مع أفعال عاملة *opérateurs verbes* (=)
تُعْمِلُ جملة في جملة) قريبة دلالةً وسلوكاً نحوياً من «أراد»، مثل «نوى»؛ وقولنا:

(٦) ينوي الخبراء (رفع + أن يرفعوا) حجم السيولة

مُتمخِّصٌ للتأويل المقيد، لآتمّاد فاعل *coréférence du sujet* الفعلين: النيّة
والرفع؛ أمّا مع الفعل «تمنى»، فترجح كفة التأويل الحرّ، ويعود الاختلاف، رغم
كون «نوى» و«تمنى» فعلين «للمصعود *verbes de montée*، إلى أنّ العزم في الأوّل
ينطلق من «قدرات ذاتية»، في حين يتعلّق تحقُّق المرغوب فيه مع الفعل الثاني بعوامل
خارجة عن «نطاق» الذات كما في قولنا:

(٧) أتمنى أن يلقي الاقتراح قبلاً

بل يظلّ الارتباط بالعوامل الخارجية، وإن بدرجة أقلّ، حتّى في القول:

(٨) أتمنى النجاح (E + في المشروع)

لهذا كلّه يجوز استبدال صيغة المعلوم بصيغة المبنيّ لغير الفاعل، قولنا:

(٩) يتمنى الخبراء أن يرفع حجم السيولة

أو ما يوازيها من صيغ المطاوعة والجعل الصفر *causatif zéro*:

(١٠) يتمنى الخبراء أن يرتفع حجم السيولة

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ الأفعال العاملة من قبيل «أراد» و«نوى»
تسهم في رفع اللبس المتعلّق بـ ١٠ من حيث الفاعليّة أو المفعوليّة في بعض الجمل من
قبيل:

يزعج المضاربون المستثمرين

التي لا يمكن تحديد الفاعل المنفذ *sujet agentif* فيها، بمعنى: هل يتقصد أ٠
إزعاج أ١ أم لا؟ وحتى إدراج الظرف لا يرفع اللبس:

يزعج المضاربون المستثمرين (كالعادة + دائماً)

وقد يتقلص اللبس إلى حدّ ما عند القول:

يزعج المضاربون كعادتهم المستثمرين

أمّا إدراج أفعال عاملة مخصوصة، فكفيل برفع اللبس:

(يريد + ينوي + يتعمّد) المضاربون أن يزعجوا المستثمرين

وبالعود إلى البنية «ف أ٠»، فإنّه لا يعسر علينا تبين أنّ أ٠ إنّما هو فاعل نحويّ
وليس فاعلاً دلاليّاً، بما أنّه يمكن في حالاتٍ استقدامُ الفاعل الدلاليّ للبنية:

البنية ف.أ.٠١

(١١) (أوجب + استوجبت) الارتفاعات المتكرّرة للأسهم إجراء عمليّة
تصحيحيّة في السوق النقديّة

المكافئة لـ:

= (١١) جعلت الارتفاعات المتكرّرة للأسهم إجراء عمليّة تصحيحيّة للسوق
النقديّة أمراً واجباً

وذلك لاندرج صيغتي «أفعل» و«استفعل» من «وجب» في العوامل السببيّة
opérateurs causatifs. وفي شأنها يذكر موريس قروس أنّ بعض الأفعال، مثل
faire/make (= جعل) تدخل على أفعال عديدة أخرى لتكوين جمل بمعنى جعليّ؛
لدينا:

يجعل زيد # بكرٌ يفهم

يجعل زيد بكرأ يفهم

مما يزيد موضوعاً (= زيد) للجملة «الأصليّة» (يفهم بكر). ويعمّم موريس

قروس هذا التحليل على أفعال مثل rendre (= صيّر) و mettre/put (= وضع/ ترك)، كما في: «صيّر الدم الماء أحمر» (= صار الماء أحمر)، و «وضع/ ترك زيد بكرًا في حرج» (= أخرج زيد بكرًا)؛ (م. قروس، ١٩٨١ ص ص ٢٣-٣٠) [١٨]. وفي العربية، تؤدّي مزيدات الأفعال بـ «فعل» و «أفعل» المعنى الجعليّ:

(فهم + أفهم) زيد بكرًا الدرس (= جعل زيد بكرًا يفهم الدرس)

ومن الطرافة بمكان اعتبار النحاة القدامى المفعول به الأوّل (= بكرًا) (في مثالنا)) فاعلاً للمفعول المجرد (= فهم)، فيحتلّ المفعول الثاني حيز المفعول الأوّل:

يفهم بكر الدرس

ولئن كان الأمر مألوفاً مع المزيد بـ «أفعل» من «وجب»، فإنّ صيغة «استفعل» تبدو متمحّضة لمعنى «الجعل» مع هذا الفعل وبعض من بدائله مثل «ألزم» (من «لزم»، قولنا: «استلزم»). ومن خصائص فعلنا استواء الدلالة بين المجرد (وجب) والمزيد (توجب).

نتبيّن من كلّ ما سبق أنّ العلاقة بين البنيتين ف ١٠ (المثال ١) و ف ١٠١ (المثال ١١) قائمة، عن طريق العوامل السببية، في إبراز الفاعل الدلاليّ.

ولصيغة «أفعل» (أو جب) البنية المشبّعة (المستوفية لجميع المفاعيل) التالية:

البنية ف ١٠٠ ح <على> ٢١

(١٢) أوجب القائمون على السوق الماليّة على المستثمرين الامتثال للقوانين

ومنه أيضاً في بنية بثلاثة مفاعيل:

البنية ف ١٠٠ ح <على> ٢١ ح <لـ> ٢١

(١٣) (أوجب + فرض) الله الصوم (E + له) على عباده

وفيهما فاعل المصدر الوارد في موقع ١١ هو الفضلة المدرّجة بالواسطة «على»، بما أنّه يمكن إعادة بناء الجملتين كالآتي:

(١٢١) انقيادُ المستثمرين لقوانين السوق الماليّة واجب

(١٣١) صوم العباد لله واجب

مما يعني أنّ مضمون الواجب (الامتثال، الصوم) لا يشمل ٠١ في كلّ الحالات إذا كان اسماً من أسماء الجلالة، بينما قد يشمله إذا كان ٢١ مركباً بالعطف، المعطوف عليه فيه «النفْس» مضافة إلى ضمير يعود على ٠١:

(١٤) أوجب القائمون على السوق الماليّة على أنفسهم وعلى المستثمرين الانقياد للقوانين.

وتستوفنا في هذه البنية الفضلة المدرّجة بالواسطة «على»، لكونها من طبقة **العاقل** < human، ممّا يسمح بإعادة بناء الجملة على النحو التالي:

(١٢٠) يجب على الأتباع طاعة القائد

وهو ما لا يصحّ مع اسم من طبقة < غير العاقل > non human:

* يجب على الظروف الاستعداد للمشروع

* يجب على الأقدار أن تستجيب [١٩] للمطالب

مق:

يجب على الشركاء (الاستعداد + أن يستعدّوا) للمشروع

يجب على الحكومة (الاستجابة + أن تستجيب) للمطالب الشعبيّة

باعتبار الحكومة من طبقة < العاقل الجماعيّ > human collectif الدلاليّة، المتفرّعة عن طبقة < العاقل >.

وللفعل «يجب» استعمال مخصوص، لعلّه مقترن بالنصوص الشرعيّة؛ وفيه يبرز الحرف «في» مكافئاً للحرف «على»، نقول:

(١٥) تجب الزكاة (على + في) المال البالغ النصاب [٢٠]

حيث استعمال الحرف «في» أقرب إلى استعماله في الآية: «يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى» [٢١]، وهو ليس من قبيل «في» في قولنا:

وجب النظر في الأمر

لأنَّ الحرف هو ممَّا يتعدَّى به الفعل «نظر» ويقبل التقديم والتأخير في حال التضمير:

وجب فيه النظر

= وجب النظر فيه

ما نخلص إليه هو أنَّ البنية «ف ١٠» بالفعل «وجب/ يجب» هي المنطلق والمنتهى، بها أنه يمكن أن تُحمل عليها التنوينات والبُنَى المشبَّعة؛ وتسمح البنية «ف على ١١» ١٠، أي بتقديم ١١ على ١٠ بإبراز نيابة الحرف عن الفعل، ممَّا يقرب فعل «وجب» من الأفعال العامَّة [٢٢] *verbes généraux* وأفعال العماد [٢٣] *verbes support*، فقولنا:

(١٦) يجب عليك احترام البروتوكول الصحيّ

مكافئ لقولنا:

(١٦) عليك (E + ب) احترام البروتوكول الصحيّ

ولا يستقيم الحرف «ب» عند حضور فعل التوجيه «يجب»:

(١٦٠) *يجب عليك باحترام القانون

كما أنَّ سقوط الفعل «يجب» لم ينجرَّ عنه ذهاب المعنى، وفي هذا إحدى خصائص العماد كما يتبيّن من قولنا:

قامت الحكومة برفع الرسوم الجمركية

= رفع الحكومة للرسوم الجمركية [أمر متوقَّع]

إذ لم يذهب معنى «رفع الحكومة للرسوم» بحذف فعل العماد «قامت» (أضفنا الخبر النمطيّ لتمام الجملة).

وكما قد يُستغنى بالحرف «على» عن الفعل «يجب»، فإنَّ معنى الإلزام الذي يتضمّنه هذا الفعل ووفرة تداول عبارات قائمة على الإضافة، المضاف فيها المصدر «وجوب» جعلت هذا المركّب مستغنياً عن الخبر النمطيّ، خلافاً لبقية المركّبات:

وجوبُ التوقّف

*رفع الأجر مق: رفع الأجر أمر متأكد.

وليس الفعل «يجب» لازم الحذف، كما هو الشأن بالنسبة إلى الأفعال العامة التي لا يخلو منها فعل (ضَرَبَ = كان منه ضَرْب)، والمحذوفة وجوباً [٢٤].

ويمكن تفسير تَضْمُنِ «على» المعنى الوجوب بكونه أثراً من آثار حذف «يجب»، لأنّ الحذف في اللغات الطبيعية أيسر من الزيادة؛ من ذلك أنّ أصل جملة «دخل زيد الغرفة»، مثلاً، هو «دخل زيد إلى الغرفة»؛ ويطرّد حذف الأسماء الملازمة *noms appropriés*، مثل «خسارة» في قولنا: «تكبّد قطاع السيارات مليارات الدولارات»، بدل: «تكبّد قطاع السيارات خسارة بمليارات الدولارات»؛ وقل الشيء نفسه بالنسبة إلى الاسم «خيفة» مع الفعل «توجّس». ومن الأسماء القابلة للحذف الأسماء التصنيفية *noms classifieurs*، كما في قولنا: «اشتريتُ الكتاب بدينار»، بدل: «اشتريت الكتاب بقيمة دينار».

ويظلّ معنى الوجوب ملازماً لـ«على»، سواء أعتبر اسم فعل بمعنى الأمر، كما في: «عليك بزيد أو بكذا» (= تمسّك به)؛ أو كما في: «عليّ بفلان أو بكذا» (= أحضره لي أو أعطني إيّاه).

ولا يتمّ الإخبار بلفظ «الوجوب» في موقع المسند فقط، بل يتعدّاه إلى موقع الظرف؛ ويتواتر ذلك في المدوّنات النحويّة، من قبيل:

يتقدّم الخبر على المبتدأ وجوباً إذا كان مركّباً بالجرّ، والمبتدأ اسماً نكرة

والجملة تقبل تحويل إعادة البناء *transformation de reconstruction*:

يجب (تقديم + أن يتقدّم) الخبر على المبتدأ إذا كان مركّباً بالجرّ، والمبتدأ اسماً نكرة

٣,٢ من البدائل الجدوليّة لـ«يجب»

نورد على سبيل الذكر لا الحصر: «ينبغي»، «يلزم»، «يتعيّن»، «يتحتّم»، «يقضي» (الأمر، الوضع)، «يفرض»؛ لدينا:

(يجب + يتوجّب + ينبغي + يلزم) (E + عليه) (الحضور + أن يحضر) في الموعد

ويؤدّي معنى الوجوب أيضاً عن طريق بعض المصادر: «وجوباً»، «حتماً»، والمركبات: «على» (+ اسم أو ضمير)، (وقد مرّ بنا)، «لا بدّ»، «بموجب»، «بمقتضى»، ...، أو حتّى الجمل: «بات (لزماً + متحتماً + ...)»؛ ويطال الوجوب بالخلف معنى المنع، إلى حدّ التحريم، بأفعال من قبيل: حَجَّرَ/يُحَجِّرُ، منع/يُمنع، حضر/يُحْضِرُ، ...؛ ويطرّد ورودها بالمبنيّ لغير الفاعل (يُحَجَّرُ، يُمنع (E + منعاً باتاً))، وباسم المفعول (ممنوع، محظور، محجّر، ملزم (بالنسبة إلى الأشخاص))، وباسم الفاعل (موجب، ملزم (بالنظر إلى نصوص القوانين))، وتُستعمل عبارة «بموجب» في مقامات تفسير أو تبرير سنّ الأحكام أو تطبيقها. ويُتوسّع بالوجوب إلى الأمر والنهي والزجر في معانيها الأصليّة، أي من الأعلى مقاماً إلى من دونه.

ومما تجدر ملاحظته، اندراج البديل الجدوليّ «ينبغي» في الناقص التصريف، بما أنّه لا يُستعمل إلاّ في صيغة المضارع، فلا الماضي ولا المصدر المشتقّ منه ممكنان، كما مع «يجب»، إذ يصحّ قولنا:

(وجب + يجب + وجوب) البيع

(*انبغي + ينبغي + انبغاء) البيع

فالماضي «انبغي» مهمّل، ويعبّر عنه بـ: «كان ينبغي» [٢٥]، وفي النفي بـ: «ما كان ينبغي»، وأخفّ من ذلك في عدم الوجوب: «ما كان له».

ولا يمكن ردّ ١٠ مع «ينبغي» إلى ١١، كما يحدث مع «يجب»، ممّا يقرب «ينبغي» من الأفعال «المهمة» *verbes impersonnels* في اللغة الفرنسيّة، وتلحق بـ «ينبغي» صيغة «تفعل» من الفعل «وجب» من حيث عدم إمكانية ردّ ١٠ إلى ١١، إلاّ أنّ «توجب» ليس ناقص تصريف تماماً، بما أنّه يمكن استعمال صيغتي الماضي والمضارع، وبصفة أقلّ المصدر. أمّا «يلزم» فيتصرّف تصرّف «يجب»، بما أنّه يمكن استعماله بصيغة «أفعل»، وتكون «ب» [٢٦] واسطة التعدية إلى ٢١:

ألزمتني أوضاع السوق بالبيع

وتسقط الواسطة «ب» إذا كانت الفضلة جامدة:

ألزمني المرض الفراش

وثمة حدس بحذف المصدر «ملازمة»، اجتناباً للحشو: (؟)ألزمني المرض
بملازمة الفراش)

ويدخل هذا الفعل في البنية « ف ١٠ ا ح > ب ٢١ »:
ألزم زيد (نفسه + بكرةً) بقضاء دينه

وما تجدر ملاحظته فيما يتعلّق باختلاف تأويل ١٠ في البنية « ف ١٠ » لـ«وجب»
ولبدائله الجدوليّة، هو أنّه أحاديّ التأويل إذا كان فعلاً مضارعاً مسبوقاً بـ«أن»،
لتصرّف الفعل مع الضمير المتعيّن:

(يجب + ينبغي + يلزم + ...) أن (أبيع + يبيع + يبيعوا + ...)

أمّا في حال استعمال المصدر، فالتأويل حرّ كما أسلفنا، قولنا:

(يجب + ينبغي + يلزم + ...) البيع

إذ «البيع» متعلّق بإرادة المتكلّم وبسياق التلفّظ، وليس تعدّد التأويل واقعاً بلغات
أخرى، مثل الفرنسيّة والإنجليزيّة:

Il doit partir

He must go

(والجملتان بمعنى «يجب عليه أن ينطلق/ يذهب»); ويصبح التأويل غير مقيّد
في حال استبدال «doit» (المصرّف من الفعل devoir مع جميع الضمائر) بـ«faut»
(المصرّف فقط مع ضمير الغائب المفرد من الفعل falloir)، كما في:

Il faut partir

الجملة الثلاث في معنى وجوب الذهاب، لكنّ تأويل الأولين مقيّد بضمير
الغائب المفرد، أمّا الثالثة فتأويلها حرّ. وللإشارة، فإنّ الفعل devoir فعلٌ توجيه،
أمّا falloir فلا.

تبيّن لنا أنّ التجمّد أو شبه التجمّد ليسا بغريبيّن عن أفعال التوجيه (في معنى
الوجوب)، بحكم تواتر ورودها في صيغة المضارع، كما أسلفنا، ولزومها عموماً

ضمير الغائب المفرد، سواء أ كان الفاعل مذكراً أو مؤنثاً، مفرداً أو مثني أو جمعاً؛ إلا أن «يجب» يمثل أقل درجات نقص التصريف، إذا اعتبرنا وروده بصفة أقل في صيغة الماضي وإمكانية تأنيثه، وكذلك جواز الإخبار به، سواء أ كان اسماً (وجوب) أم صفة (واجب(ة))، أو كان في موضع المسند أو الظرف، وتلك هيئات لا تتوفر خاصة لبديله الجدولي «ينبغي» الموغل في نقص التصريف، إلا إذا استثنينا ندرة استعماله مؤنثاً:

تنبغي مراجعة الخير الاقتصادي قبل خوض غمار الاكتتاب في البورصة وكذلك ندرة استعماله الشديدة في الماضي؛ ولكن ليس في معنى «الإلزام»، وإنما في معنى «الصلاح» و«التيسر» [٢٧].

ومن منطلق «الترادف»، يمكننا توسيع قائمة البدائل الجدولية بأفعال في معنى الإيجاب والإلزام، من قبيل: «أجبر» و«أكره» و«أرغم»، ... (لدينا: أجبره على الأمر: ألزمه بفعله)؛ مع ضرورة دراسة الأفعال حالة بحالة، تركيباً ودلالة، على اعتبار عدم وجود ترادف بصفة مطلقة.

٢،٤ الزمان والجهة في التراكيب بأفعال الوجوب، أفعال توجيه

يسمح الانطلاق من:

(١) (ينبغي + يجب + يلزم + ...) إدراج الشركات الكبرى في البورصة لإنعاش الاقتصاد.

(٢) احترام القانون الداخلي للسوق (واجب + لازم)

(٣) (وجوب + ؟ لزوم) (التوقف + دفع الرسوم)

بمحاولة إبراز علاقة أفعال التوجيه modalité بالزمان والجهة aspect اللذين يسهان التركيب؛ ولا يغيب عنا من الوهلة الأولى اصطباغ الأحداث في أمثلتنا بطابع الإطلاق في الزمن، إلا أنه يمكننا أن نسجل فيما يتعلق بـ (١) مهلة بين زمن التلقظ والزمن المفترض لتحقيق الفعل الأساسي في صيغة المصدر (إدراج)؛ أما التوجيه بالصفة في (٢)، فهو يضمن تلازماً وتزامناً بينه وبين الحدث الرئيسي

(احترام)؛ فيما يضمن فعل التوجيه بالمصدر في (٣) جهة التكرار aspect itératif.

وما ينبغي الانتباه إليه في جمل من قبيل

(٤) يجب (استدعاء + أن يُستدعى) الشهود

هو اشتغال التراكيب بأفعال الوجوب على عامل أعلى *opérateur supérieur* (يجب) هو فعل الوجوب ذاته، وبنية إسنادية يمثلها الفاعل الاعتباري/ النحوي للعامل الأعلى ((استدعاء + أن يُستدعى) الشهود)؛ ولا يخفى أننا بإزاء زمنين، سابق متعلق بالعامل، ولاحق مضمّن في «فاعله» (موطن الحُمْل / الإسناد).

على أن فعل التوجيه «يجب» [٢٨] و«يلزم» موصولان معجمياً بالزمن؛ وأهم ما ينبغي قوله هو أن الأفعال التي نظرنا فيها لا ترد في الخطاب الذي هو من صميم لغات الاختصاص (لغة البورصة تحديداً)، لأنها ستكون عديمة المعنى:

* يجب أن ترتفع أسهمنا

إلا ما كان من أمانيّ المستثمرين في مناجاة بعضهم بعضاً، أو في مناجاتهم أنفسهم؛ وكذا الشأن بالنسبة إلى أفعال التواصل في الخطاب المصاحب أو الحاضن للغة الخاصة. لدينا مثلاً:

يتوقع الخبراء ارتفاع أسعار النفط

وفي هذا تفسير لتواتر استعمال «وجب/ يجب»، من قبيل:

يجب وضع/ ليس الكمامة لمنع عدوى الفيروس

وللوجوب معنى الإثبات، باعتبار استعمال سبويه لمصطلح «الواجب» في مقابل «المنفي».

يتبين إذن أننا مع «وجب/ يجب» بإزاء فعل يتوفّر على طيف تأويل واسع، ومن ثمّ، فهو يتطلّب مزيد النظر والتحقيق؛ لذلك آثرنا أن نختم محاولتنا بما من شأنه أن يحمل الدارسين على إغنائها.

٣. آفاق البحث

١,٣ سمة العموم في الفعل «وجب»

نركز تحت هذا العنوان على ارتفاع نسبة انتقاء فعلنا لموضوعاته، بالقوة، أي باعتبار «مرادفاته» وبدائله الدلالية؛ وقد تبين ذلك من وفرة المعاني المسندة إلى الفعل «وجب» في المعاجم القديمة والحديثة؛ ذكرنا منها الموت والغياب/الأفول والسقوط واللزوم/الثبوت؛ إضافة إلى معنى الخفقان/الاضطراب. ولا يعسر تبيين انسحاب تلك المعاني، باستثناء «الخفقان» الخاص بالقلب، على كم غير مُتناهٍ من الأشياء/الموجودات، إن لم يكن على الحقيقة، فعلى المجاز؛ ذلك أن الموت يصيب الإنسان والحيوان والنبات والأمل والحياة، وما إلى ذلك؛ وقل الشيء نفسه عن الغياب والأفول. والسقوط مأل كل ذي كتلة مرتفع عن الأرض، وحتى ما هو من المجرد كالحق والعدل، وهكذا. واللزوم بمعنى التحتم وحلول الأجل يلبس كل حدث يمكن تصوّره (من الولادة إلى الموت، من الاحتفال إلى الحداد، من ال... إلى ال...). وينوب عن الخفقان «الاضطراب» الذي يشمل الغصن والقارب والمواقف والدورة الدموية، وحتى دقات القلب؛ والقائمة تطول. فهل بعد الوقوف على اتساع طيف فاعل «وجب» من جواز القول بأن هذا الفعل من لوازم ما يُشاهد في الحياة من أعمال وأحداث وأحوال، وبانجذابه إلى الأفعال العامة التي «لا يخلو منها فعل»؛ لكنّه على عكسها لا يُحذف، إلا ما كان من واسطة التعدي «على» النائية عنه؟ [٢٩].

٢,٣ جدوى وصف «وَجَبَ/يَجِبُ» فعل توجيه

إنّ انتهاء الفعل «وجب/يجب» إلى خطاب ما وراء اللغة وقربه من الأفعال المساعدة يميزان اعتبار تركيبه مع جمل منتجة أو حاملة لمعنى «الحدث» وإكسابه لها معنى الوجوب مدخلاً للنظر إليه على أنّه يمثل الجملة العليا *phrase supérieure* «الحاضنة» لحدث/مضمون قضويّ هو المقصود من الكلام؛ وهذا شأن «قال» مع مفعول القول، على سبيل المثال؛ وشأن الأفعال العاملة *verbes opérateurs* التي تُعمل جملة في جملة؛ ومن شأن هذا الاعتبار توسيع أفق معالجة فئات من الأفعال بأبعاد التوجيه والجهة وغيرهما فيها. وهكذا يصبح للتمييز بين الفاعل النحوي والفاعل الدلاليّ في بعض التراكيب كبير الفائدة في فهم كيفية اشتغال اللغة وإفهامها لتعلميها، من أهلها ومن غير أهلها.

ففي جملة بفعل عماد مثل: «ألقى زيد باللائمة على عمرو»، «زيد» هو فاعل نحويّ لفعل العماد «ألقى»، وفاعل دلاليّ لحدث «اللوم/ اللائمة». وفي جملة بفعل توجيه بمعنى الوجوب مثل: «يجب على المواطن الإسهام في حفظ الصحة العامة»، الفاعل النحويّ لـ «يجب» هو «إسهام المواطن في حفظ الصحة»، المتضمّن بدوره إسناداً، والفاعل الدلاليّ فيه هو «المواطن» للمسند وهو الاسم المشتقّ («الإسهام في حفظ الصحة»). ويقدر ما يتجرّد «وجب/ يجب» من الحدث، مستقبلياً الزمان والتوجيه modalité، فإنّه يمكن تقريبه من «أفعال العبارة»، حسب تصنيف ابن يعيش للأفعال الناقصة (كان وأخواتها وأفعال الشروع والمقاربة وأفعال القلوب وما شابهها)؛ يقول: «فلما كانت هذه الأشياء لا تدلّ على حدث، لم تكن أفعالاً إلاّ من جهة اللفظ والتصرّف» [٣٠].

نخلص من هذا كلّه إلى أنّ اشتغال الفعل على حدث وزمانه أو اختصاصه بالزمان، وما يلحق به من جهةٍ وتوجيهٍ، هما الركيزة الأساسية، إن لم نقل الأولى للتصنيف.

خاتمة

سعيانا في بحثنا إلى تتبّع السلوك النحويّ للفعل «وجب/ يجب»، للوقوف على أبرز خصائصه التركيبية والدلالية، في استعمالين له: فعلاً توزيعياً وفعل توجيه. فكان أن تطرّقنا إلى مفهوم التوزيع، وأن قدّمنا نبذة عن أفعال التوجيه. ولما كان التركيب غير منفك عن الدلالة، عمدنا إلى ضبط البنى النحوية لفعلنا في الاستعمالين؛ ولم نُغفل الانفتاح على بدائله الجدولية، في معنى «الوجوب» تحديداً، لنقف على تحركها بين قطبي الاشتقاق والتجمّد وشبهه (ممثلاً في «ينبغي»). ومن عناصر بحثنا، علاقة الفعل «وجب/ يجب» بالزمان والجهة. أمّا نهاية المطاف، فكانت التنبيه إلى سعة الطبقات الدلالية لفاعل «وجب»، وقد شملت العاقل والحيوان والنبات والجماد المحسوس والمجرّد، في جعل على الحقيقة أو على المجاز؛ وكذلك طرح وصفنا لـ «يجب» فعلاً توجيه آلياً لمعالجة الأفعال المساعدة والأفعال العاملة وأفعال التواصل، من حيث انتماء بعضها إلى الميتا خطاب، واقتصار دورها على إدراج التراكيب الإسنادية الحاملة للإعلام اللساني، وإضفاء الأبعاد الجهية عليها؛ وهو ما حوّل لنا التمييز بين نوعين من الفاعلين: الفاعل النحويّ والفاعل الدلاليّ؛ وعلى هذا الأساس، أجزنا لأنفسنا



اقترح منوال إجرائي لتصنيف الأفعال. كل ذلك من أجل فهم أدق لكيفية اشتغال اللغة، وتوسيع آفاق معالجة الظواهر اللغوية.

الهوامش

– انظر في شأنها مقال عبيد، راضية (٢٠١٩) ”الخصائص التركيبية والدلالية لأفعال التواصل“ العدد ٨ من مجلة ”اللسانيات العربية“؛ وكذلك:

Le Pesant, Denis (2007) « Trois petites études sur les prédicats de communication verbaux et nominaux » in Langue française .n° 153

٢– انظر في شأنه:

Giry-Schneider, J. (1987) : Les prédicats nominaux en Français, .p 21

Kechaou, S. (1997): « Verbes supports, verbes opérateurs et décompte d’argument » in Études linguistiques vol. 3, revue .de l’Association Tunisienne de Linguistiques, p 6

٣– انظر في شأنها هاريس (١٩٦٤).

٤– « La distribution d’un élément sera définie comme » la somme de tous les environnements de ces éléments. L’environnement d’un élément A est la disposition effective de ses co-occurents, c’est-à-dire des autres éléments, chacun dans une position déterminée avec laquelle figure A pour produire un énoncé. Les co-occurents de A dans une position déterminée sont appelés la sélection de A pour cette position ». Harris, Z. (1970) : « La structure distributionnelle» .in Langages n°20 p 14

٥– « La distribution acceptée par un verbe dans une structure »

donnée peut être à priori différente de celle acceptée par le même verbe dans toute autre de ses structures ». Boons. J.P ; Guillet A., Leclère C. (1976) : La structure des phrases simples .en français, p.170

« Chaque fragment du discours est une combinaison – ٦ particulière d'éléments ». Harris, Z. (1970): «La structure .distributionnelle» in Langues n°20, p 29

٧- وبهذا المعنى شُرح الفعل "وجب" في قوله تعالى: "فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا"؛ (الآية ٣٦ من سورة الحج)؛ راجع تفسير محمد الطاهر بن عاشور، م ٧، ج ١٧، ص ص ٢٦٢-٢٦٤.

٨- ومن القديم: «وجب الشكر علينا» من قصيدة: «طلع البدر علينا»؛ (مع ضرورة الاحتراز على صحّة مقام إنشادها).

٩- في التونسية يقولون:

الزرع وَجِبَ: يعني حان وقت حصاده.

الطعام وَجِبَ: يعني حان وقت رفعه من على النار.

ولا يتعارض هذا مع ما ذهبنا إليه من إمكانية إعادة البناء:

في مرحلة أولى: وَجِبَ (أجلُ الرجل + قطافُ الثمر + ...)

وفي مرحلة ثانية: أوجب الله (أجلُ الرجل + قطافُ الثمر + ...)

ومما تقوله المرأة التونسية (على الأقلّ بجهة صفاقس):

عندي وَجِبَة صابون

والكلام بمعنى: عندي «كميّة» من الملابس المتسخة ((يجب + يتوجب) غَسَلُهَا + تستوجب الغسل + حان وقتُ غَسَلِهَا).

وما قولنا وجبة أولى ووجبة ثانية إلخ إلا دليل على اقتران ماهو من مادة / وج ب/ بالزمن والمواقيت.

١٠- ومن معاني "الوجبة" في لسان العرب أيضاً: صوت السقوط (ج ١٥-١٦ ص ١٥٤).

١١- النحو التحويليّ العربيّ، صالح الكشو؛ ص ٣٣.

١٢- « La relation entre l'aspect et le temps est multiple » et peut être considérée sous des angles divers. La notion d'aspect a reçu, dès les débuts de la théorisation dont elle a fait l'objet, une interprétation entièrement ou partiellement temporelle. On a vu une notion mise en avant et celle de la durée. » Cohen,D. (1989): L'aspect verbal. PUF, p72

١٣- الدرس العامّ (مخطوط) للأستاذ صالح الكشو (٢٠٠٣-٢٠٠٤) إلى طلبة الماجستير، كليّة الآداب بصفافس.

١٤- « Historiquement, l'aspect s'introduit en linguistique » comme « le point de vue sur l'action », susceptible de se manifester sous forme de morphèmes grammaticaux autonomes. En cherchant à expliciter la structure actancielle sous-jacente à la manifestation des différents « aspects », on est amené à introduire [...], d'une part un actant-sujet du faire, et, de l'autre, un sujet cognitif qui observe et décompose ce faire en le transformant en procès (caractérisé alors par les sèmes de durativité ou de ponctualité, de perfectivité ou d'imperfectivité, d'inchoativité ou de derminativité). » Greimas, A.J. ; Courtès, J. (1985), Sémiotique. Hachette Tome 1. p 22

L'aspect est une catégorie grammaticale qui exprime » ١٥ – la représentation que se fait le sujet parlant du procès exprimé par le verbe (ou par le nom d'action), c'est-à-dire la représentation de sa durée, de son déroulement ou de son achèvement (aspect inchoatif, progressif, résultatif, etc.). » Jean Dubois et alii (1972): dictionnaire de linguistique. Larousse p 53

L'auxiliaire a un rôle sémantique secondaire, on pourrait » 16- dire circonstanciel, par analogie avec l'adverbe. En effet, auxiliaires et adverbes ne font qu'introduire des précisions ou (modalités) pour le procès principal qui correspond au (verbe », Gross M. (1994

١٧- مادّة / وج ب / ص ٨٨٧.

١٨- انظر أيضاً، جدة السعفي، هيفاء: الجعليّة في اللغة العربيّة بين التراث واللسانيّة، (٢٠١٥)، عالم الكتب الحديث؛ إربد، الاردن.

١١٩- إلّا ما كان من المبالغات في الشعر، قول أبي القاسم الشابي مثلاً: «إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر».

٢٠- والعبارة المضبوطة كما وردت في النصوص هي كالتالي:

من القرآن الكريم: «والذين في أمواتهم حق معلوم للسائل والمحروم» المعارج ٢٤.

من جريدة البيان: وجبت الزكاة في مال بلغ النصاب وحال عليه الحول. ٢٩/٠١/٢٠٠٧. ص ١٠.

٢١- سورة البقرة، ٦١.

٢٢- (Kechaou, S. (1998).

٢٣- وقد عبّر موريس قروس عن إمكانية انتظام أفعال العماد والأفعال الجهيّة وأفعال التوجيه والأفعال المساعدة للزمان *auxiliaires de temps* في عقد واحد من حيث اقتضائها فاعلا نحويًا، أنظر مقاله: «Remarques sur la "notion du sujet" في Rapport technique، (١٩٩٥)، العدد ٤٧.

٢٤- يقول ابن يعيش عن فعل الوجود "كان"، كالذي في "كان منه ضرب": إنّه "كائن ضمنيًا في كلّ الأفعال الأخرى"، شرح المفصل، ج ٧، ٨٩.

٢٥- ومن صيغ الماضي المهملة: «وذر» (والأمر المستعمل منه: «ذَرَّ»، و«ودع» (والمضارع والأمر المستعملان منه: «يدع» و«دعْ»).

٢٦- وفي التونسية تكون "على" واسطة التعدية ولكن مع صيغة "فعل"، نقول: لزم عليه دفع خطية

٢٧- لسان العرب ج ١-٢ ص ١٢١.

٢٨- ورد في المنجد في اللغة والأعلام ص ٨٨٧: وجب وجبًا ووُجُوبًا: سقط ومات. لاحظ أنّ القاموس المذكور لم يورد صيغة المضارع لأنّ الموت يُعلن عنه بعد وقوعه.

لزم لزومًا و... الشيء: ثبت ودام، اللزّام: الموت؛ نفسه، مادّة "ل ز م"، ص ٧٢٠.

٢٩- راجع الكشو صالح (٢٠١٢) ص ص ٥٤-٦٧ (الأفعال العامّة مق الأفعال الخاصّة).

٣٠- شرح المفصل، ج ٧، ص ٨٩.

المصادر والمراجع

(١) باللغة العربيّة

المعاجم

- لسان العرب، ابن منظور، الطبعة السادسة، ١٨ جزءاً، دار صادر، بيروت ٢٠٠٨.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت ١٤٠٦-١٩٨٦.
- المنجد في اللغة والأعلام، المطبعة الكاتوليكيّة، بيروت ١٩٦٠.

المؤلّفات

- ابن يعيش، موقّق الدين (ت ٦٤٣هـ): شرح المفصّل، عشرة أجزاء، دار صادر، بيروت.
- بن عاشور، محمّد الطاهر: التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- عبيد، راضية، «الخصائص التركيبيّة والدلاليّة لأفعال التواصل».
- الكشو، صالح (٢٠١٢)، النحو التحويلي العربي، الاسم والفعل والحرف، مركز النشر الجامعي، تونس.
- المجدوب، عزّ الدين (٢٠١٢)، إطلاّات على الدراسات اللسانيّة والدلاليّة في النصف الثاني من القرن العشرين، بيت الحكمة، تونس.

(٢) باللغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة

- Les dictionnaires
- Baalbaki, Ramzi Munir (1990): Dictionary of Linguistic Terms, English-Arabic with sixteen Arabic Glossaries, Dar Al-Ilm Lil-

malayin, Beirut.

- Dubois, Jean et al. (1972): Dictionnaire de Linguistique. Larousse.
-
- Les écrits
- Cohen, David (1989), L'aspect verbal. PUF.
- Giry-Schneider, Jacqueline:
 - (1987) Les prédicats nominaux en Français, Droz, Genève.
 - (1994) « Les compléments nominaux des verbes de parole » in Langages n°115.
- Greimas, A.J.; Courtès, J. (1985), Sémiotique, Hachette Tome I.
- Gross, Gaston et Vivès, Robert (1993), « Le lexique-grammaire du français » in L'information grammaticale, n° 59.
- Gross, Gaston:
 - (1994) « Classes d'objets et description des verbes » in Langages n° 115, Larousse, Paris.
 - (2008) « Les classes d'objets » in LALIES - 28.
- Gross, Maurice:
 - (1975) Méthodes en syntaxe, Hermann-Paris.
 - (1977) Grammaire transformationnelle, syntaxe du nom, Larousse, Paris.

- (1978) « Deux remarques sur l’aspect » in Travaux du colloque (La notion d’aspect) organisé par le Centre d’Analyse syntaxique de l’Université de Metz.
- (1981) « Les bases empiriques de la notion du prédicat sémantique » in Langages n°63.
- (1994) « La structure d’argument des phrases élémentaires », Lingua franca n°1, Scheno Editore, Italie.
- (1995) « Quelques considérations sur les marques sémantiques d’un dictionnaire sémantique » in Lexiques grammairaux comparés et traitements automatiques, Université du Québec à Montréal.
- (1995): « Remarques sur la notion du sujet » in – Rapport technique n° 47.
- (1999) « Sur la définition d’auxiliaire du verbe » in Langages n°135, Paris, Larousse.
- Harris, Zellig Sabetai:
- (1964) Elementary Transformations. Philadelphia. University of Pennsylvania.
- (1970): « La structure distributionnelle » in Langages n°20.
- (1991) A Theory of Language and Information. A Mathematical Approach. Clarendon-Press. Oxford.
- (1997): « Synonymie, morphologie dérivationnelle et transformations » in Langages n°128, Paris, Larousse.
- Kechaou, Salah:
- (1997) « Verbes supports, verbes opérateurs et décompte d’ar-

gument » in Études linguistiques vol. 3, revue de l'Association Tunisienne de Linguistiques.

- (1998) «Les verbes en arabe : A propos des verbes dits généraux en arabe », in IBLA n°181.
- Le Pesant, Denis (2007): « Trois petites études sur les prédicats de communication verbaux et nominaux » in Langue française n° 153.
- Vendler, Zeno (1967): Linguistics in Philosophy. Ithaca, NY: Cornell University Press.

البنية التركيبية للجملة العربية في ضوء نظرية البنية المعلوماتية

د. سويلم بن فريج العطوي^١

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على الجملة العربية من خلال بنيتها التركيبية والمعلوماتية، والعلاقة بينهما من خلال تأثير الأخير على الأول. ويستعرض البحث بالمناقشة والتحليل الأسس والمفاهيم التي قامت عليها البنية التركيبية للجملة العربية عند القدامى والمحدثين وفي اللسانيات المعاصرة، والتي ارتكزت عند القدامى على أساس التركيب الإسنادي (المسند إليه والمسند)، وعند المحدثين العرب على أساس مفهوم «البنية الأساسية» أو «النموذج التجريدي» وفي الدراسات اللسانية المعاصرة على أساس «الرتبة» ومفهوم الرتبة الأصلية والفرعية. ثم يقدم البحث نظرية بديلة لتحليل الجملة العربية وهي البنية المعلوماتية لجيف (١٩٧٦م) وآخرين من بعده. وتقوم الفكرة الرئيسة لهذه النظرية على تقسيم بنية الجملة المعلوماتية إلى الموضوع (topic) أي المعلومات المعلومة، والبؤرة (focus) أي المعلومات الجديدة، وذلك في ضوء المستوى التواصلي بين المرسل والمتلقي والسياق الذهني للجملة. ويوضح البحث دور المنظومة المعلوماتية في تركيب الجملة العربية من حيث عدد عناصر الجملة ونوعية الترتيب المؤلفة للتركيب وفق متطلبات السياق التعائشي لمحتوي الجملة المعلوماتية. فالجملة الاسمية مثلاً تبنى بتقديم المبتدأ على الخبر، فيما تُبنى الجملة الفعلية بترتيب الفعل والفاعل والمفعول توالياً، لكن هذه العناصر قد تظهر بصورة ثانوية؛ كأن يتأخر المبتدأ أو يتقدم المفعول به أو يحذف الفاعل في جملة المبني للمجهول؛ وذلك استجابة لتأثيرات البنية المعلوماتية للجملة.

الكلمات المفتاحية: التركيب الإسنادي، البنية الأساسية، الرتبة، البنية المعلوماتية

١- أستاذ اللسانيات المساعد، رئيس قسم اللغة العربية، كلية التربية والآداب، جامعة تبوك.

أرسل البحث بتاريخ ٢٠٢١/٠٣/٢٠، وقيل للنشر بتاريخ ٢٠٢١/٠٥/٣٠.

Abstract:

This paper explores the Arabic sentence in terms of its syntactic and information structure and the impact of the second on the first. It examines the concepts and principles on which sentence structure depends according to Ancient Arab Grammarians and modern linguists. The Ancient Grammarians consider the Arabic sentence structure as a “predicative construct”, while modern Arab linguists look into its “basic structure”. Western linguists, however, deal with the Arabic sentence structure in view of its “basic order”. Such analyses will be discussed and some observations will be added to enrich the controversy. “Information Structure theory”, as suggested by Chafe (1976) among others, will then be introduced. It considers the sentence as mainly divided into: ‘topic’ which entails known information, and ‘focus’ involving unknown information. Such a view is situated within the pragmatics context and discourse level of the sentence as an exchange between speakers and listeners. The impact of information structure on the structure of Arabic sentences will be analyzed, particularly with regard to word order variation and the number of sentence components being the result of required informational content. Thus, verbless sentences are formed by fronting the topic followed by the comment, while verbal sentences follow the verb+subject+object order. The order of such sentence components may be subject to variations: the comment may precede the topic, and the object may occur between the verb and the subject, while the subject may be omitted altogether in passive voice sentences. Such variations will depend on the sentence information structure.

Keywords: predicative construct; basic structure; word order;

information structure; topic; focus.

١- البنية التركيبية للجملة العربية لدى العرب.

١,١ - البنية التركيبية للجملة عند العرب القدامى.

تقف الجملة العربية في تركيبها على العملية الإسنادية، وقد عرف الجرجاني الإسناد بقوله: «الإسناد في عرف النحاة: عبارة عن ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة»^١. والعملية الإسنادية متمثلة في ركنين أساسين، هما: المسند إليه والمسند، ولا تستقيم الجملة العربية إلا بوجود هذين الركنين في التركيب الإسنادي إظهاراً لهما أو تقديرًا لأحدهما، وخلاف ركني الإسناد ليس ضرورياً وجوده لاستقامة تركيب الجملة^٢. ويعرف المسند إليه بالمحكوم عليه أو المخبر عنه بينما يعرف المسند بالمحكوم به أو المخبر به. ولكي تتضح العملية الإسنادية وطرفيها في العربية، انظر للمثال فيما يلي:

١- أ. محمد موهوب

ب. س: ما رأيك بمحمد؟ ج: موهوب.

ت. محمد موهوب في الشعر.

في المثال (أ)، تمثل عنصر الجملة «محمد» في دور «المسند إليه»، فهو المخبر عنه في الجملة، بينما تمثل العنصر الآخر للجملة «موهوب» في دور «المسند»، فهو المخبر به في الجملة، والعملية الإسنادية هنا أفادت معنىً دلالياً وهو أن «محمد» مخبر عنه بأنه «موهوب». ويظهر من هذا المثال كذلك أن كلا عنصري التركيب الإسنادي ظاهران في الجملة. وفي المثال (ب)، جواب السؤال أظهر التركيب الإسنادي بطرف واحد وهو المسند «موهوب»، بينما الطرف الآخر «المسند إليه» يمكن تقديره بـ «محمد» عند النظر للسؤال «ما رأيك بمحمد؟». أما المثال (ج)، فبالإضافة إلى طرفي الإسناد «محمد موهوب» فقد ظهر تركيب الجار والمجرور «في الشعر»، وهو خارج التركيب الإسنادي ولا يصنف ضمن أحد طرفي الإسناد، ولذلك تستقيم الجملة بحذفه كما في (أ).

ومن هنا جاء استعمال النحاة العرب لمصطلحي العمدة والفضلة ليعبرا عن

طرفي الإسناد وما سواهما. فهذا ابن يعيش مثلاً يعد جانبي الإسناد من اللوازم وغيرهما يعد فضلة في الجملة لا يلزم وجوده ويمكن للجملة الاستغناء عنه^٣. ومن مسميات الفضلة عند النحاة التكملة ومتعلقات الإسناد كذلك. ولمعرفة العمدة أو اللوازم والفضلة بشكل أوضح في تركيب الجملة العربية يجب تبين أن عملية التركيب الإسنادي في الجملة العربية تُؤلِّد لنا اثنين من التراكيب الأساسية للجملة العربية، وهما الجملة الاسمية والجملة الفعلية^٤. وقد فرق نحاة العربية بين نمطَي الجملة الاسمية والفعلية تبعاً للعنصر الإسنادي الذي يقع في صدر الجملة، فإن كان صدر الجملة اسماً فهي اسمية وإن كان فعلاً فهي فعلية. والجملة الاسمية تتركب من عنصرين، هما المبتدأ والخبر بينما الجملة الفعلية تتكون من عنصرين، هما: الفاعل والفاعل، وبقية عناصر الجملة الاسمية والفعلية هي خارج التركيب الإسنادي. يقول ابن هشام « والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ « قام زيد » والمبتدأ وخبره كـ « زيد قائم » وما كان بمنزلة أحدهما^٥. وهذه العناصر في نمطَي الجملة هي العُمَد والتي لا غنى للجملة عنها ظاهرةً أو مقدرَةً حتى يعد التركيب مستقيماً نحويًا.

وأما الفضلة في تركيب الجملة العربية، فإنَّ الجملة بنوعها الاسمية والفعلية لهما عوامل محددة تسبقهما ومكملات تتبعهما وتتوسع بهما. فالجملة الاسمية، تدخل عليها عوامل كالتواسخ، مثل: إنَّ وأخواتها وظن وأخواتها وغيرهما. وأما الجملة الفعلية فتستبقها عوامل، مثل: الحروف الناصبة والجازمة للفعل كـ (أنَّ ولن ولم ولبَّ) وغيرها. ومن مكملات الجملة الاسمية التوابع كـ (التوكيد والصفة والبدل) وغيرها، ومن مكملات الجملة الفعلية المفاعيل بأنواعها. وهذه العوامل والمكملات هي ما اصطلاح عليه النحاة بـ «فضلة».

وثمة روابط بين العملية الإسنادية للجملة العربية ونظامها التركيبي، فالعناصر التي تمثل طرفي العملية الإسنادية (المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل) لا تظهر في صورة عشوائية في الجملة بل ثمة نظام نحوي ينظم العملية التركيبية لتكون في صورة صحيحة مبنية ومعنى ضمن ما يسمح به النظام اللغوي الخاص باللغة. وتنقسم هذه الروابط الإسنادية إلى نوعين: روابط تركيبية وروابط دلالية، فالروابط التركيبية توضح موقع المبتدأ في الجملة وما تربطه من علاقة تركيبية بالخبر، وتوضح لنا موقع

الفاعل في الجملة وما تربطه من علاقة تركيبية بالفعل، وهذه الروابط تؤدي كذلك دور العامل والمعمول في الجملة وما تصدر منها من علامات إعرابية. وأما الروابط الدلالية - كما تمت الإشارة إليه في شرح المثال ١ - فتوضح علاقة المعنى بين طرفي الإسناد؛ فالمسند إليه كالمبتدأ أو الفاعل ونائبه مخبر عنه ومحكوم عليه والمسند كالمخبر أو الفعل مخبر به ومحكوم به والعلاقة الإسنادية تفترض ثبوت حكم المسند المحكوم به للمسند إليه المحكوم عليه.

من هذا الإيجاز في تركيب الجملة يظهر لنا أن الإسناد هو أساس تركيب الجملة ونواتها، ومن خلاله تبنى بقية عناصر تركيب الجملة. ويمكن لنا من ذلك القول بأن التحليل النحوي للجملة عند القدامى كان منطلقه التركيب الإسنادي.

٢،١ - البنية التركيبية للجملة عند العرب المحدثين.

استعاض المحدثون العرب عن مصطلح «التركيب الإسنادي» بمصطلحات عدة عند تناولهم تركيب الجملة، ومنها مصطلح «نموذج الجملة» عند أيوب (١٩٧٥م)، حيث أوضح أن الجملة لها نموذج تجريدي يمكن من خلاله إعطاء نماذج واقعية بعدد لا محدود من الجمل^٦. ويقصد أيوب بذلك أن نموذج الجملة الاسمية مكون من مبتدأ وخبر، ونموذج الجملة الفعلية مكون من فعل وفاعل أو نائبه، ومن هذين النموذجين يمكن إنشاء جمل بعدد غير محدود. وهو بذلك النموذج يماثل المنهج التوليدي التحويلي الذي يرى أن الآلة الكامنة في الذهن يمكنها توليد عدد غير محدود من الجمل من عدد محدود من القواعد. ومن مصطلحات المحدثين العرب البديلة عن التركيب الإسنادي مصطلح «البنية الأساسية» عند عبد اللطيف (٢٠٠٣م)، حيث يقول إن مصطلح «البنية الأساسية» لم يكن معهوداً بهذا اللفظ في التراث اللغوي العربي لكنه مستخدم ضمناً في تعبيرات النحاة عند تناولهم للتراث النحوية، ومن تلك التعبيرات قولهم: «أصله كذا»، أو «قياسه كذا»، أو «هو على تقدير كذا»، أو «تأويله كذا» وغيرها، وهذه دلالة على رجوع النحاة القدامى للبنية الأساسية أو النموذج الأصل للجملة عند تحليلهم للجملة النهائية المنطوقة. ومن خلال هذا المفاهيم التي أوردها العرب المحدثون للجملة العربية، أصبح لدينا

نموذجان تركيبان: أحدهما تجريدي أساسي، وهو التركيب الإسنادي للجملة بترتيبه الأصلي ما بين المسند والمسند في الجملة الاسمية (المبتدأ+الخبر) والفعلية (فعل+فاعل)؛ والآخر منطوق واقعي ثانوي، حيث ينطلق الأخير من الأول في البنية ويظهر فيه طرفي الإسناد بصورة مختلفة عن بنيته التجريدية الأساسية^٧.

والعدول عن البنية الأساسية أو النموذج التجريدي إلى النموذج الثانوي أو الواقعي المنطوق له صورته ومسبباته. ومن أهم صور ذلك العدول في البنية الأساسية للجملة الحذف والإضمار وتقديم أحد أطراف التركيب الإسنادي أو تأخيرها. وقد ذكر ابن جني في باب «شجاعة العربية» صوراً لعدول الجملة عن النموذج الأساسي إلى النموذج الثانوي وأسماها بـ «عوارض بناء الجملة»^٨، وذكر حسان -من المحدثين- صوراً للعدول عن النموذج الأساسي وأسماها «العدول عن الأصل والرد عن الأصل»، وأوضح أن الأصل في عناصر التركيب الإسنادي أن تأتي في بنيتها الأصلية، وأن تكون ظاهرة لا مضمرة، وأن تكون مذكورة لا محذوفة^٩. ومن أمثلة العدول عن البنية الأساسية إلى الثانوية أو العدول عن الأصل أن تأتي الجملة الاسمية بالمبتدأ محذوفاً أو متأخراً عن خبره، وفي الجملة الفعلية أن يكون الفاعل فيها مضمراً أو أن يظهر أحد مكملات الجملة الفعلية متصدراً مع تأخر الفعل وفاعله.

أما مسببات هذا العدول من النموذج الأساسي إلى النموذج الثانوي للجملة فهي مرتبطة بمقتضيات الحال وإيصال المعنى بالشكل التام، وبأبواب البلاغة، والأسلوب والإيجاز، وغيرها. يقول الجرجاني في باب التقديم والتأخير إنه «باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان». 'أما حذف أحد الأطراف الإسنادية فيقول عنه العلوي: «اعلم أن مدار الإيجاز على الحذف؛ لأن موضوعه على الاختصار، وذلك إنما يكون بحذف ما لا يجلّ بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة. بل أقول لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علوّ بلاغته ولصار إلى شيء مشترك مسترذل...»^{١١}.

ويتضح من كلام نحاة العرب عن البنية الثانوية للجملة العربية أنها: ما يعترى

البنية الأساسية من إحدى الحالات التالية:

- تقديم أو تأخير لأحد ركني الإسناد عن موقعه الأصلي.
- الحذف أو الإضمار لأحد ركني الإسناد عن موقعه الأصلي.
- تقديم فضلة على ركني الإسناد أو أحدهما، كتقديم المفعول به على الفعل والفاعل أو على الفاعل وحده^{١٢}.

يمكن لنا الآن في ضوء ما وضحنا سابقاً أن نحدد البنية الأساسية والثانوية في الجملة الاسمية والفعلية انطلاقاً من تركيبها الإسنادي كما يظهر في الجدول التالي:

جدول (١) أنواع البنى الأساسية والثانوية للجملة الاسمية والفعلية

الجملة الاسمية	
صور البنية الأساسية	صور البنى الثانوية للتركيب
مبتدأ + خبر (المسند إليه + المسند)	الخبر مقدماً + المبتدأ متأخراً (المسند + المسند إليه) المبتدأ محذوفاً + خبر (المسند إليه + المسند) المبتدأ + الخبر محذوفاً (المسند إليه + المسند)
الجملة الفعلية	
فعل + الفاعل (المسند + المسند إليه)	الفاعل مقدماً (عند الكوفيين) + الفعل (المسند إليه + المسند) الفعل + الفاعل مضمراً (المسند + المسند إليه) الفعل + الفاعل محذوفاً والمفعول نائباً (المسند + المسند إليه) الفعل + المفعول مقدماً + الفاعل المفعول مقدماً + الفعل + الفاعل

٢- البنية التركيبية للجملة في اللسانيات الحديثة.

١,٢- الرتبة اللسانية.

إذا كانت الدراسات اللغوية العربية قد انطلقت في تبيان بيئة الجملة الأساسية والثانوية من خلال مفهوم الوحدة الإسنادية كما عند العرب القدامى أو البنية

الأساسية التجريدية كما عند العرب المحدثين، فإن الدراسات اللسانية الغربية قد عاجلت مفهوم البنية الأساسية والثانوية للجملة من خلال ما يسمى بـ «الرتبة الأصلية» (Basic order). ولفهم المقصود بالرتبة الأصلية أو الرتبة اللسانية داخل تركيب الجملة يجب أن نعرف هذا المصطلح ومفاهيمه. ويشير الفاسي الفهري (١٩٨٥م) إلى أن هدف هذه الفكرة اللسانية «الرتبة» للوصول إلى مجموعة من المبادئ التي تنظم الرتب داخل التركيب اللغوي، ولا تكتفي النظرية اللسانية بوصف الرتبة الظاهرة وحسب، بل تتجاوز ذلك إلى معرفة الرتب التي لا يمكن ملاحظتها والقيود التي تقع على نظام الرتبة داخل الجملة^{١٣}.

أما العرب المحدثون فقد تناولوا مصطلح «الرتبة» اللسانية وبينوا وظيفتها كذلك، فقد عرف مدكور (١٩٨٧م) «الرتبة» بقوله: «هي علاقة موقعية بين جزئين مرتبين من أجزاء السياق يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه»^{١٤}. ويقول الرمالي (١٩٩٦م) عن الرتبة: «إنّ الكلمات لا تتوالى في الجملة على شكل عشوائي بل يخضع ترتيبها لأنساق تركيبية مضطربة وعلاقات شكلية داخلية معقدة تشكل في مجموعها قواعد التركيب النحوي»^{١٥}. ويشير غلفان وآخرون (٢٠١٠م) إلى أن مصطلح «رتبة» يوضح التنظيم الداخلي لمكونات الجملة^{١٦}. ويظهر من هذه التعريفات أن العناصر المركبة للجملة تحكمها علاقات موقعية، وأن مصطلح «الرتبة» له دور وظيفي في العملية التركيبية. فالرتبة هنا ليس مقصوداً بها كيفية ترتيب الكلمات المكوّنة للجملة وحسب، فكل لغة تملك نظاماً نحويًا يحكم العملية التركيبية من خلال مواقع الوحدات اللغوية المؤلفة لها.

٢،٢- دراسات في رتبة الجملة العربية في اللسانيات الحديثة.

ظلت اللغة العربية مادة غنية للدراسات التي تعنى بالرتبة اللسانية، فالعربية من اللغات التي تتميز بتنوع ترتيب الكلمات في جملها وذلك يعود لعاملين؛ أحدهما: لوجود نظام إعرابي يحدد الوظيفية النحوية والدلالية لعناصر الجملة وإن اختلف ترتيب تلك العناصر في جملة عن الأخرى؛ والآخر: وجود الروابط اللفظية والمعنوية التي تربط عناصر الجملة بعضها ببعض مهما تغير ترتيبها في الجملة.

وقد حظيت رتبة الجملة العربية بعدد وافر من الدراسات اللسانية التوليدية

التحويلية، وذلك لأسباب منها: أن الجملة تؤدي دوراً رئيساً في التحليل التوليدي، وأن اللغات في عمومها تنطلق من فكرة الرتبة اللسانية لدراسة جوانب الجملة المختلفة، بالإضافة إلى أن النظام التوليدي يمتلك قواعد التحويل التي تسمح بنقل عناصر الجملة وحذفها مما يجعل الرتبة حاضرة في التحليلات التوليدية^{١٧}.

والرتبة الأصلية في لغة ما في اللسانيات الحديثة تنطلق من تحليل بناء الجملة البسيطة فيها، والتي تحتوي على عدد قليل من العناصر اللغوية، وهي في الوقت نفسه كثيرة الوجود في الاستعمال اللغوي لتلك اللغة. فإذا كان هذا الافتراض صحيحاً، فإن ترتيب عناصر مثل الفعل والفاعل والمفعول في جملة واحدة هو مثال مناسب لتحليل الرتبة الأساسية للجملة العربية. وهذا ما جاءت به الدراسات اللسانية التي تناولت الرتبة الأساسية لعناصر الجملة العربية، مثل: دراسة باقر (١٩٨٠م)، وعبد (١٩٨٣م)، والفاسي الفهري (١٩٨٥، ١٩٩٣م)، ومحمد (٢٠٠٠م)، وسلطان (٢٠٠٧م) وغيرها. حيث اعتمدت هذه الدراسات على الفعل «فع» والفاعل «فا» والمفعول «مف» بوصفها عناصر الجملة العربية الأساسية التي يمكن من خلالها دراسة الرتبة. وقد أنتجت هذه الدراسات التوليدية رأيين، الأول: ويرى أن جملة (فا+فع+مف) هي الرتبة الأصلية في اللغة العربية، وهو الرأي الذي يتبناه عبده؛ والرأي الثاني: يعتبر أن جملة (فع+فا+مف) هي الرتبة الأصلية في اللغة العربية، وهو الرأي الذي يتبناه البقية.

سنعرض الآن بعضاً من هذه الدراسات التي تناولت الرتبة في بنية الجملة العربية بشيء من التفصيل. يحدّ باقر (١٩٨٠م) من أوائل الذين تعرضوا لمسألة الرتبة في الجملة العربية من منظور توليدي، فهو يفترض أن الجملة البسيطة التي تتكون من فعل «اشترى» وفاعل «محمد» ومفعول «الكتاب» قد تظهر في ترتيبات عدة كما يلي^{١٨}:

٢- أ. اشترى محمد الكتاب.

ب. محمد اشترى الكتاب.

ت. الكتابُ محمد اشتراه.

ث. الكتابُ اشتراه محمد.

ج. محمد كتابا اشترى.

ح. كتابا اشترى محمد.

خ. اشترى كتابا محمد.

لو نظرنا في الأمثلة أعلاه لوجدنا عناصر الجملة (فع-فا-مف) تظهر في ترتيبات مختلفة في (أ٢-خ). في رقم (أ٢) مثلاً: يظهر ترتيب (فع+فا+مف) وفي (ب٢) يظهر ترتيب (فا+فع+مف). أما في (٢-ت) وفي (٢ث) فيتصدر الجملة المبتدأ ويتبعه في الأول ترتيب (فا+فع) وفي الثاني يتبعه ترتيب (فع+فا). في (٢ج) تقدم المفعول على الفعل بترتيب (فا+مف+فع) وفي (٢-ح) تقدم المفعول على الفعل والفاعل كذلك بترتيب (مف+فع+فا). أما في (٢خ) فقد تأخر الفاعل عن المفعول بترتيب (فع+مف+فا).

استناداً لفكرة التركيب الإسنادي عند العرب القدامى والبنية الأساسية عند العرب المحدثين - كما أشرنا مسبقاً في ١, ٢ & ١, ٢ - فإن الجملة الاسمية والفعلية تمثلان البنية الأساسية في الجملة العربية، وعليه تكون الجملة في (أ٢) مثلاً للبنية الأساسية في الجملة الفعلية بترتيب (فع+فا+مف). وتكون الجمل (ب٢-ت-ث) مثلاً للبنية الأساسية في الجملة الاسمية بترتيب (مب+خب). وتمثل بقية الأمثلة (٢ج-ح-خ) بنى ثانوية لتركيب الجملة العربية حيث لم يظهر طرفا الإسناد في ترتيبها لأصلي. لكن باقر، واستناداً إلى فكرة «الرتبة الغير موسومة ذرائعياً» (unmarked order) كما يسميها، يرى أن ترتيب (فع+فا+مف) هو الترتيب الأساسي للجملة العربية. والأمثلة من (ب٢) إلى (٢خ) شاملة جملة المبتدأ والخبر هي ترتيبات ثانوية للجملة العربية. وقدم باقر عدة معطيات تدعم الرأي القائل بأن ترتيب (فع+فا+مف) هو الترتيب الوحيد الذي يظهر دون وجود أية مؤثرات دلالية أو ذرائعية. أول هذه المعطيات أن هذا الترتيب يأتي غالباً في بداية سياق الجمل ابتداءً. وثاني تلك المعطيات هو أن هذا الترتيب هو الذي يظهر للإجابة عن سؤال يتطلب جملةً تحوي معلوماتٍ كاملةً في بنيتها، فسؤالٌ مثل: ماذا حدث؟ تكون عليه الإجابة بترتيب (فع+فا+مف)، مثل: أكل محمد التفاحة. ثالث تلك المعطيات هو أن ترتيب (فع+فا+مف) لا يحتوي معلومات معروفة لدى القارئ أو المستمع بخلاف (فا+فع

+مف) الذي يكون الفاعل فيها معلوما في السياق.

ومن أهم البراهين التي قدمها باقر لإثبات فرضيته ما يعرف بـ «نظام المطابقة (agreement)»^{١٩}، ويفترض هذا النظام أن ثمة توافقاً يقع بين سمات الفعل: الجنس (gender) - الشخص (person) - العدد (number)، مع فاعله مكونةً نوعين من المطابقة؛ جزئية أو كلية. حيث إن الفعل في العربية إذا تصدّر الجملة تظهر مطابقتها جزئيةً بين الفعل والفاعل في (الجنس-الشخص) دون العدد الذي يظهر دائماً مفرداً، والفاعل بعده قد يكون مفرداً مثنيّاً أو جمعاً دون حدوث أي خلل في نظام المطابقة. أما تقدّم الفاعل في الصدارة متلواً بالفعل فيقتضي أن يظهر الفعل متوافقاً كلياً مع فاعله في جميع سمات المطابقة (الجنس-الشخص-العدد). ويوضح المثالان التاليان هذين النوعين من المطابقة بين الفعل والفاعل:

٣- أ. اشترت البنات الحلوى.

ب. *البنات اشترت الحلوى. (العلامة «*» تعني أن الجملة غير صحيحة تركيبياً)

ج. البنات اشترين الحلوى

الجملة (٣أ) جاءت بترتيب (فع+فا+مف) والفعل يسبق الفاعل، وعليه يجب أن تكون المطابقة جزئية فيتوافق الفعل «اشترت» مع الفاعل «البنات» في بعض السمات، وذلك في الجنس وهو التأنيث والشخص وهو الغائب. ويخالف الفعل الفاعل في سمة العدد وذلك أن الفعل «اشترت» مفرد، بمعنى أنه لم يتصل به حروف الشنية أو الجمع، بينما الفاعل «البنات» جاء على صيغة الجمع. وجاءت الجملة (٣ب) بترتيب (فا+فع+مف)، إذ تقدم الفاعل على الفعل، ويقتضي هذا أن تكون المطابقة هنا كلية، لكن الفعل «اشترت» وافق الفاعل «البنات» في بعض سمات المطابقة وذلك في الجنس وهو التأنيث والشخص وهو الغائب، وخالف التتابع في سمة العدد حيث ظهر الفعل بصيغة المفرد والفاعل ظهر جمعاً في ترتيب (فا+فع)، وبذلك تكون الجملة غير صحيحة نحويًا. ولاستقامة التركيب النحوي للجملة يجب أن تكون المطابقة بين الفاعل والفعل شاملة لجميع سمات المطابقة في ترتيب (فا+فع) كما في (٣). ولذلك افترض بعضهم أن ما ظهر من الأسماء قبل الفعل هو مبتدأ وليس فاعلاً متقدماً على فعله تجنبا لخرق نظام المطابقة بين الفعل وفاعله في العربية، فلا يمكن أن

يكون الفاعل تقدم من موضع ما بعد الفعل لأن الفعل وقتها سيظهر مطابقة جزئية لا كلية ويصبح لدينا كما في المثال (٣ب). وعليه تصبح الأمثلة (٣أ-٣ب-٣ت) مؤشراً قوياً على أن جملة (فع+فا+مف) هي الترتيب الأصلي للجملة العربية.

خلافاً لما ذهبت له دراسة باقر، رأت دراسة عبده (١٩٨٣م) أن جملة (فا+فع+مف) هي الرتبة الأصلية في اللغة العربية، موافقاً في ذلك ما ذهب إليه تشومسكي (١٩٨١م) الذي يرى أن اللغات عامة تدرج ضمن رتبة (فا+فع+مف) بينما يغلب عدم وجود لغات ذات رتبة (فع+فا+مف)^{٢٠}. واحتج عبده على هذا الرأي بأن الفعل والمفعول متلازمان ويعادلان مركباً واحداً في اللغة العربية. ويظهر هذا التلازم في موقعين، الأول: في الجملة التي يكون فيها المفعول ضميراً ويصبح فيها المفعول حينئذٍ ملازماً للفعل في هيئة مركب واحد. الثاني: أن يأتي الفعل ومفعوله في صورة المضاف والمضاف إليه. انظر المثال فيما يلي^{٢١}:

٤- أ. الرجل قرأ الصحيفة قبل ساعة.

ب. الرجل قرأها قبل ساعة.

ت. قرأها الرجل قبل ساعة.

ث. *الرجل قرأ قبل ساعة ها.

ج. *قرأ الرجل ها قبل ساعة.

ح. هذا قارئ الصحيفة.

المفعول به «الصحيفة» في (٤أ) لا يمكن له أن يظهر كضمير «ها» إلا ملازماً للفعل «قرأ» كما في (٤ب-ت)، وإذا انفصل الضمير المفعول به «ها» عن الفعل «قرأ» أصبحت الجملة غير صحيحة كما في (٤ث-ج). أما المثال (٤ح)، فيظهر فيه الفعل بصورة المضاف «قارئ» والمفعول به في صورة المضاف إليه «الصحيفة»، وكما هو معلوم في العربية من وجوب تلازم المضاف والمضاف إليه.

لكن ما احتج به عبده لقي شيئاً من النقد، إذ يشير طاشة (٢٠٢٠) إلى أنه إن كان ثمة من تلازم يذكر، فهو بين الفعل والفاعل، فلكل فعلٍ في الجملة فاعلٌ وليس

لكل فعلٍ مفعولٌ به في الجملة. كما أن اسم الفاعل المضاف قد يعمل عمل الفعل في حالات معينة والفاعل مضمن فيها^{٢٢}، ويصبح المضاف إليه إذن مفعولاً به لاسم الفاعل. وإذا طبقنا هذا الكلام على المثال (٤ح)، تصبح الجملة كما يلي:

٥- ما هذا قارئُ الصحيفة.

كما هو ملاحظ في المثال (٥)، فإن اسم الفاعل «قارئ» لم يعد مضافاً بل عملٌ مَعَمَلُ الفعل لاستناده إلى أداة النفي (ما) ونصب المفعول به «الصحيفة».

أما الفاسي الفهري في دراستيه (١٩٨٥، ١٩٩٣م) فقد اعتمد في تحليله للترتيب الأساسي للجملة العربية على أبجديات اللسانيات الحديثة، التي تفترض أن اللغات في مجملها تتركب في ترتيبات أساسية محددة، ومن أشهرها:

- ترتيب (فا+فع+مف)

- ترتيب (فا+مف+فع)

- ترتيب (فع+فا+مف)

فهو يرى أن الجملة العربية تقع ضمن اللغات ذات ترتيب (فع+فا+مف) متفقاً في ذلك مع ما ذهب إليه باقر، وأسماها الرتبة الأصلية لها، وبقية الترتيبات فيها إنما تمثل ترتيبات فرعية لها منطلقة من الترتيب الأصلي^{٢٣}. ويستدل الفاسي الفهري على هذه النتيجة بأن ترتيب (فع+فا+مف) يشمل أقل عدد من العمليات النحوية التركيبية لتوليد جملة عربية ضمن اللسانيات التوليدية، وهي عملية تقدم الفعل لصدارة الجملة متلوا بالفاعل والمفعول به تباعاً في مكانهما الأصلي^{٢٤}.

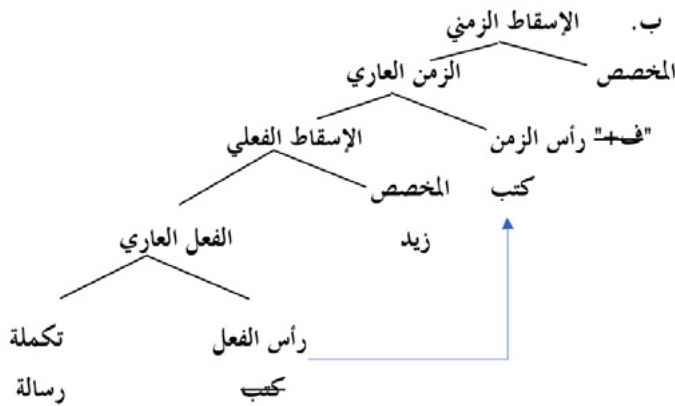
وحتى نوضح ما قصده الفاسي الفهري انطلاقاً من النظرية التوليدية التحويلية، سنعرض الرتبة الأصلية للجملة العربية (فع+فا+مف) وفق أسس البرنامج الأدنوي الذي يعد آخر مراحل تطور التوليدية التحويلية. وجاء البرنامج الأدنوي «في إطار تصور عام للمقاربة العلمية الهادفة إلى تفسير عام للظواهر المدروسة بأبسط السبل باعتبارها استنتاجات صورية قائمة على عدد محدود من الفرضيات القادرة على تغطية أكبر قدر من المعطيات والوقائع»^{٢٥}. وقدم تشومسكي برنامجه الأدنوي في نماذج متعددة منذ نهاية القرن المنصرم وحتى بداية القرن الحالي: (١٩٩٣م-١٩٩٥م-

١٩٩٨م-٢٠٠٠م-٢٠٠١م-٢٠٠٨م-٢٠٠٥م)، وحاول تشومسكي في كل نموذج تطوير النموذج الأسبق من البرنامج من خلال مراجعة القيود والوسائط والقيود للوصول للنظام الأمثل للغة.

لنأخذ مثلاً نموذج «السمات القوية» (Strong Feature) (١٩٩٥م) لتوليد الترتيب الأصلي والفرعي للجملة^{٢٦}. ففي هذه النظرية فإن الفعل في الجملة العربية يلزمه الانتقال الظاهري (أي قبل مرحلة التهجية) من رأس الفعل إلى رأس الزمن استجابة لقانون «اجتذاب السمة» (Attract Feature)، والذي يفترض أن بعض اللغات مثل العربية تحتوي على سمة فعل قوية «ف+» (+V) في رأس الزمن فتجذب الفعل لموقعها لفحص هذه السمة القوية ومحوها^{٢٧}. في حين يبقى الفاعل والمفعول في المركب الفعلي لتتكون جملة ذات ترتيب (فع+فا+مف)^{٢٨}. انظر الجملة (٦أ) ورسمها التركيبي في الشكل (٦ب):

٦- أ. كتب زيدُ رسالةً

ب. الإسقاط الزمني^{٢٩}



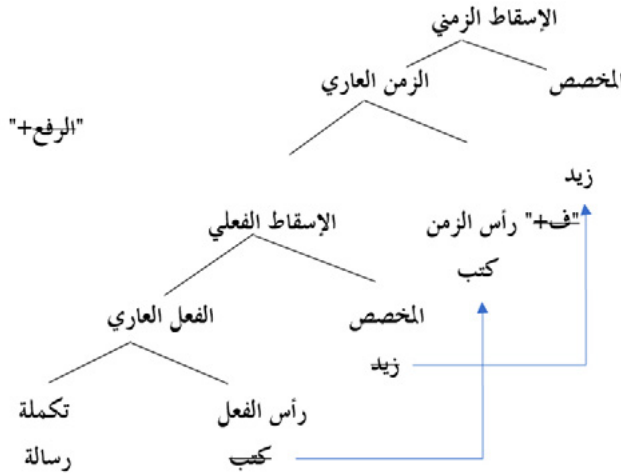
تتكون الجملة (٦ب) من خلال عملية تحويلية واحدة وهي انتقال الفعل «كتب» من موقعه الأصلي في «رأس الفعل» إلى «رأس الزمن»، والمحفز لهذا الانتقال في العملية النحوية هو حاجة الفعل لإرضاء أو فحص سمته القوية «ف+». وبذلك

احتوى هذا البناء على عملية تركيبية واحد، وهي انتقال الفعل من رأس الإسقاط الفعلي لرأس الإسقاط الزمني لينتج لنا جملة ذات ترتيب (فع+فا+مف) «كتب زيد الرسالة» كرتبة أساس للجملة العربية^{٣٠}.

أما بقية الترتيبات فهي منطلقة من الترتيب الأساسي، وتحتوي على أكثر من عملية نحوية في التركيب. ففي ترتيب (فا+فع+مف) مثلاً، يرى بعض اللسانيين مثل الفاسي الفهري (١٩٩٣م) و محمد (٢٠٠٠م) أنه يتم في عمليتين نحويتين؛ الأولى: هي انتقال الفعل لرأس الزمن لمحو سمة الفعل القوية «ف+»، والثانية: هي انتقال الفاعل من مخصص الإسقاط الفعلي (Verbal Projection) إلى مخصص الإسقاط الزمن (Tense Projection)، وذلك لفحص السمة الإعرابية للفاعل وهي الرفع «الرفع+» (Nom+)^{٣١}، كما يوضحه المثال (أ٧) والرسم (ب٧):

٧- أ. زيدٌ كتب رسالةً

ب. الإسقاط الزمني

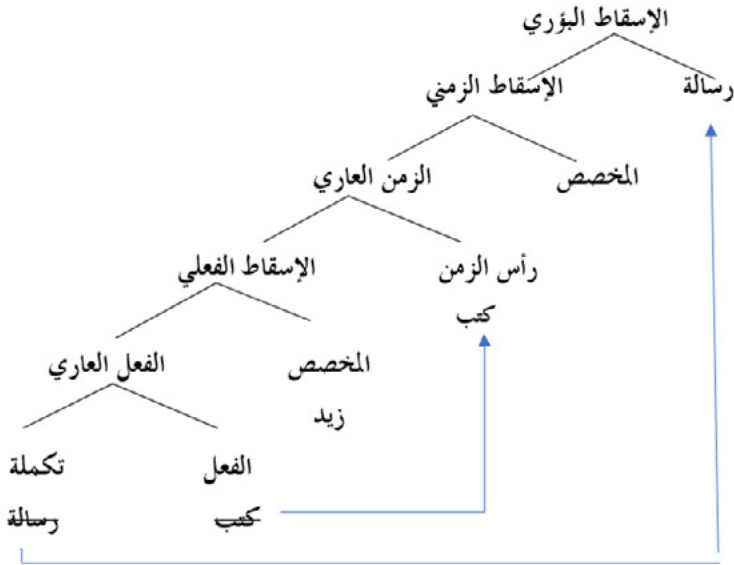


ويرى آخرون أن الاسم المتصدر للجملة فاعلٌ معنويٌّ ومبتدأٌ نحويٌّ، وحينها يكون موقعه في مخصص الإسقاط المصدرية (Complementizer Projection) فوق المركب الزمني^{٣٢}. وهو مرفوع أساساً أو افتراضاً، حيث إن الأسماء الأصل فيها الرفع ما لم يسبقها عاملٌ نصبٍ أو جرٍّ^{٣٣}.

في حين يستلزم ترتيب (مف+فع+فا)، بالإضافة إلى انتقال الفعل لرأس الزمن، انتقال المفعول به من تكملة الإسقاط الفعلي لمخصص إسقاط البؤرة (Focus Projection) وهو إسقاط يقع بين الإسقاط الزمني والإسقاط المصدرى للتركيب النحوي وتقع فيه المركبات المتصدرة للجملة كالمفعول به المقدم. ويوضح المثال (أ) هذا الترتيب كما يوضح (ب) الرسم الشجري لهذا التركيب:

أ. رسالة كتب زيدٌ

ب. الإسقاط البؤري



من هذا التحليلات رأى الفاسي الفهري أن ترتيب (فع+فا+مف) هو الرتبة الأساسية للجملة العربية لأنها تتضمن عملية نحوية واحدة وهي انتقال الفعل إلى رأس الزمن. في حين تستلزم بقية الترتيبات أكثر من عملية في التركيب النحوي، وعليه تكون منطلقة من الترتيب الأساسي لتمثل بنيات ثانوية للجملة العربية.

٣- البنية المعلوماتية في اللسانيات.

١,٣- مفهوم النظرية المعلوماتية.

تعد نظرية البنية المعلوماتية (information structure) من النظريات الحديثة في اللسانيات. وقد مرت هذا النظرية بعدة نماذج وبمجموعة من الفرضيات التي طرحت تحليلات متعددة وبمصطلحات مختلفة. وسنعرض مجموعة من أهم نماذج النظرية المعلوماتية.

كان تشيف أول من أشار إلى نظرية البنية المعلوماتية سنة (١٩٧٦م)، وبيّن أن فكرة «حزمة المعلومات» (information packaging) هي منطلق هذه النظرية، وقد عرفها بأنها الكيفية التي يتم بها عرض المعلومات لدى متلقي الجملة في حالته الذهنية المؤقتة^{٣٤}؛ أي أنّ الجمل تحمل معلومات مختزنة وتعليقات صريحة وضمنية بقصد معالجتها قبل إرسالها إلى الرصيد المعرفي لدى المتلقي. وبالنظر إلى مفهوم البنية المعلوماتية، فإن المعلومات المعطاة في الجملة تنقسم إلى قسمين: معلومات معلومة لدى المستمع (old) أو (given)، ومعلومات غير معلومة (new) لدى المستمع، أي جديدة. ولنقل المعلومات المختزلة في الجملة إلى المتلقي يجب على المرسل تحديد الجزء من الجملة الذي يعطي معلومات قديمة والجزء من الجملة الذي يعطي معلومات جديدة لا يعرفها المتلقي. ويعتمد ذلك التحديد على التفاعل الاجتماعي ووعي المتلقي في الوضع الحالي^{٣٥}.

قدم راينهارت (١٩٨١م) أنموذجاً تجريبياً للنظرية المعلوماتية، أسماه «مدار الحديث» (aboutness)، ويمكن للمتكلم من خلال هذا النموذج اختيار المحتوى الجديد الذي يريد إضافته للخزين المعرفي للمتلقي. أما المتلقي فلديه معلومات يمكن الوصول إليها - وهي معروفة مسبقاً - وتسمى معلومات «ممكنة الوصول» (accessible) ولديه معلومات يحتاج إلى جهد لإضافتها إلى مخزونه المعرفي، وتسمى معلومات «غير ممكنة الوصول» (inaccessible)، وهو الجزء الذي سيقوم المتكلم بإيصاله إلى المتلقي^{٣٦}.

اقترح كريفكا (٢٠٠٨م) نموذج «الأرضية المشتركة» (common ground)، واعتبر أن الموضوع (topic) جزء معروف وحاضر لدى المتلقي في الأرضية المشتركة، في حين أن البؤرة (focus) تكون الجزء المعلوماتي الجديد في الأرضية المشتركة، الذي لم يكن حاضراً في حالة المتلقي الذهنية^{٣٧}.

وحتى تتضح هذه النماذج سنذكر مثالا يبين البنية المعلوماتية للجملة:

-٩

a. What did Peter read ?

- ماذا قرأ بيتر؟

b. Peter read a novel

- بيتر قرأ روايةً.

كما يظهر لمتلقي السؤال (9a) فإن الإجابة في (9b) توضح كيف تمت معالجة معلومات البنية المعلوماتية. وذلك بإضافة الجزء المعلوماتي الجديد (a novel) «رواية» في الجواب (9b) إلى الجزء المعلوماتي المعلوم (Peter read) «قرأ بيتر» الذي ذُكر في السؤال، وهو مستقر في الحالة الذهنية أو الأرضية المشتركة لدى المتلقي في السؤال. (9a) وعلى ذلك تكون عبارة (Peter read) «قرأ بيتر» في الجملة الجواب (9b) مثلة للموضوع (topic) أو لمعلومات «ممكنة الوصول» (accessible) بينما عبارة a (novel) «رواية» مثلة للبؤرة (focus) أو لمعلومات «غير ممكنة الوصول» (inaccessible).

الجدول التالي يوضح أهم نماذج نظرية البنية المعلوماتية:

جدول (٢) نماذج معالجة البنية المعلوماتية للجملة

Peter بيتر	read قرأ	a novel رواية	النموذج
	معلومات معلومة (old) given	معلومات جديدة (new)	جيف (1976م) «حزمة المعلومات» (information packaging)
	ممكنة الوصول (accessible)	غير ممكنة الوصول (inaccessible)	راينهارت (1981م) «مدار الحديث» (aboutness)

المبتدأ (topic)	البؤرة (focus)	كريفكا (2008م) «الأرضية المشتركة» (common ground)
-----------------	----------------	--

٢،٣- البنية المعلوماتية في اللغة العربية.

بعد هذا استعراض نظرية البنية المعلوماتية، فإن من المهم أن نعرف سبب أهميتها لتحليل الجملة العربية. هناك ثلاثة مبررات تجعل من النظرية المعلوماتية نموذجاً مقترحاً لتحليل الجملة العربية. أولها: أن التحليل المعلوماتي وطيد الصلة بالوصف النحوي، وثانيها: أن البحث يقدم هذه النظرية في محاولة لتجاوز بعض الإشكالات التي وردت في الدراسات السابقة للجملة العربية والتي اعتمدت أساساً على التحليل التركيبي النحوي. وثالثها: أن النظرية المعلوماتية في الوقت ذاته تعطي حلاً لبعض التحليلات التوليدية المختلف عليها. وفيما يلي تفصيل لهذه المبررات.

إن مفهوم النظرية المعلوماتية للجملة لا يمكن أن يكون بمنأى عن الوصف النحوي للتراكيب اللغوية. بل إن البنية المعلوماتية تؤدي دوراً رئيساً في ترتيب عناصر الجملة وعلم اللغة الوصفي في كثير من اللغات الإنسانية^{٣٨}. وقد عرض وارد (١٩٨٥م) هذه الأمثلة التالية في اللغة الإنجليزية لتوضيح مفهوم البنية المعلوماتية للجملة وارتباطها بالوصف النحوي^{٣٩}:

- ١٠

a. John finish-ed Chapter III

- جون انتهى من الفصل الثالث

b. Chapter III was finish-ed by John

- الفصل الثالث، انتهى منه بواسطة جون

c. It was Chapter III that John finish-ed

- كان الفصل الثالث الذي انتهى منه جون

d. What John did was finish chapter III

- ما فعله جون كان الانتهاء من الفصل الثالث

e. and finish Chapter III John did?

- وأنهى الفصل الثالث جون

تعطي الأمثلة في (10a-e) فكرة واحدة وهي أن جون انتهى من الفصل الثالث، وكانت العبارة (chapter III) «الفصل الثالث» المشددة باللون الغامق تؤدي دور البؤرة (focus)، حيث إضافة معلومة جديدة في المحتوى المعلوماتي للجملة، والبؤرة في اللغة الإنجليزية التي تحمل المعلومة الجديدة للمتلقي تكون حاملةً لبؤرةً مشددة. لكن هذه البؤرة لم تظهر في ترتيب واحد في كل الأمثلة المتعددة في (10a-e)، ولم يكن هذه التنوع في التركيب اعتباطياً لا دور له في البنية المعلوماتية، لأن كل جملة ذات تركيب معين تحمل دلالةً مختلفة على المستوى التواصلي بين المرسل والمتلقي والمؤشرات السياقية الذي جاء فيها هذا التركيب.

من جهة أخرى، تنطوي التحليلات التي تركز على النظريات التركيبية على إشكالاتٍ عدة. فمن الإشكالات مثلاً قصور المفهوم الإسنادي عند العرب القدامى في تحديد المقولات التركيبية للجملة العربية بشكل وظيفي. فالمفارقات بين نحاة العربية واللسانيين لا تقف عند الأسس التي قام عليها تركيب الجملة لأن نحاة العربية انطلقوا من التركيب الإسنادي، في حين انطلق اللسانيون من الرتبة الأساسية لدراسة تركيب الجملة، بل امتد ذلك إلى تحديد وتعريف المقولات التركيبية المكونة للجملة، خصوصاً طرفي التركيب الإسنادي. فقد عرّف كثير من نحاة العربية عناصر الجملة بتعريفات دلالية لا نحوية، فالفاعل عندهم هو من يقوم بالفعل في الجملة، والمفعول من يقع عليه فعل الجملة، والاسم ما دل على معين غير مقترن بزمن، وهذا الاتجاه من التعريفات يعطي الوظيفية الدلالية لمقولات الجملة ولا يقف على دورها الوظيفي النحوي داخل التركيب الإسنادي^{٤٠}. وبذلك لم تظهر الأحكام اللفظية في ضوء نظرية العامل بشكل واضح في تعريفات الجملة عند بعض نحاة العربية، وذلك لانصرافهم غالباً في البحث في المعاني والمقاصد إلى عناصر الجملة دون الدور النحو

الوظيفي^{٤١}. وبذلك تصبح عناصر تركيب الجملة ومفهوم الرتبة أكثر تعقيداً عند نحاة العربية منه في اللسانيات الحديثة، للخلط الواقع بين الدور النحوي والدلالي للمقولات التركيبية للجملة. ولو نظرنا في الأمثلة التالية لتبين لنا المقصود من ذلك:

١١- أ. نزل المطرُ

ب. فاضت السماء مطراً

ت. نزول المطرِ جميل

فكلمة «المطر» جاءت في الأمثلة أعلاه بوظائف نحوية مختلفة، فهي فاعلٌ مرفوعٌ في (أ)، وتميز منصوب في (ب)، ومضاف إليه مجرور في (ت). ومع ذلك أعطت جميع الأمثلة وظيفة الفاعلية دلاليًا لكلمة «المطر».

أما اللسانيات الحديثة، وإن كانت أكثر تلاؤماً لمفهوم الرتبة، فقد أبرزت الوظيفة النحوية عند تناوّلها مقولات التركيبية للجملة، وتعريفاتها لعناصر الجملة المركبة تنطلق من موقعها في البنية التركيبية وعلاقتها بالمواقع الأخرى. ولا أدل على ذلك من تفريقهم بين المستوى الصوتي والمستوى الدلالي في اللسانيات التوليدية، وإهمالهم للتقسيم المعروف عند نحاة العربية القائم على اسمية أو فعلية الجملة، حيث إن هذا التقسيم لا يخدم البناء التركيبي للجملة.

ومع ذلك لم تسلم اللسانيات -هي الأخرى- من النقد، فهذا الفاسي الفهري (١٩٨٥م) يرى أن ثمة اضطراباً حاصلاً في مصطلح الرتبة في اللسانيات الغربية من جهتي التنظير والتطبيق. وهذا الاضطراب عائد لما تطرحه المدارس اللسانية المختلفة من مفاهيم وتفسيرات للظواهر اللغوية بشكل عام والرتبة بشكل خاص مما لا يمكن استعماله خارج إطار النظرية المحددة. ومن هنا جاءت عدة نظريات بمجموعة من التفسيرات لمعالجة الرتبة. فالتوليدية مثلاً تستخدم مفاهيم البنية العميقة والسطحية والقواعد التحويلية في معالجتها للبنية اللغوية والرتبة النحوية للجملة، وفي هذا الضوء نرى أن للجملة - في النماذج الأولى للتوليدية - بنية عميقة تمثل «رتبة عميقة» وأخرى سطحية تمثل «رتبة سطحية»، وهذه المفاهيم للرتبة في ضوء التوليدية لا يمكن تطبيقها ضمن أبجديات النظريات اللسانية الأخرى التي

هي أيضا تملك مفاهيم خاصة بها تتناول من خلالها الرتبة النحوية للجملة. فهذا كرينبرك (١٩٦٣م) يستخدم مصطلح «الرتبة الطاغية» (dominant order) في ضوء دراسة «رتب اللغات الإنسانية» (word order typology)، وهو مصطلح يقصد به الرتبة التي تطغى على لغة ما إحصائياً^{٤٢}. وباقر (١٩٨٠م) يستخدم «الرتبة غير الموسومة ذرائعياً» (unmarked order)، والتي يقصد بها الترتيب الذي لا يتأثر بالمؤشرات السياقية للجملة. ومن هنا أصبحت الرتبة ذات دلالات مختلفة بعدد المدارس والدراسات اللسانية التي تناولت هذا المصطلح^{٤٣}. ويمتد هذا الاختلاف من مفهوم مصطلح «الرتبة» في اللسانيات الحديثة إلى تحليلات العرب للجملة العربية وفق اللسانيات التوليدية ذات النماذج المتطورة والمتعددة. يقول غلفان وآخرون (٢٠١٠م): «ويلاحظ المهتم بالأدبيات اللسانية العربية التوليدية الاختلاف الكبير بين تصورات الدارسين العرب لبنية الجملة، وهي تصورات تختلف من نموذج توليدي لآخر»^{٤٤}. فانطلاقاً من النموذج المعياري، مروراً بنظرية السين البارية ونظرية العمل والربط، وأخيراً بنماذج البرنامج الأدنوي، مرت النظرية التوليدية التحويلية بأطروحات متنوعة ونماذج مختلفة وفق نظريات متعددة الاتجاهات، وهذا لا يعطي تفسيراً واضحاً لبنية جملة العربية أو اتساقاً لأحد مفاهيم التوليدية كالرتبة.

أما ما يمكن أن تقدمه نظرية البنية المعلوماتية لتحليل بنية الجملة العربية فإنها قد تسهم في التفسير النحوي لبعض المركبات الشائكة التي لم تستطع نظريات تركيبية كالتوليدية حلها بشكل توافقي، ومثال ذلك الاسم المتصدر للجملة إذا ما كان فاعلاً أو مبتدأً في التفسير النحوي. ومسألة اعتبار الاسم المتصدر للجملة الفعلية فاعلاً متقدماً على فعله أو مبتدأً وما بعده خبر له من المسائل الخلافية عند علماء العربية المتقدمين، إذ يرى الكوفيون جواز تقدم الفاعل على الفعل (فاع+مفعول)، في حين يمنع البصريون هذا التفسير للاسم المتقدم على الفعل ويعدونه مبتدأً وليس بفاعل. وحتى الدراسات اللسانية الحديثة لم تسلم من الاختلاف الذي وقع فيه المتقدمون، ففريق يرون أن الاسم المتقدم على فعله هو مبتدأ، مثل باقر (١٩٨٠م) و Plunkett بلانكيت (١٩٩٣م) وسلطان (٢٠٠٧م)، في حين يراه آخرون فاعلاً مثل الفاسي الفهري (١٩٩٣م) ومحمد (٢٠٠٠م). راجع المثال (أ٧-ب) لتوضيح الرأيين في

ضوء التوليدية التحويلية. ولكل فريق معطياته في هذه المسألة ولا يتسع المقام هنا لعرضها، لكن سوف نبين هنا كيف أن النظرية المعلوماتية قدمت تحليلاً يوفق بين هذه الآراء، كما سيأتي قريباً في المثال (١٢ ب).

تفتقر المكتبة العربية إلى الأبحاث التي تعنى بتفسير تركيب الجملة العربية في ضوء النظرية المعلوماتية، لا سيما أن الأبحاث التي تناولت هذه النظرية في غالبها جاءت بلغة أجنبية. وعلى حد علم الباحث فإن الدراسات التي تناولت النظرية المعلوماتية في سياق اللغة العربية هي دراستان: الأولى «النظرية المعلوماتية في علم اللغة» لسلطان (٢٠١٨)، وهي دراسة باللغة العربية وتعنى بالجانب النظري للنظرية المعلوماتية. والدراسة الثانية هي لفورد (٢٠٠٦)، وهي باللغة الإنجليزية، وتناولت تأثير ترتيب عناصر الجملة العربية في النظرية المعلوماتية للغة العربية. لكن الباحث اكتفى بمناقشة آراء اللسانين العرب في رتبة عناصر الجملة العربية في ضوء السياق الحالي للجملة.

٣،٣- تركيب الجملة الاسمية في ضوء النظرية المعلوماتية.

تعدّ اللغة العربية لغة خصبة في تطبيقات البنية المعلوماتية، حيث إن تراكيب اللغة العربية تبنى لأداء مقاصد تتعلق بالمستوى التواصلية والمؤشرات الدلالية. وسوف نتناول بعضاً من التراكيب اللغوية والترتيبات النحوية التي قد تؤثر أو تتأثر بشكل مباشر بالبنية المعلوماتية للجملة. ومن أهم هذه التراكيب الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر والجملة الفعلية المكونة من فعل وفاعل ومفعول به، وكيفية ترتيب هذه العناصر داخل الجملة بالنظر لدور البنية المعلوماتية فيها.

فجملة المبتدأ والخبر في العربية تملك ترتيباً أصلياً فيه؛ يتقدم المبتدأ لصدارة الجملة ويتبعه الخبر، وهناك مواضع يتقدم فيها الخبر على المبتدأ جوازا أو وجوبا لأسباب تركيبية ووظائف نحوية لا يسع المقام هنا لبسطها، وتظهر فيها الجملة حينها في غير بنيتها الأصلية. وإذا نظرنا لمفهوم البنية المعلوماتية التي تفترض أن هناك أرضية معلوماتية مشتركة بين المتلقي والمرسل وفجوة معلوماتية لدى المتلقي يريد أن يملأها، فإن الجملة الاسمية في بنيتها الأساسية بترتيب (مبتدأ+خبر) يكون المبتدأ

متمثلاً في صورة الموضوع (المبتدأ) في حين يتمثل الخبر في صورة البؤرة (focus). بالإضافة إلى ذلك، ثمة علامات صرفية تأتي قبل موضوع الجملة «المبتدأ»، مثل «أما»، وبؤرة الجملة «الخبر»، مثل «الفاء». انظر المثال فيما يلي:

١٢- أ. محمد في البيت

ب. أما محمد ففي البيت.

بالنظر إلى البنية المعلوماتية، فإن المثال (١٢أ) يصلح أن يكون إجابة على سؤال مثل: أين محمد؟ فكلمة «محمد» التي في السؤال تحمل معلومة معروفة عند المرسل والمتلقي وهي تمثل الموضوع أو الأرضية المشتركة بينهما. أما شبه الجملة «في البيت» فهي معلومة غير معلومة لدى المتلقي وهي تمثل البؤرة التي يكمل بها المرسل الجزء المعلوماتي المطلوب عند المتلقي. بالإضافة إلى ذلك، فإن دخول «أما» على الاسم «محمد» يؤكد أن محمداً هو موضوع بنية الجملة المعلوماتية، في حين يؤكد دخول «الفاء» على الخبر أنه بؤرة الجملة.

الآن، لنفترض أن الجملة كما يلي:

١٣- أ. في البيت محمد.

ب. محمد.

تعطي الجملة (١٣أ) بنية ثانوية بترتيب غير أصلي (خبر+مبتدأ)، وهي الإجابة الأنسب على السؤال: البيت، من فيه؟ حيث أصبح الخبر شبه الجملة «في البيت» هو الأرضية المشتركة بين المرسل والمتلقي، في حين أصبح المبتدأ «محمد» هو البؤرة التي أضافت معلومة جديدة للمتلقي. وتعطي الجملة (١٣ب) بنية ثانوية كذلك، حيث جاءت الجملة الاسمية بطرف إسنادي واحد، وهو المبتدأ «محمد»، وجاء الخبر «في البيت» محذوفاً في الجملة لأنه معلوم لدى أطراف العملية الكلامية. يتبين من ذلك أن البنية التركيبية للجملة الاسمية قد تظهر برتبة غير أصلية بترتيب (خبر+مبتدأ) أو (مبتدأ+خبر محذوف)، وهاتان الرتبتان هما نتيجة لدور البنية المعلوماتية التي تحمله الجملة حسب السياق الحالي والوسط التواصلي بين المرسل والمتلقي.

لنأخذ مثلاً جملة اسمية تتكون من مبتدأ وخبره مفرد كما يلي:

١٤- أ. التدخين ممنوع.

ب. ممنوع التدخين.

الجملة الاسمية في (١٤أ) ظهرت في بنيتها الأساسية، فالمبتدأ «التدخين» جاء أولاً ثم الخبر «ممنوع» ثانياً، أما في (١٤ب) فقد ظهرت الجملة في بنيتها الثانوية حيث ظهر الخبر قبل المبتدأ. وهذا الاختلاف في المثالين من حيث ترتيب ركني الجملة الاسمية جائزٌ تركيباً، وسببه مرتبط بالمحتوى المعلوماتي لكل جملة. فالجملة في (١٤أ)، لها تحليلان استناداً لبنيتها المعلوماتية، التحليل الأول: أن المبتدأ «التدخين» موضوع الجملة وهو جزء معروف في السياق المعلوماتي بين المرسل والمتلقي، بينما الخبر «ممنوع» هو بؤرة الجملة تحمل معها معلومة جديدة للمتلقي. وبهذا التحليل تصلح الجملة أن تكون إجابة على سؤال مثل: ما حكم التدخين؟ التحليل الثاني: أن يكون المحتوى المعلوماتي للجملة في (١٤أ) عبارة عن بؤرة، كأن تكون الجملة عبارة عن إجابة على سؤال مثل: ما القرار؟ الجملة في (١٤ب) تقدمت البؤرة «ممنوع» على موضوع الجملة «التدخين» لأهميتها للسامع ولأنه الحكم المطلوب سماعه على المحكوم به «التدخين».

٣،٤- تركيب الجملة الفعلية في ضوء النظرية المعلوماتية.

أما الجملة الفعلية في اللغة العربية فهي تحوي غالباً العناصر التالية: الفعل والفاعل والمفعول، والترتيب الأصلي لهذه العناصر أن يتصدر الفعل الجملة متبوعاً بالفاعل ثم المفعول به، وهذه هي البنية أو الرتبة الأساسية للجملة الفعلية في العربية كما وضحنا ذلك سابقاً (راجع ٢, ٢). وأول المعطيات التي تقوي هذا الرأي هو أن هذا الترتيب فقط هو الذي يظهر للإجابة عن سؤال يتطلب جملة تحوي معلومات كاملة في بنيتها، فسؤال مثل: «ماذا حدث؟» أو «ما الخبر؟» وهنا البنية المشتركة لا تحتوي على أي من عناصر الجملة، وعليه تكون الإجابة بترتيب (فع+فا+مف) فنقول: ضرب زيدٌ عمراً^{٤٥}. ومعنى هذا الحكم أن كامل الجملة الفعلية قد تأتي متمثلة في بؤرة وتحتوي بكامل عناصرها على معلومات جديدة لم يكن جزءٌ منها أرضيةً مشتركةً بين المرسل والمتلقي.

لكن عناصر الجملة الفعلية قد تظهر في أبنية ثانوية بترتيبات فرعية، كما أوضحنا ذلك في الجدول رقم ١. وعندئذ يكون جزءٌ محدّدٌ من عناصر الجملة يمثل أرضيةً مشتركةً في المحتوى المعلوماتي وجزء آخر يمثل بؤرةً للجملة، وعلى هذا الأساس تحدث الترتيبات الثانوية للجملة الفعلية. وأهم البنى الثانوية للجملة الفعلية ما يلي:

- تقدم الفاعل على الفعل وإن كان الاسم المتقدم على الفعل محل خلاف عند نحاة العربية وعند اللسانيين حول ما إذا كان فاعلاً نحوياً للجملة أو مبتدأً.
- تقدم المفعول به إلى صدارة الجملة أو إلى موقع التوسط ما بين الفعل والفاعل.
- غياب الفاعل في جملة المبني للمجهول بحضور الفعل والمفعول الذي سيصبح نائباً للفاعل.

وإذا أردنا أن نعرض بعض الترتيبات الأصلية والفرعية للجملة الفعلية ونحللها في ضوء البنية المعلوماتية، فإنّه بالنظر إلى الترتيب الأصلي للجملة الفعلية (فع+فا+مف) في (١٥أ): وتفسير ترتيب الجملة في (١٥ب) داخل المنظومة المعلوماتية فيما يلي:

١٥- أ. قرأ محمد رواية.

ب. محمد قرأ رواية.

نجد أنّ الجملة في (١٥أ) تفسرها في ضوء البنية المعلوماتية هو أنها جملة جاءت في ظل غياب أرضية مشتركة في السياق التواصلي، كأن تكون إجابة على السؤال ماذا حدث؟ فلا يوجد عنصر في جملة الإجابة يعتبر معلومة معروفة بل كلها تمثل بؤرة للمتلقّي. فالمتلقّي قبل الإجابة لا يعرف أن قراءة قد حدثت ولا يعرف من قام بالقراءة؟ أو ما المقروء؟ وهذا الترتيب (فع+فا+مف) هو الترتيب الوحيد في اللغة العربية الذي يؤدي بنيته المعلوماتية في جزء واحد وهو البؤرة دون وجود لعنصر الموضوع. ولذلك يعده الكثيرون من أمثال باقر البنية الأساسية في الجملة الفعلية لهذا السبب.

أما ترتيب (فا+فع+مف) كما في (١٥ب) فيوجد له أكثر من تحليلٍ مطروح في ضوء البنية المعلوماتية حسب دراسة فورد (٢٠٠٦م). التحليل الأول هو أن الفاعل

المعنوي الذي تصدر الجملة هو فاعلٌ نحويٌّ كذلك، وتقدم لصدارة الجملة لأنه يقدم معلوماتٍ جديدةً بينما بقية الجملة تمثل الموضوع لأنها تعطي معلوماتٍ معلومةً، ويكون السؤال الأنسب بمثل هذا التحليل هو: من قرأ الرواية؟ يفترض التحليل الثاني أن الفاعل المعنوي الذي في مقدمة الجملة هو مبتدأٌ في التركيب النحوي ما لم يقدم معلومة جديدة، وعندئذ يمثل المبتدأ الموضوع في البنية المعلوماتية للجملة لا البؤرة كما في التحليل الأول، بينما بقية الجملة تمثل البؤرة، ويكون السؤال الأنسب بمثل هذا التحليل هو: محمد، ماذا فعل؟ وبذلك يصبح الترتيب في (١٥ب) يتيح نوعين من البنى المعلوماتية ولكل نوع تأثير على تفسير الرتبة اللسانية في التركيب النحوي^{٤٦}.

إن مسألة تقديم المفعول به في الجملة الفعلية يمثل صورة لبنية ثانوية في الجملة العربية أو ترتيباً فرعياً لها، والمنصوبات في العربية ومنها المفعول به من العناصر التي تنتقل من موقعها لمواقع أخرى في الجملة كما أشار سيبويه لذلك^{٤٧}، خاصةً أن المفعول به يعد فضلة خارج التركيب الإسنادي للجملة الفعلية. في إجابة السؤال (١٦أ) ينتقل المفعول به من رتبته الأصلية كما في (١٦ب) لبنيتها الثانوية في ترتيبين فرعيين كما في (١٦ت-ث)، وذلك استجابة لبنية الجملة المعلوماتية في (١٦أ):

١٦- أ. ماذا قرأ محمد؟

ب. (فع+فا+مف)، والإجابة: قرأ محمد رواية

ت. (مف+فع+فا)، والإجابة: رواية قرأ محمد.

ث. (فع+مف+فا)، والإجابة: قرأ رواية محمد.

تظهر عناصر الجملة متشابهة في نوعها وعددها في الأمثلة (١٦ب-ت-ث) أجوبة للسؤال (١٦أ)، لكن ترتيب العناصر مختلف في كل منها. وإذا اعتبرنا البنية المعلوماتية في (١٦ب)، فإن المفعول به «رواية» جاء في موضعه الأصلي بعد الفعل والفاعل «قرأ محمد» ويحمل معلومة جديدة ممثلاً لبؤرة الجملة بينما جملة «قرأ محمد»

معلومة معروفة لدى المتلقي من السؤال (١٦ أ). وفي (١٦ ت) تقدم المفعول «رواية» على فعل وفاعل «قرأ محمد» الجملة للاختصاص، فالمفعول يمثل المعلومة الجديدة لدى المتلقي ومضاف له معنى التخصيص دون غيرها. كما جاء الترتيب في (١٦ ث) بمفعول به بين الفعل والفاعل. ومن اللسانين من يرى أن المفعول به الذي يكون في ترتيب (فع+مف+فا) يرد فقط في سياق تصحيح المعلومة التي يحملها المفعول به في سياق سابق ولا يصح هذا الترتيب في غير هذا المقصد^{٤٨}. المفعول به الذي يأتي للتصحيح كما يلي:

١٧- قرأ محمد قصة، لا: قرأ رواية محمد.

إضافة إلى ذلك، يرى المتوكل (١٩٨٩م) أن البؤرة «رواية» في مثل (١٦ ب) تعطي معلومة جديدة، أما في (١٦ ت) فبالإضافة إلى المعلومة الجديدة التي تمد بها البنية المعلوماتية، فهي تعطي القراءة التقابلية للبؤرة^{٤٩}، أوهاالا (b1994) يوضح طريقة مقابلة البؤرة بأخرى سابقة ليست بصحيحة، وذلك باستخدام أداة النفي «لا» كما يلي^{٥٠}:

١٨- قرأ رواية محمد لا قصة.

في المثال (١٨)، جاءت البؤرة «رواية» حاملة معلومة جديدة في ترتيب (فع+مف+فا)، وجاءت البؤرة «رواية» كذلك مقابلة لـ «قصة» ومصححة لها في السياق.

أما جملة المبني للمجهول، فللبنية المعلوماتية دور رئيس في بنائها، فالجملة تظهر دون وجود عنصر (فا) في تركيبها بترتيب (فع+؟+مف). وعدم ظهور الفاعل في تركيب الجملة يأتي لسببين؛ إما لأنه معلوم لدى أطراف العملية التواصلية المتكلم والمستمع فلا حاجة لذكره في الجملة لوجوده مسبقاً في الأرضية المشتركة، بمعنى أنه من المعلومات التي يمكن الوصول (accessible) لها كما في (١٩ أ). أو لأن

الفاعل مجهول لكلا المتكلم والمستمع وهو ليس ضمن الأرضية المشتركة بينها أو من المعلومات غير ممكنة الوصول (inaccessible) كما في (١٩ب)، ولا يمكن حينها أن يتمثل الفاعل المجهول في دور موضوع الجملة، كما لا يمكن تقديمه كبؤرة ذات معلومة جديدة لها:

١٩- أ. خلق الإنسان من طين.

ب. سُرِقَ الكتابُ!

الجملة في (١٩أ) جاءت دون الفاعل «لفظ الجلالة»، لأنه معلومة يمكن الوصول لها ومعرفتها لدى الجميع. ويمكن أن تكون هذه الجملة إجابة على سؤال «ما خلق الله الإنسان؟»، وعليه تكون «من طين» بؤرة الجملة بينما «خلق الإنسان» مع الفاعل المحذوف «لفظ الجلالة» هي موضوع الجملة. أما الجملة في (١٩ب)، فإنَّ الفاعل محذوفٌ لأنه معلومة لا يمكن لطرفي العلمية الكلامية الوصول لها، والفعل المبني للمجهول «سُرِقَ» هي بؤرة الجملة المعلوماتية إذا كان السياق: أين الكتاب؟ بينما «الكتاب» هو موضوع البنية المعلوماتية للجملة، أو أن تكون الجملة كلها بؤرة إذا كان السياق: ماذا حدث؟ لكن الفاعل غير معلوم ضمن البنية المعلومات سواء في جزئية الموضوع أو البؤرة في كلا السياقين.

نلاحظ من تحليل جملة (١٩أ-ب)، أن تركيب جملة المبني للمجهول في ضوء البنية المعلوماتية تعطي تفسيرين، الأول: أن النقص في البنية التركيبية للجملة لا يلزم بالضرورة وجود فجوة معلوماتية في المستوى التواصل، فالفاعل قد يغيب عن تركيب الجملة ليس لأنه مجهول، بل لأنه معلوم بالضرورة لدى أطراف العملية الكلامية كما في (١٩أ). ومفهوم المخالفة هنا غير وارد، فنقصان المحتوى المعلوماتي سيؤدي بالضرورة إلى نقص في بنية الجملة، فعندما يكون الفاعل مجهولاً فعلاً في بنية الجملة المعلوماتية فلا يمكن حينئذٍ حضور عنصر الفاعل في بنية الجملة التركيبية كما في (١٩ب). ولا يقف أثر نقص معلومة «الفاعلية» في المحتوى المعلوماتي على

تركيب الجملة الفعلية من حيث عدد عناصرها فحسب، بل يتعدى تأثير الفجوة المعلوماتية للفاعل إلى العملية الإعرابية فعنصر المفعول به الذي كان يؤدي وظيفة «المفعولية» حاملاً علامة النصب أصبح في وظيفة «النائب فاعلية» بعلامة الرفع، مثل: «الإنسان» و «الكتاب» في (أ١٩) و (ب١٩) توالياً.

الختام:

قدم هذا البحث تحليلاً لبنية الجملة العربية في صورتها التركيبية في اتجاهاتٍ متعددةٍ وعصورٍ مختلفةٍ، عند العرب القدامى والمحدثين وفي اللسانيات الحديثة؛ ومن خلال مفاهيم متنوعة، مثل: التركيب الإسنادي والبنية الأساسية والثانوية والرتبة الأصلية والفرعية لِنَمَطِيّ الجملة العربية: الاسمية والفعلية. ثم أضاف البحث أنموذجاً لتحليل بنية الجملة وذلك باستخدامه عاملاً خارج بنيتها التركيبية، وهو العامل المعلوماتي، وذلك بتقسيم الجملة معلوماتياً إلى معلوماتٍ معلومةٍ وأخرى غير معلومةٍ، والمرسل عند نقل المعلومات للمتلقي يقسم هذه المعلومات على عناصر الجملة المعطاة، وفي ضوء هذا التقسيم المعلوماتي تظهر الجملة في رتبها الأصلية أو قد تعدّل إلى إحدى رتبها الفرعية عطفاً على بيئة الجملة الخطابية والمؤشرات السياقية والأطراف الكلامية. فالجملة الاسمية مثلاً قد تتركب من المبتدأ والخبر في ترتيب فرعي بتقديم الخبر على المبتدأ أو حذف أحدهما، والجملة الفعلية قد تُبنى بترتيب

فرعي بتغيير الترتيب الأساسي لعناصرها (فعل+فاعل+مفعول) أو حذف أحدها، وذلك استجابة لتأثيرات البنية المعلوماتية للجملة التي ولدت فيها.

الهوامش:

(Endnotes)

- ١- الجرجاني، الشريف، التعريفات، ص ٢٢.
- ٢- البغدادي، محمد بن سهل بن سراج، ص ١٣٨.
- ٣- ابن يعيش، المفصل، ١/ ٧٤.
- ٤- للمزيد في أقسام الجملة، انظر: حسان، الخلاصة النحوية، ص ١٠٥-١٣٣. وقد قسم حسان الجملة من حيث مبناها إلى أقسام أربعة: اسمية، وفعلية، ووصفية، وشرطية، وهنا سوف نقتصر على الجملة الاسمية والفعلية.
- ٥- ابن هشام، مغني اللبيب، ٢/ ٣٧٤.
- ٦- أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص ٢١.
- ٧- عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص ١٢-١٣.
- ٨- نظر ابن جني، الخصائص، ٢/ ٣٦٠.
- ٩- حسان، اللغة العربي معناها ومبناها، ص ١٣٨.
- ١٠- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٠٦.
- ١١- العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٢/ ٩٢.
- ١٢- هناك كثير من الأمثلة لبنية الجملة الثانوية، مثل: الزيادة والإقحام، التوسع، الاختصار، إعادة الترتيب، إلحاق السمة، التعويض، النسخ. ولكن هذا البحث سيقصر مجموعة محددة من أمثلة البنية الثانوي للجملة العربية.
- ١٣- الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص ١٠٣-١٠٤.
- ١٤- مذكور، علم اللغة العربي والدرس الحديث، ص ١٩٩.

- ١٥ - الرمالي، العربية والوظائف النحوي، ص ٢٢٠.
- ١٦ - غلفان وآخرون، اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، ص ٤٨٩.
- ١٧ - نفس المصدر السابق ص ٢٧٧.
- ١٨ - Bakir, Aspects of Clause Structure in Arabic, p: 6
- ١٩ - بعد باقر، أشار إلى نظام المطابقة عدد من اللسانين العرب أمثال: حجازي (١٩٧٣م)، والفاسي الفهري (١٩٨٥م)، وفي اللسانيات الغربية أشار له Fassi Fehri (١٩٩٣م) و Mohammad (٢٠٠٠م) و Soltan (٢٠٠٧م) وغيرهم.
- ٢٠ - Chomsky, 1981. Lectures on Government and Binding. -٢٠
.Dordrecht: Foris
- ٢١ - عبده، البنية الداخلية للجملة الفعلية في اللغة العربية.
- ٢٢ - شاطة، مسألة الرتبة في اللغة العربية، ص ١٥٩-١٦٠
- ٢٣ - الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص ١٠٥.
- ٢٤ - Fassi Fehri, Issues in the Structure of Arabic Clauses and Words, p:19
- ٢٥ - يعلوي والملاخ، البرنامج الأدنوي: الأسس والثوابت، ص ١٧١.
- ٢٦ - Chomsky, The minimalist programm
- ٢٧ - Chomsky, Categories and transformations, p: 67
- ٢٨ - للمزيد انظر:
- Fassi Fehri, Issues in the Structure of Arabic Clauses and Words. & Ouhalla, Verb Movement and Word Order in Arabic, & Plunkett, The position of subjects in Modern Standard Arabic
- ٢٩ - مبدأ «الإسقاط» (Projection) في التوليدية كما يعرفها اللحياني (٢٠١٠)،

ص(٣٨٦): هو البنية التي تعكس خصائص الرأس المعجمية والدلالية، فالرأس الذي يحدد عدد الموضوعات التي يقتضيها التركيب ونوع مقولاتها والأدوار المحورية التي تسند إليها.

٣٠ - انظر يعلوي والملاخ، البرنامج الأدنى: الأسس والثوابت، ص ١٨٠.

٣١ - Fassi Fehri, Issues in the Structure of Arabic Clauses and

Words, p: 29

٣٢ - Plunkett, The position of subjects in Modern Standard

Arabic, p:241

٣٣ - أزوال، أثر المطابقة في توجيه بناء الجملة في العربية، ص ٣٠.

٣٤ - Chafe, Givenness, contrastiveness, definiteness, subjects,

55-topics, pp: 27

٣٥ - سلطان، البنية المعلوماتية في علم اللغة، ص ٢٠١٣.

٣٦ - Reinhart, Pragmatics and Linguistics: An Analysis of

.Sentence Topics in Pragmatics and Philosophy

٣٧ - Krifka, Basic notions of information structure. Acta

Linguistica Hungarica, p: 245

Krifka, Basic notions of information structure, p: 265-٣٨

٣٩ - Ward, The semantics and pragmatics of preposing, p: 2

٤٠ - انظر البشير، الترتيب الأساسي للجملة في العربية، ص ٨٢-٨٣.

٤١ - أزوال، أثر المطابقة في توجيه بناء الجملة في العربية، ص ٩.

٤٢ - Greenberg. Some Universals of Grammar with Particular

.Reference to the Order of Meaningful Elements

٤٣ - الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص ١٠٣-١٠٤.

٤٤ - غلفان وآخرون، اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، ص ٢٧٧.

Bakir, Aspects of Clause Structure in Arabic, p: 9 - ٤٥

Ford, The influence of word order on modern standard - ٤٦

Arabic information structure, p:10

٤٧ - سيويه، الكتاب ١ / ٣٤.

8-Bakir, Aspects of Clause Structure in Arabic, pp: 7 - ٤٨

Moutaouakil, Pragmatic Functions in a Functional –٤٩
Grammar of Arabic, p:81

.Ouhalla, Focus in Standard Arabic –٥٠

المراجع:

المراجع العربية:

- أزوال، حسن محمد علي، أثر المطابقة في توجيه بناء الجملة في العربية، مجلة اللسانيات العربية، ع٢٤، ٦-٥٥، (٢٠١٥).
- أيوب، عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، د/ مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥ م.
- ابن جني، الخصائص، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢/٣٦٠.
- ابن يعيش، شح الفصل، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م.
- ابن هشام الانصاري، عبد الله بن يوسف: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج ١١، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العرب (د ت)، لبنان، بيروت.
- الجرجاني، أبو الحسن بن علي بن محمد الشريف، التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، ط١، بلا، القاهرة: دار الفضيلة، ت، بلا، ت: ٨١٦.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢ م.
- الرمالي، ممدوح، العربية والوظائف النحوي، دار المعارف الجامعية، مصر، ١٩٩٦ م.
- العلوي، يحيى ابن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، ٢/٩٢، ١٩١٤.
- الفاسي الفهري، عبد القادر، اللسانيات واللغة العربية، المغرب، دار بوبقال

- للنشر، ١٩٨٥م.
- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢
- ١٩٧٩م.
- حسان، تمام، الخلاصة النحوية، ط٢، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٤م.
- سلطان، عباس حسن جاسم، البنية المعلوماتية في علم اللغة، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، العراق، المجلد ١، العدد ٢٢، الصفحات ٢١١-٢٢٤، ٢٠١٨م.
- سيويه، عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط٣.
- شاطه، إبراهيم، مسألة الرتبة في اللغة العربية-مقاربة توليدية-، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، مجلد ١٢، عدد ٢٥، الصفحات ١٥٥-١٨١، ٢٠٢٠م.
- عبد اللطيف، محمد حماسة، بناء الجملة العربية، ط، بلا، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (٢٠٠٣).
- عبده، داود، البنية الداخلية للجملة الفعلية في اللفة العربية، مجلة أبحاث، الجامعة اللبنانية، عدد سنة ١٩٨٣، بيروت.
- غلفان، مصطفى والملاخ، محمد ويعلوي، حافظ إسماعيلي، اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديثة، إربد-عمان، ٢٠١٠م.
- مذكور، عاطف، علم اللغة العربي والدرس الحديث، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٧م.

- يعلوي، حافظ إسماعيل والملاخ، محمد، البرنامج الأدنوي: الأسس والثوابت،
مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية: جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر،
ع ٣١، ٢٠١٧م.

المراجع الأجنبية:

- Bakir, M. 1980. Aspects of Clause Structure in Arabic. Unpublished PhD dissertation, MIT, Cambridge, MA.
- Chafe, W 1976. Givenness, Contrastiveness, Definiteness, Subjects, Topics, and Point of View, in Charles Li (ed.), Subject and Topic, New York: Academic Press, 25-55
- Chomsky, N. 1981. Lectures on Government and Binding. Dordrecht: Foris.
- Chomsky, N 1993. A Minimalist Program for Linguistic Theory. In K. Hale and S. J. Keyser,
- (eds). The View From Building 20, Cambridge: MIT Press.
- Chomsky, N. 1995. The minimalist program, MIT Press, Cambridge, Massachusetts/London.
- Chomsky, N. 1995 C. Categories and transformation, the framework Draft.
- Chomsky, N. 2000. 'Minimalist Inquiries: the Framework'. In R. Martin, D. Michaels and J. Uriagereka (eds). Step by Step: Essays on Minimalist Syntax in Honor of Howard Lasnik. Cambridge. Mass: The MIT Press.
- Chomsky, N 2001. 'Derivation by Phase'. In: M. Kenstowicz, ed., Ken Hale. A Life in Language. MIT Press, Cambridge, Massachusetts, 1-52.

- Chomsky, N. 2008. 'On phases'. Current Studies in Linguistics Series 45
- Fassi Fehri, A. 1993. Issues in the Structure of Arabic Clauses and Words. Dordrecht: Kluwer.
- Ford, David C. 2009. The influence of word order on modern standard Arabic information structure. GIALens, 3(2): 1-12
- Greenberg, Joseph H. 1963. Some Universals of Grammar with Particular Reference to the Order of Meaningful Elements. In Greenberg, Joseph H. (ed.), Universals of Human Language, 73-113. Cambridge, Mass: MIT Press.
- Krifka, M. (2008). Basic notions of information structure. Acta Linguistica Hungarica, 55(3-4), 243-276.
- Mohammad, M. 2000. Word Order, Agreement and Pronominalization in Standard and Palestinian Arabic. Amsterdam: John Benjamins.
- Moutaouakil, A. 1989. Pragmatic functions in a functional grammar of Arabic. Walter de Gruyter.
- Ouhalla J. 1994a. Verb Movement and Word Order in Arabic. In D. Lightfoot and N. Hornstein (eds). Verb Movement, 241-72. Cambridge University Press.
- Ouhalla J. 1994b, Focus in Standard Arabic. Linguistics in Potsdam 1: 65–92. Ouhalla J
- Plunkett, B. 1993. The position of subjects in Modern Standard Arabic. In M. Eid and C. Holes (eds.) Perspectives on Arabic Linguistics V, 231-259. Amsterdam: John Benjamins.

- Reinhart, T. 1981. Pragmatics and Linguistics: An Analysis of Sentence Topics in Pragmatics and Philosophy. *Philosophica and Studia Philosophica Gandensia Gent*, 27: 53-94.
- Soltan, U. 2007. On Formal Feature Licensing in Minimalism: Aspects of Standard Arabic Morphosyntax. Unpublished PhD Dissertation, University of Maryland.

أثمة حجاج في قصص الأطفال؟ مقاربة تداولية في قصة (حفلة شاي في قصر سندريلا) أنموذجاً

أ.د. نوال بنت إبراهيم الحلوة^١

ملخص:

نسعى في هذا البحث إلى الإجابة عن السؤال التالي: أثمة حجاج في قصص الأطفال؟ في محاولة لتجلية آليات الإقناع في الخطاب الموجه للطفل في ضوء المقاربة التداولية؛ وهذا من خلال قصة (حفلة شاي في قصر سندريلا) للكاتبة السعودية أروى خميس. وسنحاول استنطاق خطاب القصة وتقصي وسائل الحجاج وأنواعه فيها؛ رغم يقيننا بعدم توسعه وعمقه، لأن حجاج الطفل حجاج يتعد عن الإغراق في المنطق والاستدلال بما يمليه عمر الطفل ومداركه. وقد سلط البحث الضوء على وسائل التأثير في الطفل، النفسية والصوتية والاجتماعية والمنطقية، ليصل إلى عدد من النتائج التي أكدت أن التأثير في الطفل قائم على بعض التقنيات الحجاجية البارزة التي تناسب عمره ونموه وعقله، وأبرزها ظهوراً هو الحجاج بالوسائل اللغوية، لما يحدثه الإيقاع الصوتي من جذب لوجدان الطفل ومشاعره؛ وكذلك اتكاء قصص الأطفال على الحجاج بالمشاعر والانفعالات معتمداً على معجم ثري من مفردات هذا الحقل، يسانده في ذلك الإيقاع الصوتي والتنغيم. كما تجلت تقنية الحجاج بالقيم باعتبارها أداة ناجعة لتمير عدد من المبادئ الأخلاقية والسلوكية وتأكيداها. ورغم وجود بعض الحجج المنطقية القائمة على الاستدلال والقياس، فهي ضئيلة لا تقارن بالتقنيات السابقة، ولا يخفى في القصة المدروسة ذلك القدر من التأثير في الحجاج بالخيال وسيميائية الصورة، فكلاهما جاءا ليدعما القصد ويقويا الدلالة. وقد جعلت تلك التقنيات الحجاجية قصص الأطفال تتجاوز في غاياتها متعة السرد إلى غايات

١- جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن -كلية الآداب - قسم اللغة العربية
أرسل البحث بتاريخ ١٦/٠٤/٢٠٢١، وقبل للنشر بتاريخ ٢٦/٠٥/٢٠٢١.

أخرى هي التأثير في منظومة الطفل وفكره؛ فهي توسع مداركه، وتقوي عزمته، وتعزز قيمه، وتثبت فؤاده، وتطهر نفسه، وتفتق مكامن الإبداع فيه، بما يؤكد نجاعة المنهج التداولي بأن اللغة ظاهرة خطابية تواصلية اجتماعية ترتبط بالفكر الإنساني وتحركه.

الكلمات المفتاحية: التداولية - الحجاج - تقنيات - الخطاب - قصص الطفل.

Abstract:

The present paper is an attempt to answer the following question: Are there any aspects of argumentation in children's stories? Using a pragmatic approach, it will try to demonstrate the techniques of convincing in narrative speech addressed to children, as illustrated by the novel (A Tea Party in Cinderella's Palace) by the Saudi author Arwa Khamis. Although it is certain that argumentative techniques and tools in the discourse addressed to children are limited in variety and depth, since it keeps away from overwhelming logic and inference in accordance to children's age and degree of maturity, this paper will show that argumentation in children's stories is present in different forms, most notably exploiting an audio rhythm that attracts the child's emotions and feelings. This paper also shows that argumentation in children's stories relies on emotions and feelings and exploits a lexicon rich in phonemic rhythm. Argumentation based on convincing with values, as well as the semiotics of the image, will also show to be as effective for passing and affirming many ethical values. All such techniques, it will be shown, would make children's narrative not just fun, but also a means to expand children's creativity and influence their mind, and support their determination and their system of values.

Keywords: Pragmatics - Argumentation - techniques - discourse - children's stories.

يندرج هذا البحث ضمن الأعمال التي تهتم بدراسة بلاغة الحجاج بوصفها آلية إقناعية في الخطاب عمومًا، والحجاج الموجه منه إلى الطفل خصوصًا، فقد أثبت الواقع أن هذا الفن من الخطاب الأدبي لم ينل حظه من الدراسة، رغم أهميته وأثره في تشكيل هوية الطفل وشخصيته.

وانطلاقاً من هذه الملاحظة، جعلنا موضوع بحثنا ينصب على هذا النمط من الخطاب؛ إذ سنعمد إلى تتبع مظاهر بلاغة الإقناع والحجاج في قصص الأطفال، في ضوء قصة (حفلة شاي في قصر سندريلا، للكاتبة أروي هُيمس (٢٠١٦)؛ ليقيننا أنه إذا كانت القصة مغامرة من الكاتبة، فإن الاشتغال بتأويلها يعد مغامرة أخرى.

لقد نشأت التداولية في أحضان الفلسفة التحليلية التي يقر فلاسفتها بمسئمة معرفية مشتركة وهي أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز على اللغة فهي التي تعبر له عن هذا الفهم وهي السبيل لفهم علاقاتنا بالعالم والكون من حولنا «فالتداولية لا تدرس اللغة ذاتها؛ ولكن تدرس اللغة حين اشتغالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلاماً محددًا صادرًا من متكلم محدد موجهًا إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصل محدد لتحقيق غرض تواصل محدد» (صحراوي، ٢٠٠٥؛ ٢٦)

وتذهب الدراسات التداولية إلى القول إن اللغة أداة تواصل؛ إذ يعكس النص مدى قدرة منتجه على تحقيق مقاصده؛ وعليه فإن تبني هذا الطرح هو الذي يُسوّغُ رصد آليات الإقناع، ويُرّوز مدى تفاعل المتلقي مع الخطاب بقدر ما ينال منها.

و(أدب الطفل) جنس فني أدبي رفيع، له خصوصيته، ويعتمد نجاح المبدع فيه على معرفة عميقة بخصوصيات هذه المرحلة ومميزاتها والمخاطر التي تحف بها، وقدرته على تجلّي المستوى اللغوي والإدراكي والنفسي والاجتماعي للطفل، ووعيه بالمهمة السامية التي يسهم بها في الرقي ببلغة الطفل وخياله ومعارفه؛ لتحقيق وظائف تربوية عديدة؛ أخلاقية، وفنية، وجمالية.

وإذا افترضنا أن الخطاب الموجه إلى الطفل يشكل نمطاً خاصاً، له ما يميزه عن

الخطابات الأخرى، فإن ذلك يعني أن له مُلقياً خاصاً، ويعتمد معجماً خاصاً، كما يجب أن يوظف تقنيات خطابية خاصة، تهدف إلى تنمية قدرة الطفل وتطويرها بصفته متلقياً، كما يروم هذا الخطاب تحقيق أهداف ذات طبيعة تربوية، هذا الطرح يجعلنا نثير الأسئلة التالية:

- ما مقدار كفاية الملقى لقصة الطفل؟
- ما خاصية السرد الحجاجي في قصة (حفلة شاي في قصر سندريلا) وما أثره في الإقناع؟
- ما دور السارد في بلورة العدة الحجاجية في القصة، وكيف تشكل الانفعالات (الإيتوس) داخلها من خلال ذلك السارد؟
- كيف يُبنى الحجاج في قصص الأطفال وكيف يتناسل؟
- أثمة اختلاف بين الحجاج في قصص الكبار وقصص الأطفال من حيث التقنيات والتكثيف؟
- ما التقنيات الحجاجية الأكثر تواتراً في قصص الأطفال؟ وهل لها خصائص بارزة؟
- هل يسهم الحجاج بالقيم (الإيتوس) في إدراك القصد؟
- كيف استخدم الباتوس في قصص الأطفال؟
- هل في التخيل حجاج وبلاغة؟
- ما الخصائص اللغوية للحجاج في قصص الأطفال؟

١- من الحجاج في الخطابة إلى الحجاج في خطاب القصة:

برز فن الخطابة في سنة ٤٨٥ ق.م بسبب ظهور النزعة الديمقراطية في أثينا، التي شاع معها الجدل السياسي والقضائي؛ فاشتدت الحاجة إلى تعلم هذا الفن؛ للتمتع بالفصاحة ومهارة الإقناع والحوار وتعبئة الجمهور، فكانت جهود سقراط ثم أفلاطون لتأسيس هذا العلم وتهذيبه، ثم جاء أرسطو الذي يعدُّ الأب الحقيقي لعلم

الخطابة؛ فهو من جمع شواردها وقوم نظريتها، وهذبا من السفسطة، وأسسا على الاستدلال والجدل والحجاج، وأصبح كتابه (الخطابة) منبعاً لكل النظريات الخطابية المعاصرة.

وتحدد الدراسات المهمة بهذا الخصوص الحجاج فتعده «فعلاً خطابياً معقداً يهدف إلى حل اختلاف في الرأي. ووفقاً للتعريفات العلمية، فإنه نشاط لفظي واجتماعي للعقل يقوم به متحدث أو كاتب معني بزيادة (أو تقليل) قبول وجهة نظر مثيرة للجدل للمستمع أو للقارئ (Van Eemeren, F. H., et al. 1996: 10).

وإذا كانت «نظرية الحجاج» هي المصطلح الذي أطلق على النتائج المنهجية لدراسة هذه الظاهرة الخطابية، فإن هذه النظرية تهتمّ بـ«دراسة الحجاج وتحليله وتقييمه مع رؤية تهدف إلى تطوير معايير مناسبة لتحديد مدى صحة نقطة الانطلاق والتخطيط العرضي للخطاب الحجاجي» (Van Eemeren, F. H., et al. 1996: 10).

انتقل الاشتغال بالحجاج من فن الخطابة إلى مناحي الحياة كافة، حتى أصبح من أبرز خصائص الفكر المعاصر؛ لذا كان محطّ عناية الدرس اللساني، وبخاصة النظرية التداولية التي اهتمت باللغة في الاستعمال والتواصل. ولم ينحصر اهتمامها برصف الكلام في شكل معين من أشكال اللغة أو فن من فنونها؛ بل اتجهت لتكسر تلك الحدود الفاصلة بين أنواع الكلام وفنونه؛ حيث تتوحد الوظيفة اللغوية في أنواع الخطاب كافة، فجميعها يتشكل من متواليات من الجمل، بعضها حجج وبعضها نتائج من تلك الحجج، وغايتها جميعاً الإبلاغ؛ فلا فصل فيها بين التخيل والإقناع ولا بين الإمتاع والقصود. وبهذا خلّص الخطاب التداولي الفن القصصي من بعض القيود، ليركز على وظيفة الحجاج في القصة تواصلًا وأثرًا، مع الإقرار بأن الخطابة قد تستنفد التقنيات الحجاجية كافة، مع الحاجة إلى تكثيف بعضها بخلاف الحجاج في القصة عامة، وقصص الأطفال خاصة.

٢- من الحجاج في قصص الكبار إلى الحجاج في قصص الأطفال:

تتفق قصص الكبار مع قصص الأطفال في العناصر الرئيسة لفن القصة من حيث السرد والموضوع والشخص والاحداث والزمان والمكان والعقدة والحوار والبناء.

إلا أننا لا ننكر الاختلاف بين حكايات الكبار وحكايات الأطفال في تقنيات الحجاج من حيث التنوع والتكثيف، وهذا ما سيقوم البحث باختباره.

ومعلوم أن لكل قصة لغة وفكرة وهدفاً وأسلوباً وصورة وخيالاً، ولها أثرها جميعاً في انفعالات الطفل وعواطفه، فهي تثير ملكاته العقلية والمعرفية والوجدانية؛ كالتخيل والتفكير، كما أثبت البحث العلمي دورها في تشخيص الأمراض النفسية والعقلية التي تعترى الطفل وأثبت قدرتها على علاجها.

وَمِمَّا لا يخفى أن من أهداف كتابة القصة الإمتاع والإقناع؛ فأما الإقناع فهو وسيلة تواصلية لغوية أصبحت ركناً من أركان الكتابة، ومنها أدب الطفل خصوصاً في عصرنا هذا؛ بسبب ما تعانيه المجتمعات المعاصرة من مظاهر سلبية (ونبذ الآخر والعنف والعنصرية والتطرف)، إلى جانب ما تشنه وسائل الإعلام من حملات تأجيج الخلافات بين المذاهب الدينية والسياسية؛ مما قد تنتج عنه كوارث نفسية واجتماعية ودينية وسياسية؛ لذا يبرز الإقناع بوصفه شكلاً من أشكال الممارسة الاجتماعية في قالب لغوي يقوم على القيم الأخلاقية والأسس المنطقية؛ ليصبح دواء يخفف من حدة هذا الداء.

إن اللغة سلوك اجتماعي، ووسيلة تحقق الترابط بين أفراد الجماعة اللغوية، كما تخضع لمنطق المجتمع وقيمه وتوجهاته. ولذلك أصبح الخطاب الإقناعي من أكثر وسائل الترابط الاجتماعي قوة؛ فهو خطاب ذو حمولة لغوية خاصة يقوم على ممارسة الحجاج ويقتضي عدداً من المهارات والكفايات والمعارف، حتى يحقق غايته نحو تغيير سلوك أو موقف؛ فيتجاوز الإقناع بذلك فعله اللغوي إلى فعله الاجتماعي؛ بل إن من الباحثين من يؤكد «عرض الحجج باعتبارها أحداثاً اجتماعية مشخصة من قبل المشاركين فيها؛ مما يوضح المعنى الديناميكي للحجاج طالما أنه حي يتميز بخاصية الحركة الداخلية لجميع الحجج، ويظهر العلاقات ذات الصلة بين الأفكار» (Paula Olmos, 2017: 28).

وبناء على ما سبق يهدف هذا البحث إلى النظر في بلاغة الإقناع في الخطاب الموجه للطفل العربي، وذلك من خلال قصة (حفلة شاي في قصر سندريلا) في ضوء المنهج التداولي؛ لبيان كفايات الساردة -وهي كاتبة القصة- في استخدام استراتيجيات

الإقناع، خصوصاً مع ظهور استراتيجيات جديدة في القصة الحديثة تعتمد على الرمز والتلميح والكنائية والإضمار والخيال والصورة، كما يستهدف هذا البحث النظر في مدى كفايات المتلقي في استقبال استراتيجيات الساردة في الإقناع والحجاج، ومدى مناسبتها لإدراكه وواقعه، ومستوى خياله.

وتأتي قصة الساردة أروى خميس (حفلة شاي في قصر سندريلا) رصيلاً إضافياً لجهودها في الكتابة للطفل؛ حيث تحتوي المجموعة على عشر قصص قصيرة للبالغين، تتجانس في فضائها السردي، ويجمعها إطار عام يتميز بالتشاكل والتماثل من حيث الرؤية السردية، ويتنوع من حيث الاشتغال. وقصة (حفلة شاي في قصر السندريلا) هي موطن البحث، والعتبة الأولى في النص.

ولا يخفى على قارئ قصة سندريلا بوصفها قصة شعبية ذلك القسط الوافر فيها من العزاء الموجه للطفل الذي يعاني من الاضطهاد العائلي، فالمغزى من القصة أنه مهما كان حجم هذا العذاب وحجم المعاناة فإن الخلاص آت لا محالة! فالقصة بآلامها وأحزانها تُحدث شيئاً من التطهير النفسي وهو ذلك الانفعال الذي يجرر الطفل من المشاعر الضارة فتكون علاجاً ليداويه ويخفف عنه حزنه وآلامه، وهذا ما أعطى القصة سحرها وقوة تأثيرها رغم ما تنطوي عليه من ضعف وهوان؛ إذ تدعو إلى التواكل والخضوع لانتظار الفرغ من المجهول!

والكتابة في هذه القصة هي جزء من السرد؛ بل هي السارد العليم، فقد جعلت من حكاية سندريلا قضية، ونصبت نفسها مدعية فيها، وأما المدعى عليها فهي (سندريلا) وهي المخاطبة، وتنطلق في حوارها مع سندريلا من تصور سلطوي -منحها إياه السرد متوشحة بثقافة المجتمع وأفكاره- لتناقش تلك القيم السلبية التي رسختها القصة في عقول الفتيات على مدى قرون، المتمثلة في تجسيد صورة الفتاة الفقيرة الضعيفة المقهورة التي خدمها جمالها وأناقته من جهة، والحظ والسحر من جهة أخرى؛ فرغم جمال السرد وحبكة الخيال الذي ارتقى بالقصة إلى أسطورة عالمية، فإن مقاصدها حالياً قد لا تتناسب مع بنات اليوم؛ فجاء التناس ههنا للتعبير عن مقاصد جديدة مستقاة من الواقع؛ فقد جعلت القصة القديمة في مواجهة مع الواقع الجديد الذي تغيرت فيه القيم بتغير المجتمع؛ ففتاة اليوم لا تقبل الذل

والهوان، ولا تنتظر الحظ ولا السحر لتغيير واقعها المرير؛ فهي، كما تراها الساردة، فتاة قوية وطموحة وناجحة؛ تُغيّر حياتها بإرادتها وعزمها.

إن هذا الخطاب المستلهم من حجاج الواقع هو من أنجع وسائل الحجاج وأقواها؛ لارتباطه بالمجتمع، فهو جزء لا يتجزأ من الإنسان؛ لذا يجد لدى المتلقي القبول والإذعان.

٣- الكفايات التواصلية في قصة (حفلة شاي في قصر سندريلا):

إن استعمال اللغة تداولياً يخرجها من القوة إلى الفعل باستخدام آليات منطقية وبلاغية في سياق لغوي تواصلية، يقوم على الحوار المشترك بين ملقٍ وملتقٍ، يحكمه التعاون وينبئ على الملاءمة (رايص، ٢٠٠٧: ٢٩٤)؛ فالحوار بين سندريلا والساردة أسهم في توليد الأحداث وتناسلها حتى حققت مقاصدها خلال عدد من الكفايات (٢) أبرزها:

١،٣ الكفاية الموسوعية: وهي خزان شاسع من الخبرات المتعددة وتتأسس على الخلفية العلمية والثقافية والاجتماعية للكاتب؛ وأروى مُحمّس أكاديمية سعودية تحمل الدكتوراه في (التصميم الداخلي) من (جامعة الملك عبدالعزيز) بجدة، وتُمارس الكتابة للطفل منذ عام ٢٠٠٣م، وقد أنتجت أكثر من عشرين قصة له، ولها نشر معروف في مجالها، كما أنها أسست دار نشر خاصة بالطفل وهي: (أروى العربية للنشر)، ولعل تأهيلها الأكاديمي كان سبباً في رقي الكتابة لديها، وسعة المعرفة، وبعد الهدف، والقدرة على الوصف، إلى جانب غرامها الواضح بالكتابة للطفل؛ كما أنها حاولت أن تتمثل قضايا المرأة في مجتمعها باستثمار التخيل خصوصاً في قصص (حفلة شاي)؛ «ففي التَّخِيلُ مكانٌ للحرية، فقد وجدت فيه المرأة الفضاء الأرحب لتجريب حريتها وانعتاقها؛ ذلك لأنه في المتخيل تأخذ المرأة المكانة التي يرفضها الواقع» (كرام، ٢٠٠٤: ١٩)، وقد تمثلت الساردة ذلك الهم الاجتماعي من خلال حوارها مع الشخصيات الخيالية.

ثم جاءت كفايتها اللغوية (اللسانية) في قدرتها على الوصول إلى عقول اليافعين في هذه القصة بأسلوب بعيد عن التكلف والغموض، وههنا نجد الكفائيتين الموسوعية

واللسانية تتبادلان حل السنن مع قدر كبير من الملاءمة في الحقائق والقيم والمعارف؛ فكان خطابها (ممارسة تستعمل المعارف السابقة في الوقت الذي تشكل فيه معارف جديدة)، (أوريكيوني، ٢٠١٤: ٥٤).

٢,٣ الكفاية الثقافية التداولية: وتقوم على مجموعة من المعارف المشتركة التي تملكها الجماعة اللغوية عن العالم والكون والحياة وثقافة المجتمع وقيمه وارتباطها بسياق النص اللغوي، ثم مدى ارتباط الملقى بالمتلقي، وكذلك ترابط البيئة المحيطة من زمان ومكان، ومجتمع وثقافة، ووعي بعضها ببعض؛ فتتحد كل تلك الأنساق في سياق واحد تربطه عدد من العلاقات.

وقد تميزت الساردة بإمامها بثقافة عصرها، كما أنها قريبة من الأطفال وهمومهم ومشكلاتهم، إلى جانب اتسام طرحها برقي في القيم، ومعرفة بالواقع؛ فجاء خطابها مدعماً بالمعرفة وصریحاً شجاعاً وملتزماً؛ يهدف إلى الإصلاح والخير والبناء. يتضح ذلك جلياً في قدرتها على تحويل ثقافة عصرها إلى خطاب ذي غاية تداولية، ويتمثل هذا في وضوح حديثها عن القيم؛ ففي حديثها عن قيمة (الصفح والتسامح)، تقول: (لا تنسي دعوة أختيك الاثنتين، لقد ساحتها! أليس كذلك؟... لا يوجد إنسان يبقى شريراً طوال حياته)، (حفلة شاي، ٢٠١٦: ٢١).

ثم تقول في معرض حديثها عن زوجة أب السندريلا: (لا بد أنها عجوز ومسكينة وتحتاج للعطف والتسامح في آخر حياتها) (حفلة شاي، ٢٠١٦: ٢١)، وهذا يؤكد حرص الساردة على غرس القيم النبيلة لدى الطفل، والدعوة إلى فضيلة التسامح خاصة.

وتتضح كفاياتها الثقافية في محاولتها ترسيخ دور المرأة في المجتمع، وتصحيح تلك النظرة السلبية عنها، القائمة على أنها ذلك المخلوق الضعيف القليل الحيلة، وكذلك ترسيخ دورها الفاعل في مجتمعها، فهي شريك للرجل في البناء والتنمية؛ فتقول: (هل تعلمين أن هذه المواصفات - تقصد الساردة الفستان الأزرق المنقوش والتاج الماسي - الآن لا تمثل معايير الأناقة كما لم تعد هي المواصفات الوحيدة التي يمكن إطلاقها على امرأة ناجحة أو فتاة طموحة، أعتذر منك أيتها الفتاة الجميلة) (السابق: ١٦)، وهي بذلك تدفع الخطاب المغالط السائد في محيطها حول دور المرأة

في مجتمعتها؛ خصوصاً أن الكفاية الثقافية لدى الساردة عالية، وتتمثل في قدرتها على استغلال السرد للتعبير عن القيم والمبادئ التي تؤمن بها، وتريد أن يتمثلها الطفل من خلال خطاب قادر على أن يصل إلى غاياته. ففي حديثها عن زواج سندريلا تحاول الكاتبة أن تدفع عن ذهن المتلقي مفهوماً خاطئاً عن الطبقة في الزواج (من أمير أو مزارع لطيف أو سائق عربة أو طبّاخ) (السابق: ١٦)؛ لترسخ مفهوماً سليماً عنه بقولها: (سندريلا، أخبريني وأخبري البنات: هل تجد الفتاة سعادتها حين تتزوج من الأمير؟ ألا يَختلف معك أميرك في وجهات النظر؟ ألا تشعرين بالغضب منه أحياناً؟ هل سبق أن عرف الناس الذين تابعوا قصتك أن قد يكون ثمة خلاف بينكما؟)، (السابق) ثم تقول: (ماذا لو تزوجت من الطبّاخ؟ أو من سائق العربة؟ أو اقترنت بمزارع لطيف؟) (السابق).

٣,٣ الكفايات النفسية الانفعالية: وترتكز على حالة السارد ما قبل النص؛ وهي حالة يصعب الوصول إليها غالباً لانقطاع الصلة بين الملقى والمتلقي، إلا أنه في قصص (حفلة شاي) صرحت الساردة في مقدمة القصص بظروف كتابتها، فقد كانت في أحد معارض الكتاب، وكانت تتردد على رفوف كتب الأطفال وتجاوز أبطالها؛ حيث زارتهم وأقامت معهم حفلة شاي تجمعهم مع بنات أفكارها وهم في ضيافة (سندريلا)، وكان معها بيتر بان، وليلى، ورايونزل، وبياض الثلج، فكتبت أغلب قصص (حفلة شاي) هناك في صالة معرض الكتاب، وطرحت على هؤلاء الأطفال أسئلة عديدة بقيت بلا إجابات! إلا أنها، للأسف، أضاعت الدفتر الذي كتبت فيه تلك القصص؛ مما جعلها تعيد ممارسة الكتابة، رغم أن ما كتبتة ثانية كما قالت: (مختلف عما كتبتة قبلاً)، فلعل الأولى طبعٌ والثانية صنعة ولا ندرى أيها أكثر إبداعاً؛ فالإبداع قد يخلق أحدهما أو كلاهما.

٤,٣ قدرة ملقي النص في إدراك أبعاد المتلقي (ثقافياً واجتماعياً ونفسياً) والقدرة على خطابه وفق مستواه: فالنص يقع بين قدرتين، قدرة الملقى للنص على إلقاء خطاب مقنع مؤثر، وقدرة المتلقي على تلقي حمولة الخطاب واستيعابها، ثم قدرة هذا الخطاب على التأثير في المتلقي ونقله من حالة إلى أخرى، وهذا التغيير هو غاية السرد. فقدرة الذات المبدعة للنص تتجلى في محاولة تفكيك مفهوم رمزي مركب في

الواقع لتعبد صياغته لغوياً في النص؛ أما قدرة المتلقي فتتمثل في محاولة تفكيك النص اللغوي وتأثره به، ليُعيد به رسم واقعه من جديد وفق قيم جديدة؛ وبهذا يصل النص إلى مقاصده؛ فهل حققت استراتيجيات الحجاج الغاية المنشودة؟

أسست الساردة نصها قبل إنجازها على متلقٍ متخيَّل؛ وبعد الإنجاز انتقل الخطاب من المخاطب المتخيَّل إلى المخاطب الواقعي (المودن، ٢٠١٤: ٢٨٥). ومما يدل على واقعية الخطاب أن هوية المخاطب وطبقته واضحة عند منتج النص، من حيث ثقافته وفكره وقدرته العقلية واللغوية وذخيرته الثقافية وانتماؤه الاجتماعي؛ فالساردة تعلم الشريحة التي توجه إليها خطابها.

كما ارتفعت الساردة -في مستوى خطابها- عن مستوى المتلقي (خصوصاً عندما كسرت الإطار المعهود لقصة سندريلا) فتمكنت من قضيتها فكرياً، وعبرت عنها بسلاسة ووضوح، فاخترقت بذلك عقل المتلقي من المداخل التي يعرف إلى مداخل جديدة لا يعرفها، فيسرت عليه التلقي؛ إذ ألبست المعنى البعيد ثوب القريب مستخدمة الخيال والتجسيد واستراتيجيات الإبلاغ والاستفهامات المتلاحقة؛ مما جعل المتلقي يتلقاها دون عناء أو غموض أو تكلف، فتلك وسائل وأدوات أسهمت في بلاغة السرد وإقناعه.

٥,٣ الكفاية الإنجازية: وهي كفاية الملقى في تحويل النص اللفظي إلى فعل لغوي معقد يجعل منه نصاً مقبولاً للتلقي؛ فيتفاعل فيه المتلقي مع القصة، بل قد تحوله إلى قوة واقعية مؤثرة. وستناول -في كفاية الإنجاز- المسائل التالية:

١- عنوان المجموعة (حفلة شاي في قصر سندريلا).

٢- (سندريلا) الاستفتاح والتمن والغلق.

٣- فضاء النص وفيه: الرسوم والخطوط والألوان والفواصل، (التشكيل البصري).

١,٥,٣ عنوان المجموعة

«العنوان: وهو مرجع يتضمن بداخله العلامة والرمز وتكثيف المعنى، بحيث يحاول المؤلف أن يثبت فيه قصده برمته كلياً أو جزئياً؛ إنه النواة المتحركة التي خاط

المؤلف عليها نسيج النص»، (حليفي، ٢٠٠٥: ١٢).

والعنوان في هذه القصة جاء في جملة طويلة (حفلة شاي في قصر سندريلا) ويتكون من جملة اسمية، الخبر فيها شبه جملة تتكون من الجار والمجرور؛ فالمبتدأ وما أُضيف إليه عنوان عام، والخبر - شبه الجملة - حدد فضاء الجملة الأولى، وهو فضاء مكاني متخيل هو (قصر سندريلا).

والعنوان بصورته هذه مثير للجدل والاستغراب؛ فالمقام الذي تقتضيه الثقافة الشعبية لهذه القصة لا يتسق مع عنوانها إطلاقاً؛ مما رفع من كفايته الإعلامية والتناص به فاستحثت الساردة بهذا العنوان دهشة المتلقي؛ ليسهم في فك شفرته وفهم مغزاه، ويفتح آفاق التأويل المؤجل، وهو كفيل باستحضار الذخيرة السردية والتاريخية لأبطالها لتحقيق نوع من التجانس والتوازي بين الحكاية التاريخية والحكاية المتولدة منها؛ ليتضافر معاً في خيط سردي واحد؛ حيث تخضع ههنا قصة سندريلا القديمة لتطويع معرفي جديد يتمثل في إعادة تدوير عنصر السرد فيها؛ لتوظيفها لغايات أخرى.

ف (حفلة شاي) هي المدخل إلى قصص المجموعة قام على خيال وهو توجيه دعوة أبطال قصصها لحفلة شاي في قصر سندريلا بحضورها، فهي السارد العليم الذي يحمله الشغف فيبدأ بطرح أسئلة عليهم، فيتصدر هو للإجابة عن بعض تلك الأسئلة ويبقى بعضها مفتوحاً يحفز المتلقي على الإجابة عنها وفق توقعه أو رغبته؛ وبهذا يصبح المتلقي أيضاً شريكاً في هذا التواصل السردية؛ إذ تركت له هامشاً للإجابة. أما أبطال حفلة الشاي فأولهم: (سندريلا)، وستكون حفلة الشاي في قصرها، ومعها بيتر بان، وراونزل، وليلى الحمراء، وعلاء الدين، والأميرة، وحنة الفول، وأليس، وبياض الثلج؛ فقد أفردت لكل واحد من هؤلاء حديثاً خاصاً به.

٢,٥,٣ سندريلا (الاستفتاح والمتن والغلق)

تخرج الساردة هنا من القصد إلى الإيجاد والتنظيم؛ إذ افتتحت قصتها هذه بنص من قصة سندريلا يمثل العقدة فيها (وإذ بدقائق معدودة تفصلها عن الثانية عشرة أرادت سندريلا الخروج فوراً فركضت مسرعة إلى بيتها وأثناء جريها تعثرت ووقعت

منها فردة حذائها البلوري)، (حفلة شاي، ١٤).

ثم أردفت الساردة هذا النص ببناء سندريلا: (سندريلا... سندريلا، افتحي الباب، أنا صديقة قديمة أقف على عتبة قصرك، أو ربما قصتك منذ أن كنت صغيرة)، (السابق)؛ حيث جاء التناص قائماً على قلب ترتيب القصة والبدء بعقدتها.

إن الخطاب التقديمي للقصة كان مشتركاً غيرتاً جاء في صورة حوار واستجواب، فاجتمع فيه الذاتي مع الغيري؛ لإنجاز حوار مشترك، استخدمت فيه الساردة الخيال، وقدرتها على المتح المبدع من التراث القصصي العالمي.

يدل هذا الاستفتاح الطلبي المبدوء بالنداء المكرر على شدة استحضار الساردة لشخص قصتها، فهي قد اجتمعت مع سندريلا في حفلة الشاي في قصرها، وها هي الساردة قد شرعت بفتح سيل عارم من الأسئلة تطرحها على سندريلا، فلم تقطع عن السؤال منذ البداية حتى النهاية، فبدأت القصة ببناء وختمتها بسؤال؛ لتشبع الشغف والفضول لدى اليافعين الذين تملكهم فضول معرفة التفاصيل؛ مما أحدث تكثيفاً لغوياً وتراكماً عاطفياً في القصة شكّل عامل جذب فيها.

أما المتن: ففيه خلعت الساردة على القصة ثوب الواقع، ونظرة الفتيات المعاصرات لقصة سندريلا التاريخية من منظورهن المعاصر بأسلوب اعتمد على استراتيجيات لغوية متعددة كالنداء والسؤال والتكرار والجمل القصيرة المتوازية؛ فكانت هذه الوسائل اللغوية الانفعالية بتكثيفها وتراكمها حاملة للقصد، ولعل أبرز القضايا الموضوعية التي طرحتها:

١- إن الزواج ينجح بالحب وتقدير الاختلاف ولا يلزمه التكافؤ، والساردة ههنا تريد إثارة الشك حول قيمة تناولتها القصة الشعبية تتضح في هذا التقابل بين (الأمير والفتاة الفقيرة)؛ فهي لا تؤمن بتلك النظرة للزواج التي تقوم على الطبقة (حين تزوجت ألم تشعرني أنت أو يشعر هو بالفارق... ماذا لو تزوجت من الطباخ؟ أو من سائق العربة...) (حفلة شاي: ١٥).

٢- قيمة الفستان والحذاء لدى فتيات اليوم؛ فقد تغيرت رموز الجمال وقيمه عندهن، فما يهمهن اليوم ليس الفستان؛ فقد برزت ملابس أخرى قللت من أهميته

وسحره لديهن؛ كما أن اهتماماتهن أصبحت تنصب على النجاح والطموح ووضوح الرؤية والأهداف (هل تعلمين أن هذه المواصفات الآن لا تمثل معايير الأناقة، كما لم تعد هي المواصفات الوحيدة التي يمكن إطلاقها على امرأة ناجحة أو فتاة طموحة) (السابق: ١٦).

والكاتبة بهذا التصور تزرع قيمة مضادة لدى الفتيات، مفادها أن المرأة إنسان لا يحكمها شكلها فقط، وفي المقابل تنزع قيمة أخرى حاولت أن ترعرعها القصة القديمة هي أن جمال المرأة هو المنفذ الذي ترى منه الفتاة عوالم جديدة، وهي بذلك تدحض تصورًا مغلوطنًا متوارثًا عنها.

٣- إن الشعور بالضعف والقهر والحرمان والفقر وما تمر به الفتاة من ظروف سيئة يجعلها تتعلق بأستار قصة سندريلا؛ فهي رمز للأمل والخيال الجميل الذي يخفف من وطأة الظلم والبؤس والقهر.

٤- إن قيم (العفو والتسامح والصفح) قيمٌ سامية للإنسان سعيًا منه إلى العيش بسلام وسكينة؛ فليس هناك شر مطلق؛ فما نراه اليوم شرًا قد يكون مفتاحًا لخير قادم؛ فموت أم سندريلا شرٌّ، وزوجة أبيها شر؛ إلا أنهما فتحا لها أبوابًا من الخير!! فمن رحم الشر قد يولد الخير، والعبرة بالخواتيم، فلا قنوط ولا يأس، ولا ضغينة ولا بغضاء.

٥- إن الخيال في حياة الفتيات اليافعات متنفس لهن من واقعهن فمن عوالمه يبنين عوالم جديدة بلا رقيب ولا حسيب، وهذا موطن من مواطن الإبداع في القصة الشعبية، وتلك الأسئلة المفتوحة في القصة هي فجوات نصية تعين على تشغيل الخلفيات المعرفية في عقل المتلقي؛ فيجري خلف خياله في ساحة الحكيم.

كل تلك المحاور أدارتها الساردة من خلال منظور سردي قائم على حشد من الأسئلة المفتوحة والتوقعات المتعددة؛ فخلقت من القصة قصصًا أخرى جعلت المتلقي لها شريكًا في فعل الإنجاز بالإجابة التي يصوغها عقله عن كل سؤال مطروح؛ مما جعل لكل متلقٍ قصته الخاصة به.

أما الغلق فجاء بسؤال لم تطرحه القصة التاريخية؛ إذ تقول الساردة: (بقي سؤال

واحد: هل صحيح أن ساعات قصركم لا يوجد فيها الرقم ١٢)، (حفلة شاي: ٢٣)، وكأن الساردة قد حكمت بالإعدام على هذا الرقم الذي أجرم وقطع على سندريلا سعادتها مع الأمير!! وهذا يؤكد أن السؤال هو مطية للسرد عند الساردة، فقد افتتحت القصة بسؤال، وختمت بسؤال لغرض جلي؛ والغاية إثارة المتلقي وفتح أفق انتظاره على ضفاف أخرى للقصة، ورغم قصر سؤال الغلق فقد حدث فيه تناص طريف من خلال المزج والتهجين بين نصين؛ قصتها وقصة سندريلا، فقصة سندريلا وقفت في السرد على الساعة (١٢)، ثم جاءت الساردة بتداع خلاق منها وعاقبت الرقم؛ حيث اختلطت مشاعرها مع مشاعر سندريلا في هذا الموقف، وتعاطفت معها؛ لذا قررت أن تعاقبه نيابةً عنها بأن حذفت من ساعات قصر سندريلا رقم (١٢)!! والقصة بهذا الغلق جعلت المتلقي في حالة دهشة أوقعته في ذلك حيرة السؤال وجمال التناص. ويبدو أن الساردة في هذا السؤال غير المتوقع تريد أن تجعل المتلقي يكمل قصة سندريلا؛ فهي رغم قدمها واكتمال أحداثها ما زالت تثير كثيراً من التساؤلات المفتوحة التي لا تنتهي.

مما سبق نجد أن الساردة جعلت قصة سندريلا تعج في فوضى من الأسئلة التي بعثرت تماسكها التاريخي في ذهن المتلقي؛ لتجعله مؤهلاً لاستكمال السرد في أحداث ما زالت نطفاً في مخيلته، فبعد هذا الطرح جعلت عقل المتلقي خصباً؛ لينتج كثيراً من قصص سندريلا التي لم تولد بعد، بقصد إثراء مخيلته، وحفزها على التوليد والتناسل.

٣,٥,٣ سيميائية الصورة في قصة (حفلة شاي في قصر سندريلا):

إن الغلاف وحده كاف لجعل المتلقي يتهياً للقصة؛ فهناك كثير من الأكواب المتراكمة التي تنبئ عن كثير من الحكمي المتراكم، وهذه الأكواب تقودك إلى الجزم بتعدد القصص والشخوص وكثرة الحكمي. أما الكوب فقد جاء على هيئة كوب تقليدي عتيق؛ فلعل ذلك يرجع إلى ارتباط القصص بالتراث العالمي القديم، فهي قصص من الموروث الشعبي تتداولها كل الأمم وترويها كل الحضارات بفارق يسير، ويسيطر الكوب على غلاف المجموعة وعلى مقدمة قصة سندريلا، فهو بمنزلة العلامة الكبرى لإقامة الحفلة.

جاءت خطوط القصة بخط مقاس ١٤، وهو خط صغير يتناسب مع حجم قطع

القصة التي جاءت بنصف ورقة A4؛ حيث اعتنت كاتبها بإخراجها إخراجاً أنيقاً عملت فيه على استغلال فضاء النص برسوم وصور وخطوط متنوعة، حاولت فيها أن تستغل هذا الفضاء في ترسيخ مقاصدها؛ فقد احتوت المجموعة على عشر قصص فيها عشرة أبطال شعبيين تجمعهم حفلة الشاي، وفوق ذلك الركام من الأطباق يقف طير هدهد يغلب عليه اللون الأزرق، هذا اللون الذي يدل على الثقة بالنفس والسلطة والسيطرة؛ ليسهم اللون مع الكلمة في زرع بذور تلك النفس الخلاقة عند الطفل. أما الهدهد فلعله رمز لـ (منطق الطير) وهو مستوحى من الأدب الرمزي القديم وما تحمله هذه القصة التقليدية من مغزى فلسفي يدور حول رحلة الإنسان لاستكشاف الوجود، والبحث عن الحقيقة، تلك الضالة المنشودة التي يتزعمها الهدهد؛ وهو أحد أهداف الساردة في قصصها خصوصاً أن هذا المنظور الفلسفي له امتداده في قصة النبي سليمان (عليه السلام) مع طير الهدهد، الذي بقي هو الهادي والمرشد والدليل في الثقافة العربية الإسلامية.

ثم كان هناك صفحة أخرى مستقلة كفضاء واسع لعنوان القصة (حفلة شاي في قصر سندريلا)، وجعلت فيها صورة صغيرة للهدهد يحمل فتلة شاي ليعلن عن قرب تدشين الحفلة؛ وتتخلل صفحات القصة المدروسة -في بدايتها- صور زاهية لأدوات الشاي؛ من أباريق وملاعق وأكواب وصحون، هذا التكثيف للصورة حمل دلالات اجتماعية عضدت الحرف والكلمة فأسهم في بلاغة الحجاج في القصة، كما جعلت الساردة صفحة ثالثة مستقلة للقصة الأولى من قصص المجموعة وهي (سندريلا) -موطن البحث- حيث كتبت العنوان بصورة غير اعتيادية؛ إذ لم يأت بالعرض -كالمعتاد- بل كُتِبَ بالطول بخط صغير في أعلى الصفحة، وهذه التقنية الجديدة في الكتابة الطولية لعلها إيجاء يعبر عن التحوير الذي أحدثته الساردة في قصة سندريلا؛ إذ قلبتها رأساً على عقب، فجاءت على غير ما عهدته الناس فيها، ثم استغلت فضاء النص بصورة كبيرة لكوب شاي أخضر لتعبر عن السلام والطمأنينة؛ وفي الكوب تتدلى فتلة شاي لتعبر عن صورة مكون الشاي الذي يسود في المجتمع الذي تنتمي إليه الساردة من منظور تداولي، ثم كتبت بجانبه عبارة صغيرة ركزت فيها على عقدة القصة ومفصل أحداثها وهي الساعة الثانية عشرة.

ثم في الصفحة التالية وفي مطلع القصة وجهة الساردة نداء لسندريلا تعرف به نفسها وتطلب منها أن تفتح الباب؛ بعدها نواجه فضاءً فسيحاً يشكل فراغاً حتى آخر الصفحة يحمل صورة زاهية للطير وآنية أخرى من أواني حفلة الشاي؛ هذا الفراغ - كما أراه - يمثل حالة الانتظار للقاء المرتقب (حفلة شاي: ١٤).

وفي الصفحة نفسها جاءت الأسطر فيها قصيرة والعبارات قليلة، بخلاف الصفحة الثالثة التي استُغل فيها كامل فضاء النص طويلاً وعرضاً، فالسطور الطويلة تفيد فضائياً التعميم، أما الأسطر القصيرة فتفيد التخصيص (محمد مفتاح، ١٩٩٠: ١٠٧) كذلك أن صفحات الكتابة لم تأت على نسق واحد؛ فبعض الصفحات كانت مسودة بالأسطر المتتالية والطويلة التي أرى أنها كانت سبباً في ضيق مجال فضاء النص بسبب صغر الخط ورصف أسطره؛ مما قد يُشعر القارئ، وهو يسير في ردهات النص، بضيق مساحة السرد الذي قد يعيق التلقي، بخلاف بعض الصفحات التي جاءت الكتابة فيها بعمود قصير في وسطها. هذه التقنيات البصرية المتنوعة جعلت المتلقي يسيح في مساحات متنوعة من فضاء الكتابة؛ حيث أسهمت في تدفق السرد وتنوع بيئاته، كما استخدمت الساردة تقنية تسويد الخط عند المحطات الهامة في القصة للربط بين البصر والبصيرة أو العين والإدراك؛ فأدى ذلك إلى تنوع الفضاء النصي.

وفي منتصف القصة تترك الساردة مساحة صفحتين متقابلتين للوحة فنية جميلة لسندريلا بفسطانها الأزرق وتاجها وقططها وفترانها واليقطينة التي كانت منعطفاً مهمماً في القصة الشعبية (المصدر السابق: ١٤)، فكانت هذه الصورة الكاملة لسندريلا، وبعد مرحلة من الحكيم حاضرة أمام عيني القارئ مما هياً للخيال أن يصبح حقيقة؛ فأسهم ذلك في تكثيف السرد وتنوعه وواقعيته. وكانت آخر صورة في قصة سندريلا هي عقارب ساعة - دون هيكل الساعة - تقف عند الساعة الثانية عشرة إلا عشر دقائق ليلاً، وهو الموعد الذي ضربته الفئران لسندريلا حتى تعود إلى البيت قبل زوال السحر؛ فعمل هذه الصورة كانت مفصلاً معنوياً مهماً في القصة جاءت لتعضد هذا الحدث فيها.

مما سبق نجد أن الخط والحجم والصورة واللون وحتى الفراغ أسهمت جميعها في مخاطبة المتلقي؛ وشاركت ذلك كله برفع كفاية حجاجية الصورة، ثم الوصول

بالحكي إلى غايته. هذا الفضاء النصي شكل فناً بصرياً وقرآناً تصويرية، عَضدت دلالة الكلمة ورفعت من إعلامية النص وبلاغة الإقناع دون مبالغة فيها (عبد الرحمن، ٢٠٠٨: ٤٠).

فللعين حديث (بنكراد، ٢٠٠٦: ٢٧): «لأن الصورة تستوطن العين لاستنطاق الطاقة الكامنة في الخيال باستغلال اللاشعور عند المتلقي؛ لتنفذ به إلى عالم سحري خلاق تجذب فيه النفس راحتها بعيداً عن معاناة الواقع وآلمه، والعين من أكثر مناطق الجسد قدرة على تنويع حضورها، فهي النقطة التي تنتهي عندها خصائص الهوية وفيها تستقر»، هذه الصور التي عجت بها القصة تتناسب مع عقل الطفل وإدراكه وعواطفه فهي نوع من الحجاج البصري الذي يميز قصص الأطفال عن غيرها.

وبجانب التوظيف الأسطوري للحكاية كان ذلك الوابل من الأسئلة التي لا تهدأ، هذا التوظيف يعرض الساردة لامتحان قاس أمام المتلقي بين تلك الأسطورة الشعبية القديمة وبين هذا التعدي على تلك الصورة المترسخة لها عنده، فهل أفلحت الساردة في ذلك؟ إن هذا التناص الذي استثمرته الساردة قام على جسر تدعمه استراتيجيات لغوية ومنطقية تجمع بين الصورة القديمة للسندريلا والتصور الجديد لها؛ فهل بنت الساردة جسرها على قواعد متينة؟ خصوصاً أن القصة تحمل عنوان (سندريلا)، هذا العنوان الذي سيستثير وسيستجمع الذاكرة القرائية للمتلقي، وسيقوم باستحضار الذخيرة السردية للقصة الشعبية التي شغلت الملايين وتبيته لاستقبال الحكاية الجديدة، ثم تحقيق التوازن بين الحكاية الرئيسة والحكاية المولدة منها، يليه المواءمة بين نسقي السرد فيهما، فهل نجحت الساردة في صرف النظر عن الصورة الشعبية لسندريلا إلى الصورة المتولدة عنها؟ وعندما كسرت الإطار القديم للقصة أتفوقت حقاً في خلق إطار جديد لها أم إن ذلك جعل الساردة في مأزق أمام هذين الإطارين؟ وما أثر ذلك في المتلقي وهو يملأ الفجوات النصية من ذخيرته السردية المتراكمة؟ فهل أسهم هذا التناص في استمرارية النص ورفع إعلاميته؟

إن المعبر الذي عبرت منه الساردة من قصة سندريلا التقليدية إلى الصورة الجديدة لها هو (السؤال)، وهو ظاهرة أسلوبية مكثفة في وقتها، ووعاء لغوي أفرغت فيه الساردة أفكارها ومشاعرها، فزاد من وتيرة الحوار بين الطرفين؛ فدفع ذلك المتلقي

عمداً إلى الإسهام فيه؛ مما كثف من مسيرة السرد، وزاد من تدفقها حتى بلغ فيها الحجاج ذروته.

إن هذه الأسئلة المتوالية تثير فضول البنات اليافعات؛ فهي محط اهتمامهن، خصوصاً تلك التي تدور حول الزواج والطبقية والأولاد والتربية والمسؤولية، فتترجم الساردة الحوار في ذلك كله بتقنية السؤال الذي وجهه النص في متوالية سريعة تجعل المتلقي لا ينفك عن السرد، هذه التقنية الحجاجية تتناسب مع ذاك الفضول الشديد الذي يتميز به الطفل خاصة.

٣,٥,٤ القصد في قصة (حفلة شاي في قصر سندريلا):

يمر الكلام بمرحلتين الأولى: ذهنية يحركها الوعي الدلالي والثانية إنجازية، ومن المرحلة الأولى ينتج المعنى والقصد؛ فالقصد يتشكل من اللغة (المعنى) والسياق التركيبي (الدلالة) ومن السياق المقامي؛ فالقصد هو غاية التواصل وليس المعنى ولا الدلالة، لذا فإن قصدية اللغة تعتمد على قصدية العقل فهو الذي يجعل القول قيمة، وعليه أعادت التداولية سلطة اللغة للمتكلم وليس للكلمات؛ لذا يقوم مفهوم القصد بدور مهم فعليه يتوقف نجاح تأويل الكلام بتجاوز الدلالة اللغوية الطبيعية إلى إيضاح الدلالة الضمنية (غير الطبيعية) التي يحملها اللفظ، وعليه فإن القصد نوعان قصد ظاهر إخباري مباشر، وقصد تواصلي مؤول ضمني حيث يتم الانتقال من القصد الاوّل إلى الثاني وفق آليات عديدة أبرزها السياق ومبدأ الملاءمة؛ إذ ينتقل تأويل المعنى من اللسانيات الصرفة إلى التداولية المحضنة (روبول، موشلار ٢٠٢٠) ت بوتكلاي: ٧٢، ٧٣)

فالعمل التواصلي يقوم على القصد، وعليه يقوم الفعل التواصلي على القصد؛ وعليه فإن إنتاج أي خطاب مرهون بمقاصده، فهو الدافع إلى فعل الخطاب ومن أهم دواعي إقناعه؛ إذ تتمثل فيه قدرة الملقى في الربط بينه وبين (اللغة)؛ وبه يستطيع أن يحرك الرسالة التي يرغب أن يوصلها للمتلقي للتأثير عليه؛ وهذا مما يدعو إلى العناية بتحليل المقاصد، ولقد حملت القصة مقاصد عدة، أبرزها:

أ- **التشويق**: تقوم قصة سندريلا على ركنين: الموروث الشعبي للقصة وهو

معلوم، والثاني تغيير بعض مقاصدها إلى مقاصد جديدة تتناسب مع بنات اليوم وهو مجهول، فيجعل ذلك المتلقي يتحفز لاستكمال القصة؛ فهو في حالة تنبؤ بالمقاصد أو قد يستبق في تقديرها ويتوقعها، وقد يحفزها على المشاركة، وكأن ذلك يحمل التعريض بمقاصد الأسطورة الشعبية؛ حيث أصبحت لا تحمل هموم بنات اليوم، (رغم كل ذلك فما زالت تلك القصة متداولة بين الفتيات الصغيرات.. كرمز للأمل و لخيال الجميل...) (حفلة شاي: ١٧) (لكنك ستظنين في القصة كلها تلك الفتاة المقهورة...) (السابق)، وقد يجعل هذا الساردة في مأزق قد تنجح فيه وقد تخفق في بلوغ مرادها، فهي قد كسرت الإطار الموروث للقصة، الذي -رغم قدمه- لا يزال يحتفظ ببريقه وقداسته، وهذا قد يشكل تحدياً آخر أمام الساردة.

ب- التعريض: قامت الساردة من خلال التناص بالتعريض ببعض أحداث القصة الشعبية؛ لتلمح إلى عدم موافقة محتواها لواقع بنات اليوم، ولتحذر من بعض مضامينها التي لا ترغب في أن تنساق لها البنات، فلا ينتظرن السحر أو الحظ؛ ليغير واقعهن المير؛ بل عليهن تغيير واقعهن بأيديهن وعقولهن، ورغم هذه المحاذير أكدت الساردة أن القصة -مع قدمها- ما زالت تحتفظ بسحرها بقولها: (ربما فقط كرمز للأمل والخيال الجميل)، (المصدر السابق: ١٧)؛ فهي تريد أن تحترق الذاكرة الحضارية للمتلقي حول موروث شعبي قديم.

ج- الإسقاط الاجتماعي: حيث استغلت الساردة قصة سندريلا لتسقط عليها من خلال السرد رفضها لتلك القيم البالية التي ما فتئت المرأة تعاني منها؛ وتحاول جاهدة اليوم الانعتاق منها مثل: الضعف والقهر وسطوة الغير عليها، فوجدت -في القصة- خير ملاذ؛ لتعبر منها إلى عقول الفتيات، لتمرر من خلالها رسائل تحثهن فيها على تبديد تلك الصورة بالعلم وملاحقة طموحهن، دون الاهتمام المغرق بالشكليات، فالقصد ههنا هو التأثير على منظومة القيم لدى اليافعات بإضافة قيم جديدة حديثة عليها تتوافق مع عصرهن.

د- الإمتاع: وذلك من خلال التوظيف التاريخي للقصة، وزاد عليه وإبل من الأسئلة التي لا تهدأ، فركب المتلقي موجة السرد إلى جانب الساردة وسندريلا؛ مما حقق بعضاً من الدهشة والمتعة.

- آليات تحقيق القصصية في القصة:

لقد استخدمت الساردة عددًا من الآليات التي أسهمت في تحقيق القصد، ولعل أبرزها:

- العنوان؛ فهو الذي يشكل هوية النص، وقد قام في هذه القصة على الدهشة والتوظيف الجيد للقصة الشعبية، فاحتمل إيجاءات عديدة؛ خصوصًا وأن الساردة لم تغرق في تساؤلاتها؛ بل جاءت مشروعة مما رفع من قدر الإعلامية في القصة.

- التناص وذلك بتوظيف القصص الشعبية العالمية بتحقيق التفاعل بين قصة سندريلا - تلك القصة الشعبية القديمة - وبين ما أدخلته الساردة عليها من تقنيات سردية؛ وقد أسهم مبدأ التعاون النصي في سد عدد من الفجوات فيها، فكان سقوط حذاء سندريلا البلوري هو المنفذ الذي انطلق منه الانفتاح على القصة في قراءة أخرى جديدة لها، قائمة على التناص بفعل الحذف والقلب والتوسيع؛ لتسعى إلى خرق كثير من القيم التي كرستها القصة (الجمال والتكافؤ والطبقية والحظ والشكل)، فكان حضور ذات الساردة بارزًا بما تحمله من توجه نحو هدم القيم القديمة حول المرأة وبناء قيم حديثة حولها، فخرج النص الشعبي القديم إلى نص حديث، ومن الزمن القديم إلى الزمن الحديث، ومن صورة المرأة القديمة إلى صورة المرأة الحديثة صورة، ومن القيم القديمة إلى القيم الجديدة؛ فطغى على النص سرد جديد يلتف حول القصة القديمة ليفند بعض مزاعمها، فأحدثت الساردة بهذا عددًا من التناقضات والفجوات التي اخترقت نسيج القصة المعهود؛ وقد جاء التناص ههنا لترسيخ الغايات التالية:

أولاً: رسخت قصة سندريلا القديمة قيمة الجمال الحسي للبنات، فهي قيمة أنقذت بطلتها من واقعها المرير؛ وهذا ما ترفضه الكاتبة؛ فجعلت البطلة وشعرها الأشقر والفستان الأزرق والكعب العالي ليست هي مواصفات الجمال عند بنات اليوم، كما أن الجمال ليس كفيلاً بخلق حياة سعيدة، وبهذا قلبت الساردة قيمة الجمال التي رسختها القصة، أخذت بعين الاعتبار أنه «لا يمكن حل الاختلاف في الرأي حقًا إذا لم يكن الدفاع عن وجهة النظر التي هي محل النزاع قائمًا على الحجاج، بل فقط على

الباتوس أو الإيتوس، ولا يمكن حله إذا كان الجدل المتقدم من قبل بطل الرواية لا يدعم وجهة النظر التي يتم الدفاع عنها».

(Van Emeren, et al. 2014 :542).

ثانياً: رسخت القصة القديمة أثر الحظ والسحر في تغيير الواقع؛ وهذا ما جعل من الأسطورة أملاً للفتيات الضعيفات والمقهورات، إلا أن هذه الصورة كما تراها الساردة لا تتناسب مع الواقع اليوم رغم كونها ما تزال متنفساً لبعضهن.

ثالثاً: رسخت القصة القديمة دور الخيال في التنفيس عن هموم الإنسان؛ فهو ملاذ آمن يبني فيه الإنسان عالمه الذي يريده، دون سطوة من أحد؛ وهذا ما آمنت به الكاتبة؛ فالخيال والخلق والإبداع ممّا ارتقى بالقصة إلى أن تكون أسطورة عالمية فهي (رمز الأمل والخيال المليل) (حفلة شاي: ١٧).

رابعاً: عززت الساردة فعل التناص بالتوسيع والحذف، أما التوسيع فجاء عند الحديث عن قيم التسامح والعفو والمغفرة لدى الإنسان، فهي قيم تجعله يعيش سعيداً هانئاً؛ وقد تمثلت في عفو سندريلا عن زوجة أبيها وأختيها، ثم دعوتهن للعيش معها في القصر؛ مما جعل الساردة تطلب من سندريلا دعوتهن لحفلة الشاي!

أما التناص القائم على الحذف فيتضح في إعراضها عن الحديث عن الأمير والأب، وعذاباتهما مع زوجة الأب إلا بما يستدعي السرد منه، وهي بهذا الإعراض تريد أن تركز على الجانب السعيد من الأحداث أو ما يناسب غاياتها السردية، خصوصاً أنها حاضرة في جميع منعطفات السرد.

أ- استغلال الفضاء النصي باللون والخط والصورة والفراغات - كما سبق طرحه - فشكلت نوعاً من البلاغة البصرية التي قامت أيضاً في رفع إعلامية النص.

ب- الفجوات النصية؛ فالقصة تحتوي على طائفة منها تجعل المتلقي يسهم في ملئها؛ فتلك الأسئلة المفتوحة في طرفتها تثيره وتجعله يتفاعل مع النص ويسهم ذلك في توالي السرد وانفتاحه على التجارب الكونية المشتركة، إن كثرة السؤال حالة فطرية نفسية يمر بها الطفل تنبع من غريزة حب الاستطلاع كما أنها تنمي لديه قوة الملاحظة

والانتباه وتقوي مداركه، لذا يعبر السؤال في قصص الأطفال عن استراتيجية حجاجية تشبع حالة عقلية نشطة لديهم وهذا مما يميز حجج الأطفال عن الكبار.

ج- أسهمت التقنيات اللغوية في رفع الكفاية الإعلامية في القصة لتصل إلى مقاصدها، ولعل أبرزها: (السؤال والجواب، والخرائط الدلالية من خلال الحقل ومجالاتها، التكرار، والتضاد، والتراكم اللفظي والمعنوي، وبلاغة التوازي في الجمل القصيرة)، ويلاحظ في القصة -رغم ارتكازها على الخيال- قلة الصور البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية؛ ولعل السبب هو المرحلة العمرية المستهدفة، وكذلك اعتمادها في حجاجها على تقنيات أخرى تتناسب مع إدراك الطفل وعواطفه؛ لذا جاء أسلوبها واضحاً دون تلوين بلاغي أو انزياح دلالي عميق.

؛- تقنيات الحجاج في القصة:

يعدّ السرد آلية من آليات الاستدلال والبرهنة؛ لذلك له علاقة وطيدة بالحجاج؛ وقد أولى «كاسيو» (Lo Cascio Lo Cascio 1995, 2003, 2009) اهتماماً خاصاً للعلاقة بينهما، مؤكداً أن هذين النوعين من الخطاب يشتركان في العديد من النقاط؛ فوفقاً له «فهما متقاربان جداً، مع أن السرد يقدم الأحداث والمواقف على قدر من اليقين، في حين يقدم الحجاج الأحداث والمواقف على قدر الإمكان؛ لذلك يقترح إقامة صلة، حتى ولو كانت تخمينية، بين «الحدث» و«الادعاء» من ناحية و«الحالة» أو (الحدث) و«الحجة» أو (التبرير) من جهة ثانية (Frans Eemeren, et al. 2014:242)

كما يعتبر عمل فيشر (Fisher. W. R, 1987) حول السرد مثالا على هذا الترابط بين هذين الشكلين الخطابيين. ف«قد اهتم فيشر بتوضيح معنى «الأسباب الوجيهة» باعتبارها المعادل البلاغي للاستقصاء الرسمي، ووجد أن الأسباب الوجيهة في الاستدلال غالباً ما تأخذ شكل السرد، بل إنه ذهب إلى حد الادعاء بأن سرد القصص يشكل جانباً من جوانب الحالة الإنسانية». (Ibid, p.247)

ويقوم الحجاج في هذه القصة على عدد من التقنيات أبرزها الحجاج بالمشاعر

والأهواء، والقيم والفكر، والثقافة والمعرفة، والوسائل اللغوية، وستتناولها بالتفصيل:

١،٤ الحجاج بالانفعالات والنوازع (الباتوس):

إن غاية الحجاج بالعواطف وإثارة الانفعالات هي استمالة المتلقي ودفعه إلى سلوك معين أو رأي أو تركهها، فالحجة فيها لا تقوم على الاستدلال والبرهان العقلي، بل على معرفة ما يحرك ذات المتلقي وعواطفه وكيف يقود الملقى انفعالات المتلقي إلى الأمر الذي يريده؛ وهذا فالانفعالات في الخطاب ليست حليّة لفظية، بل صنعة نفسية يُقاد فيها المتلقي إلى انفعال محدد في موضوع محدد؛ مما يجعله يتخذ موقفاً محدداً في قضية محددة.

إن الباتوس عند أرسطو هو الأثر الانفعالي الذي يحدثه الملقى في المتلقي حتى يهيئه نفسياً ليتقبل فكرته ويقنع برأيه (عبيد، ٢٠١٠: ٤ / ٦٨).

ويعرف أرسطو الانفعالات بأنها: «التغيرات التي تجعل الناس يغيرون رأيهم فيما يتعلق بأحكامهم... وكل واحد منها يجب أن ينقسم إلى ثلاثة أقسام، فمثلاً في حالة الغضب: الحالة النفسية التي تجعل الناس غاضبين، والأشخاص الذين يغضب عليهم عادة، والظروف التي ينشأ عنها الغضب» (بدوي، ٢٠١١: ٣٠).

وقد عزا أرسطو جانباً من قوة الكلمة ونجاحتها إلى الانفعالات والعواطف؛ لذا تبرز أهميتها في الحجاج؛ حيث تنهض بدورها الفاعل في الإقناع (عبيد، ٢٠١٠: ٤ / ٦٨).

ومن ثم فهناك علاقة مؤكدة بين الاستدلال والحجاج، بحسب روبرت بنتو (Robert Bento, 2001) الذي يرى «أن الحجاج دعوات للاستدلال»، وإن ما يمكن استخلاصه من مناقشات أخرى أجراها بلير (Blair, 2012)، ورغم أنه من الممكن في كثير من الأحيان أن نتحول دون أي ضرر من الحديث عن الاستدلالات إلى الحديث عن الحجاج، فإن هذا يعني أنه «لا ينبغي الخلط بين الاثنين». وكما يلاحظ فإن الاستدلال هو أحد أنواع التبرير المنطقي». (انظر بتوسع: 19: Olmos 2017).

لذا يُعتبر الباتوس رافداً أساسياً من روافد العملية الحجاجية الإقناعية، فالتهيئة

النفسية للمتلقي تجعله يتماهى مع القضية فيذعن لها. وتتحقق هذه الإثارة النفسية بخطاب عاطفي يستند إلى الوجدان ويخاطب القلب والأهواء أكثر من مخاطبة العقل (قادا، ٢٠١٥: ٣٢٢). وهذا ما يؤكد محمد العمري؛ إذ يرى أن الملقى في خطابه عند استخدامه للعواطف يقوم على المشاركة الوجدانية مع المتلقي، فهو بذلك مثل الشاعر الذي يعتمد في شعره على إثارة العواطف، فالاستمالة العاطفية فيه مقدمة على الحجة العقلية في الغالب؛ إذ يسعى الخطيب إلى مشاركة الآخرين بما يجده من شعور. (العمري، ٢٠٠٢: ٦٧).

إن اعتماد الحجاج بـ(الباتوس) على إثارة العواطف والانفعالات إنما جاء ليثبت ما أقره علماء الأنثروبولوجيا وعلم النفس والاجتماع والفلاسفة من أن الناس يتأثرون بالمشاعر كما يتأثرون بالحجج العقلية؛ وحينها يخضع القلب والوجدان لها فيتبعهما العقل مدعماً لهما مستجيباً. (لمزيد من التوسع في هذا الصدد ينظر: (Kearney, R. 2007).

ويتمثل ذلك واقعاً في قصة (حفلة شاي في قصر سندريلا) من خلال شبكة كثيفة من المفردات والتراكيب المستقاة من حقل المشاعر والانفعالات، التي لا تخلو من أن تكون إيجابية أو سلبية، إلا أن المشاعر الإيجابية هي الطاغية على القصة وجاءت في المفردات التالية: (الحب، الحظ، الأمل، السعادة، الإعجاب، العطف، السعيد، الحلم، الرقة)، وكذلك في بعض من التراكيب الإيجابية المبثوثة في القصة وهي (الخيال الجميل، نوتات موسيقية، القدر السعيد، حفلة شاي جميلة، سعيدة جداً، الفتاة الطيبة، رمز للرقّة والأثوثة والجمال)، أما المشاعر السلبية فهي قليلة وجاءت في المفردات التالية (الغضب، المقهورة، الخوف، الغيرة، المسكينة، الشريرة). لقد حققت هذه المشاعر والانفعالات غاياتها في الحجاج؛ بل كانت هي العناصر التي اتكأت عليها القصة من إثارة وتشويق، وجعلت المتلقي يتشبث بها ويذعن لغاياتها.

ولا يخفى أن قصة (سندريلا) قصة شعبية لها نوع خاص من الباتوس المكثف؛ مما جعل منها أسطورة عالمية، حيث الانفعالات فيها في ذروتها بين الحزن العميق على سندريلا المظلومة المقهورة، وبين الفرح الشديد بما آلت إليه حالها بعد زواجها من الأمير. وغير خاف علينا ما لهذه الانفعالات من تأثير في المتلقي الذي يتفاعل إيجاباً

مع هذا النموذج من القصص وينفعل معها؛ فهي تجعله يتعرض لتنقية شحنة من المشاعر السلبية لديه وتفريغها، فيسهل ذلك في التخفيف على كاهله بالتححرر منها، فهي «تحقق الارتياح لدرجة أنها تجمع الخيال التعاطفي مع إدراك معين لسبب المعاناة وسياقها، ومن ثم تصبح عدسة أوسع لمراجعة الألم الذي لا يطاق» (Kearney, R. 2007).

إلا أن القصة المولدة جعلت الانفعالات السعيدة طاغية عليها بعد تجاهل المؤلم من القصة الأصلية، فنجد الخيال الجميل المزوج بالمشاعر السعيدة والمواقف المبهجة التي تتناسب مع خيلة الفتيات الصغيرات فتشعرهن بالفرح والأنس؛ ففيها زواج الفقيرة من أمير، وحياة القصور وما يتبعها من رفاهية كالملابس الجميلة والحذاء البلوري الشفاف الذي شكل بؤرة القصة، وكذلك التاج وجمال سندريلا، والأحلام الجميلة، والأصدقاء، والنهايات السعيدة، فتلك كلها نشرت إيتوس السعادة في القصة، علماً أن بعض مشاهد هذا الإيتوس لم تتدعه الساردة؛ بل هو تناص من القصة الأصل ومحفور في الذاكرة الجماعية فهي مشاهد مترسخة في ذهن الفتيات؛ ولكن استثمار الساردة لها وتكثيفها جعل للحجاج بها داخل السرد سلطة تخترق ذهن المتلقي وتقنعه بلا عوائق.

ويعتمد الحجاج الفعّال على إثارة المتلقي وهز وجدانه؛ وإقناعه بقضيته، ولعل اختيار الساردة لقصة السندريلا أول قصة في مجموعتها يؤكد درايتها بالبعد النفسي والاجتماعي للفئة التي تخاطبها وهي فئة اليافعين الذين تشكل سندريلا مساحة كبيرة من خيالهم؛ لذا اعتمدت في تقنيات الحجاجية على استثارة انفعالاتهم السعيدة، وركزت على ما يلي:

أ- مناقشة خيال المتلقي: وهي من أقوى وسائل استمالة عواطفه ومن ثم إقناعه؛ إذ افتتحت الساردة القصة بحوار افتراضي بينها وبين سندريلا، فالخيال ههنا حيلة خلاقة تفتح الباب على مصراعيه للمتلقي اليافع أن يلاحق خياله وألا يستسلم لواقعه، وأن يخلق له عالماً من خياله يبني فيه آماله وأحلامه، عالماً بعيداً مغلقاً آمناً لا يستطيع أن يلج إليه أحد ويفسد ما فيه، وكأنها تدرّب هذا المتلقي اليافع على مهارة التخيل التي تمنحه حياة أجمل يهرب فيها من آلامه أو همومه، أو يرتفع بها إلى أحلامه

وتطلعاته؛ مدركة قدرة التخيل على تغيير الواقع؛ ليعبر منه إلى عالم أكثر جمالاً وبهاءً، وذلك بحيلة لا شعورية وبمنهج خلاق، وقد اعتمدت الساردة فيها على أسلوب الإثارة والتشويق، وجعلت المتلقي شريكاً ثالثاً لهما، باستخدام إستراتيجية السؤال؛ فتلك الأسئلة المطروحة التي تركت بلا إجابات ستجعل - بلا شك - عقل المتلقي يصل ويجول لبحث لها عن إجابة؛ بل إن قوة الخيال هنا أهم من المعرفة التي سيجنيتها المتلقي لو أجيب عنها.

لقد أخذت الساردة من قصة سندريلا مطية تجوب بها عقل المتلقي اليافع؛ فكانت أفكارها بذوراً تُرمى في أرض بكر خصبة؛ إذ استخدمت تقنيات حجاجية تعتمد على إثارة انفعالات المتلقي وعواطفه بتمثل أسطورة شعبية تدعو إلى التفاؤل والسعادة والفرح، وقوامها الإبداع والخيال؛ مما يهيئ متلقي القصة للتفاعل إيجابياً مع مضامينها. والخيال إستراتيجية حجاجية لها غاياتها وتُميّز خطاب الأطفال عن الكبار بطغيانها وأهميتها فهي إحدى مكونات شخصية الطفل ووسيلة للتعلم والنمو والتطور، وأيضاً وسيلة علاجية لآلامه وأحزانه وعثراته.

إن حفلة الشاي التي أقامتها الساردة لأبطال قصصها جعلت المتلقي في موطن يصطدم فيه الخيال بالواقع؛ فالخيال والدهشة اللذان أثارتهما القصة يجعلاننا نقبل أشياء غير منطقية في أصلها أو في زمانها؛ لذا اتخذتها الساردة موضع حجاج وموطن أسئلة لا تنتهي، وهي أسئلة افتراضية كثيرة حاولت أن تحيب الساردة عن بعضها، وتركت بعضها مفتوحاً. فكان حجم الإثارة المنطقية - التي تطرقه الأسئلة - يكاد يضاهي حجم الخيال والدهشة اللذين جاءت بهما القصة؛ فأحدث المزج بينهما صداماً بين المنطق والخيال، وبين الحلم والواقع، فالسؤال والخيال ركيزتان من ركائز الحجاج في خطاب الطفل خاصة القصة.

ب- إثارة المشاعر: وذلك من خلال شبكة واسعة من مفردات هذا الحقل، وهي وسيلة استخدمتها الكاتبة لإثارة انفعالات المتلقي توزعت على مستوى القصة فجاءت في المفردات التالية: (الغضب، لطيف، قلوب، نوتات موسيقية، ممل، الأنوثة والجمال، الأمل، الخيال الجميل، السحر، المقهورة، الحظ، الحب، السحر، رغيدة، المسكينة، يخاف، أبطال، رقيقة، الامتنان، شيريتين، الغيرة، العطف، التسامح، تثير

الإعجاب، السعيد، جميلة، سعيدة)، فقد وظفت الكاتبة هذه الألفاظ للاهتمام إلى نوازع المتلقي، فكانت تقنية حجاجية فاعلة ومؤثرة.

إن هذا النوع من الحجاج الذي سقناه تحفيزي، «يخبرنا عن العواطف، أو القيم أو الرغبات أو الدوافع التي يمكن أن تجعل الادعاء مقبولاً للشخص الذي يتم توجيه الحججة إليه، في حجة موثوقة، تقول شيئاً عن موثوقية المصدر الذي تأتي منه المعلومات» (van Emmeren, et al. 2014:236).

لذلك لا مناص من تتبع الحجاج بالقيم كما تحضر في القصة قيد الدرس.

٢،٤ الحجاج بالقيم (الإيتوس)

إن سارد القصة عندما يحكي الأحداث ويسردها له غاياته يمزجها بالقيم والأخلاق التي يريد أن يتبناها المتلقي، والهوية التي ينبغي أن تشكلها القصة لديه؛ لذا فالإيتوس مفهوم ذو طابع تفاعلي، كما أنه مرتبط بفعل التلفظ فقط، رغم أن هناك شكاً في مدى صدق التلفظ وقوة تبنيه الحقيقي للقيم الواردة في خطابه، (مانجينو، ٢٠١٦: ٧٦٦).

يكرس الملقى القصة لغايات عدة أهمها زرع عدد من القيم أو الاتجاهات أو تأكيدها، ولن يفلح في ذلك إلا سارد قادرٌ على أن يصول ويجول في ميادين الحجاج لفظاً ومعنى، من خلال استراتيجيات سديدة تثبت حكمته وبعده الفكري فيها، فهذه أصل من أصول الإقناع، وهي من أهم عناصر الحجاج، وعليها يعتمد الملقى في حمل المتلقي على الإذعان له، من خلال قيم مشتركة يستند إليها، فيستدعيها ويطوعها في حجاجه؛ ليجعل الحكم يتحول من العام المتفق عليه والمقبول إلى الخاص موضع الشك، وهو القضية المطروحة لديه في خطابه؛ فيحمل المتلقي على تغيير توجهه حول القضية ويدفعه إلى تبنيها؛ وهنا تكمن أهمية القيم في الحجاج والإقناع، فهي وسيلة لتسويغ فعل غير مقبول وإقراره بجعل المتلقي يذعن له ويتبناه؛ بل قد يدفعه إلى العمل به!!

ولقد ركزت الكاتبة -من خلال السارد العليم- على عدد من القيم أهمها:

١- **قيمة الصبر والأمل**: فسندريلا تضرب مثلاً للأمل عند كل الفتيات

المقهورات في ثقافات الشعوب كافة؛ ففيها يتجسد الفرح والفرح والحظ والحب، وهي قيم تعني الكثير لدى الفتيات في هذه المرحلة العمرية التي ركزت عليها الكاتبة.

٢- **قيمة الحب بين أفراد الأسرة:** فالبغض والضعينة أفسدا حياة سندريلا، كما تطرقت الساردة إلى قيمة الحب في الحياة الزوجية، فله أثره في تخفيف التفاوت الاجتماعي بين الزوجين، وفي تخفيف حدة اختلاف وجهات النظر، واختلاف نمط الحياة بينها؛ فللحب حظ في تخفيف وطأة ذلك كله.

٣- **القيمة الاجتماعية للمرأة:** وهنا يتضح البعد الفكري للتناسل من خلال التقابل الذي عقدته الساردة بين صورتين للمرأة؛ صورة المرأة الضعيفة المقهورة القليلة الحيلة التي جاءت بها سندريلا، وصورة فتاة اليوم القوية التي تقدر ذاتها.

إن ما تحاول الساردة زرعه من خلال السرد -هذا التقابل السابق- هو توجيه البنات إلى أدوارهن الجديدة في هذا الزمن الذي يختلف عن زمن سندريلا حتى تحفظ المرأة قيمتها وكرامتها؛ وهي قيمة كرسست الساردة لها قلمها في عدد من القصص في (حفلة شاي)، فذلك هم يؤرقها نجحت في أن تبته، والقصد منه تأكيد قيمة جديدة لدى الفتيات حول وعيهن بأدوارهن التي لا بد أن يضطلعن بها في مجتمعاتهن، وهذا القصد حققته في حوارها مع (سندريلا) فجعلت منه مدخلاً قوياً للحديث عن تلك القيمة.

٤- **قيمة التسامح:** وتحظى بأهمية كبيرة عند الساردة، فحاولت أن تغرسها في مواضع كثيرة من القصة، وأن تجعل منها مفتاحاً للنظر في أثرها في حياتنا؛ فهي تمنح فرصة لمن أساءوا وإلينا أن نكونوا صالحين؛ فالإنسان ليس مفطوراً على الشر وحده، فقليل من يولد ويموت وهو عليه؛ فالمسيء يسعده صنفح وعفو من أساء له؛ مما يعينه على إحياء الخيرية التي بداخلة وإعادته إلى فطرته السليمة، وهذا يجعل حياتنا أكثر سعادة، بأن يحول أعداءنا إلى أصدقاء، ونجعل من الخسارة مكسباً (ستدعين زوجة أبيك إلى الحفلة، لا بد أنها عجوز مسكينة الآن وتحتاج إلى العطف والتسامح في آخر حياتها) (حفلة شاي: ٢١).

٥- **قيمة الحكمة:** وتبدو في موضوعات عديدة أشرنا إليها سابقاً، ولعل أوضحها

عندما حاولت الساردة أن تعيد صياغة رؤية سندريلا للشر الذي حل بها؛ من موت من تحب، وظلم ذوي القربى؛ فكل هذه الشرور مهدت إلى الخير الذي فتح لها حياة رغيدة وحظاً سعيداً، فالقيمة -التي تحاول الساردة أن ترسخها لدى المتلقي- هي أنه ليس هناك شر محض، فمناطق الأمور خواتيمها (ستدعين زوجة أيبك إلى الحفلة.. ثم أنها بطريقة أو بأخرى كانت سبباً ومحركاً للأحداث التي قادتك لقدرك السعيد في الحياة) (السابق).

إن الحجاج الأدبي -في خطاب القصة كما يبدو- ليس له أهداف مباشرة كالإخبار والتصديق والتكذيب والإفحام. بل له غايات إنسانية وقيم خلاقة تسعى إلى تصحيح نظرة الطفل إلى نفسه وإلى الآخرين وإلى العالم والحياة، وإلى كل ما يحيط به؛ لتعينه على تحقيق سعادته.

٣،٤ الحجاج بالوسائل اللغوية:

وهي وسائل ترفع من كفاية الخطاب وتقوي من حججه وتدعم القصد؛ خصوصاً أن بعض الاستراتيجيات اللفظية تحقق نوعاً من التطريز الصوتي الذي يرفع من وتيرة الإيقاع؛ مما يحقق نصاً مترابطاً ومؤثراً؛ ومن ثم تسهم هذه الوسائل في بلاغته وقدرته على الإقناع.

وتعد الروابط اللغوية أهم تلك الوسائل فهي «دليل على انتظام العناصر المكونة لعالم ذلك النص، فالروابط التركيبية ووسائل لغوية تنسج الخيوط التي يتوسل بها الفكر في تنظيم عناصر عالم الخطاب عند الباث مركباً، وعند المتقبل مكثفاً» (الزناد، ١٩٩٣: ٦٧)؛ ومن أبرز تلك الروابط الضمائر والإشارات والعطف والاستفهام والنفي والموصولات والمكملات التي تسهم في تماسك النص، والرفع من منسوب حججيتها، وهي ما سنتبعه في (حفلة شاي)؛ لنذكر مواطن الإقناع فيها:

أ- النداء: (سندريلا سندريلا أيتها الفتاة الجميلة)، فهذا أسلوب نداء يقوم على التنبيه وإثارة الاهتمام بمضمون الخطاب؛ ويسترعي إسماع المنادين. لذلك يدرجه هنخفلد ومكنزي Kees Hengeveld and Mackenzie Lachlan «(هنخفلد ومكنزي، ٢٠٠٨)، ضمن الطبقة الاسترعائية Vocative layer من المستوى

العلاقي Relational level للخطاب، التي «تحتضن العبارات اللافتة لانتباه المخاطب إلى نية المتكلم في افتتاح محاورته أو إنهاؤها أو تمطيط الخطاب؛ وتشكل مثل هذه العبارات فئة خاصة من عمليات التفاعل، في بداية جزء من الخطاب، فتعمل على جذب انتباه المتلقي؛ في سياق الخطاب، كما تشير إلى التوجيه المستمر للمتلقي من قبل المتكلم». (K. Hengeveld & L. Mackenzie, 2008: 78).

فافتتاح القصة به يؤكد الاهتمام بالمنادى، ثم إن تكرارها له حيث نادى (سندريلا... سندريلا) مرتين إنما هو تكرار لأهميته؛ لقصد تهويل الأمر، واسترعاء انتباه المتلقي بما يقرأ؛ والحفاظ على استمرارية تلقيه وانتباهه، فأسلوب النداء أسلوب يستدعي إقبال ذهن المتلقي على ما سيلقى عليه؛ للتنويه بالمنادى وتأكيد أهميته، وهو أسلوب حجاجي يتناسب مع عمر الطفل ومداركه.

ب- التكرار:

وهو تشاكل لغوي يلفت الانتباه، ومظهر من مظاهر التماسك النصي الذي يحقق الاستمرارية في النص ويربط الوحدات النصية بعضها ببعض، كما أن سمة التكثيف الدلالي فيه تشد النص وتحبك نسيجه؛ بل إن التكرار قرع مفردات معينة فهو بذلك يحدد بؤرة النص وقضيته الكبرى، كل هذا يرفع من كفاية الحجاج في النص، ويزيد من بلاغة الإقناع فيه، (الحلوة، ١٤٣٣: ٢٤) وقد جاء التكرار في النص في عدة مظاهر:

المظهر الأول: التكرار منفردًا: (سندريلا سندريلا/ افتحي الباب... افتحي الباب/ أهذا باب الدخول أم باب الخروج: التكرار والتضاد/ بداية ونهاية/ ابتدأت انتهت/ من الذي يحدد البداية ومن الذي يقول إن هنا نهاية/ مثلك ومثل).

المظهر الثاني: يتعاضد فيه التكرار مع التضاد: كما في: البنات وبناتك/ كبروا وأكبر/ أخبريني وأخبرني البنات/ نمت أمام موقد... صرت تنامين في قصر/ تزوجت واقرنت/ يملك مزرعة ولا تليق بمزرعة/ الحذاء حذاءك/ مقاس قدم مقاسك رقما ومقاسك لم يكن أرقاما/ أقدام قدم قدمك/ لعل علاقتك بالأمر... لعل/ كل يوم كل يوم/ المواصفات الوحيدة والمواصفات/ الآن أصدقاؤك

أصدقائي/ كبرت وكبروا / سأتعرف عليهم كما تعرفت عليك.

جعلت الساردة من التكرار متعة غايتها منه الترسخ والدعم والتأكيد؛ حيث تستمتع بسررد الأشياء ذاتها، فكان ذلك أشبه بإيقاع صوتي منظم ذي وتيرة عالية، يستجيب لغريزة المحاكاة التي تستمد من الإيقاع جمالها، ومتى انضم للتكرار التوازي أو التضاد تحقق معها عنصرا الجمال والانسجام اللذان هما وسيلتان إيقاعيتان من وسائل الإقناع الصوتي التي تتناسب مع عمر الطفل وتنمي قدرته على الانتباه والتركيز من خلال الإيقاع المتجانس، فهو وسيلة حجاجية إقناعية شائعة في قصص الأطفال خاصة.

ج-التضاد:

وهو وسيلة لغوية منطقية تقوم على جمع اللفظ وضده، وله قيمته المعنوية في حبك البنية السردية، من خلال تلك الحركة العقلية العنيفة في الجمع بين المتضادات؛ مما جعل منه تقنية حجاجية مؤثرة، ومن أمثلته:

- الدخول والخروج/ انتهت وابتدأت/ بداية ونهاية/ والبنات الأولاد/ أبيهم أمهم/ أنت وهو/ بيت وقصر/ أمير، سائق، طباح، مزارع/ بينك وبين الأمير/ انتهت وعدنا/ القهر والحظ/ استيقظت الأميرة النائمة/ أم، أب/ أصدقاءك أصدقائي/ كبرت وكبروا/ تعرفت عليهم كما تعرفت عليك/ كبرت وصغيرة/ أخبريني وأخبري البنات/ أقدام البنات وقدمك.

حيث نجد هنا التضاد بأنواعه بين مفردات يجمعها حقل دلالي واحد، أو تضاد بين الضمائر (غيبية وحضور، مفرد وجمع) وتضاد بين أسماء الإشارة.

فهذه الشواهد تؤكد أن الكاتبة قد كثفت من تقنية التضاد خاصة في مقدمة القصة؛ مما رفع من وتيرة الإيقاع الصوتي والعقلي، كما قرنت التضاد بالسؤال، فاجتمع في العبارة قرع التضاد وإيقاع السؤال؛ فرفع ذلك من كفاية السرد وحجاجيته، وهذه الإستراتيجية تنمي قدرة الطفل لغويا وتزيد من إقناعه والتأثير فيه.

د- النعوت والأوصاف:

تسهم النعوت في وصف الحدث مضيئة عليه حكماً قيمياً، كما أن لها ثقلها في تقدير قيمة الأشياء، فهي تستقطب عمق الأفكار وخفياتها؛ لذا تعمل كمطرقة تنهال على مسمار فتمنح هذه الأشياء صفاً من الأحكام القيميّة، «لذا تحدث هذه النعوت الفكر كمقاطع محراث يحفر أخدوداً...» (بلنجر، ٢٠١٠: ١٥١)؛ إذ تعبر عن خاصية من خواص الفكر الذي ينتقد ويصنف ويحكم على الأمور من خلالها.

ولقد جاءت هذه الحلية اللفظية في القصة في مواضع كثيرة، منها: البنات جميلات / الأولاد نبلاء / مزارع لطيف / فطيرة فواكه لذيذة / فستاننا أزرق منقوشا / فستانك المنقوش / شعرك الأشقر / بطلة رقيقة شقراء / حذاؤك الزجاجي ذو الكعب العالي / حذاؤك الزجاجي الشفاف / خلخال رقيق / تاجاً ماسياً صغيراً / أصدقاء سرين / صدقتك النائمة / ليستا شريرتين / زوجات الآباء شريرات / إنها عجوز ومسكينة / لقدرك السعيد / حفلة شاي جميلة / سأكون سعيدة جداً.

تشكل هذه النعوت - في القصة - انعكاسات إما للحس أو للشعور، وهي ترتبط بالجمال والثقافة والفكر والقيم لدى مستعملها، ويحددها الذوق والعاطفة لديهم؛ إذ تعبّر عن أحكام هي قيم عاطفية تصدر عن الشعور، فهي خليط من الذوق والإدراك والعاطفة؛ فكثير من الأمور التي جاءت بها هذه النعوت أسهمت في تحديد القيم الهامة مثل وصف الشعور أو تقييم الأمور أو تحديد مراكز الجمال كما كان لها أثر في تحديد القضية الكبرى في النص، وقد جاءت هذه النعوت والأوصاف بالقيم الحسية والمعنوية:

- أما القيم الحسية: فتدور حول الجمال الحسي الذي يحمل قيماً إنسانية عالية تساعد على صفاء الروح، فالحواس هي بصيرة الروح ومصدر رقيها، ونجد ذلك في جملة من الصفات مثل: (جميلة/ لذيذة/ شفاف رقيق/ منقوش / صغير/ جميلة/ أشقر/ العالي منقوش / جميلة/ الصغيرات/ الجميل / رغيدة / الصغيرة / شقراء)، هذه القيم تشكل الجمال الحسي للواقع الذي نرتقي منه إلى جمال الروح. فالشعور بالجمال ليس بحسي بحت، بل يرتبط بالوجدان والمشاعر التي تتلقى هذه الحسيات ثم تحوّلها إلى تجربة شعورية جاذبة مزوجة بين المتعة والألم.

-وأما القيم المعنوية: فهي نعوت وأوصاف تحمل قيماً أخلاقية راقية وقد جاءت القصة بالنعوت التالية: (لطيفة/ نبيلة/ ناجحة/ طموحة/ المقهورة/ الطيبة/ رقيقة/ شريرة/ مسكينة/ السعيد)، هذه القيم المعنوية تسهم في تنمية قدرة الطفل على الحكم على الأشياء وتقويمها.

ولا يخفى أن هذه النعوت والأوصاف شكلت شبكة دلالية من المعاني أسهمت في الرقي بحجاجية الخطاب، كما نسجت -خلال تلازمها مع النعوت- شبكة من الملفوظات المتصاحبة التي تكثف المعنى المراد؛ مما يزيد من بلاغة الحجاج اللفظي ويرفع من كفاية تماسك الخطاب، ولا يخفى ما لهذه النعوت من قدرة على تنمية الذوق وإدراك الجمال الحسي والمعنوي لدى اليافعين، ومن ثم ترويض حسهم وشعورهم على القدرة على الحكم وإظهار قيمة الأشياء والتفضيل والاختيار فيما بينها؛ مما يعزز لديهم عمق الإدراك وفهم العالم حولهم، والمشاركة في الحكم عليه، ووصفه، وتقييمه، ومن ثم التفاعل إيجاباً والتعايش معه.

هـ- التراكم العاطفي وقاعدة الثلاثيات:

وهي استراتيجية خطابية اتبعتها الساردة لغرض التكثيف، وإثارة عاطفة المتلقي بواسطة الإيقاع الصوتي، ويتضح هذا التراكم في مقدمة القصة؛ حيث استخدمت عدة إستراتيجيات لغوية فيه قائمة على التكرار والتضاد والتوازي. ومن التراكم ما يسمى بـ(قاعدة الثلاثيات)، وهي أسلوب لغوي يقوم على ثلاث جمل أشبه بمتوازيات يجتمع فيها الفكر مع اللغة؛ ليقرعا موضوعاً واحداً، غايتها إقناع المتلقي وكسب تأييده لمضمونها، وجاء منها: (ماذا لو تزوجت من الطباخ أو من سائق العربة أو اقترنت بمزارع لطيف) (وبسحرها وبعربتها وفئرانها وحذائها) (لعله كان حروفاً أو قلوباً أو ربما نوتات موسيقية) (الفتاة المقهورة التي وافقها الحظ أو ربما السحر أو ربما الحب) (كنت رمزاً للرقّة والأنوثة والجمال)، هذا التراكم الصوتي هو من اللعب اللغوي -على حد تعبير محمد مفتاح (مفتاح، ٢٠٠٥: ٢٦) الذي يهدف إلى تبليغ رسالة.

وتتميز الثلاثيات بنغمتها الخاصة فهي تختلف عن الجمل الثنائية بوجود وسط محشو بالإيقاع؛ مما يزيد من تألقها الصوتي، ويحدث الإيقاع فيها بسبب أربعة أمور

هي: تساوي الكمية، ووحدة البنية والتقطيع الصوتي، وكذلك النقرات الثلاث على أعجاز الجمل، ويتأزر معها أنماط أخرى من التوازن كالسجع أو التكرار أو إعادة الصياغة؛ لذا كانت تلك الثلاثيات نافذة ومؤثرة بما حققه إيقاع التوازن في عقل الطفل وسمعه؛ إذ رفعت تلك التقنية من حجاجية السرد في القصة.

و- الاستفهام:

وهو أحد أشكال البناء النصي المكثفة في هذه القضية؛ إذ يسهم السؤال والجواب بجعل الخطاب متصلًا، وهو إستراتيجية حجاجية مهيمنة وناجعة في إبراز مضامين النص استخدمتها الكاتبة؛ فكان هو العربة التي طاف بها السرد في فضاء القصة، وأكثر الإستراتيجيات تكثيفًا في النص؛ إذ ورد في القصة -رغم قصرها- في ستة وثلاثين موضعًا تصدرتها (هل) الاستفهامية؛ إذ جاءت في سبعة عشر موضعًا، تليها (ما) وهي تأتي للسؤال عن مبهم، وهذا يعدُّ عنصرًا من عناصر التشويق في القصة فالسؤال عن المجهول يسد فجوة معرفية لدى المتلقي، تليها (الهمزة) وجاءت في تسعة مواضع، ثم (ماذا) في أربعة مواضع، ثم (كم) في أربعة مواضع، ثم (من) و(ماذا).

والاستفهام من أنجع وسائل الإقناع؛ إلا أنه قد يوسع الفجوة بين الكاتب وبين المتلقي أو يضيّقها؛ ويعد الاستفهام التقريري من أكثر الأنواع ورودًا في القصة، وهو من أقوى وسائل الحجاج تأثيرًا؛ إذ جاء السؤال عند الساردة لغرض جدلي، وهو نوع من السؤال التقريري الذي يجري على أمرين:

١- إما أن تسأل عن وضع يقصد إبطاله والمجيب يقصد حفظه ونصرته، وهو سؤال تقرير.

٢- وإما سؤال يلتبس به تسلم المقدمات التي يقصد بها السائل إبطال الوضع، وكلاهما يصدر عن غير جهل من الملقى (بهلول، ٢٠١٦: ١٤٠).

والساردة عندما تطرح السؤال لا تقصد به التسليم؛ بل لها مقاصد عدة؛ لذا جاءت الأسئلة على نحوين: الأول متمثل في السؤال عن المقدمات بترك ذكر النتيجة، كما في تكثيف السؤال في مقدمة القصة، الذي احتوى على متواليات من الأسئلة فاقت

العشرة منها، وفي جمل قصيرة شبه متوازية تركتها الساردة بلا إجابات، فجاءت مقدمة القصة تفرع طوبوها صاحبة وذات إيقاع عال قائمة على إستراتيجيتي التكرار والتوازي.

أما النوع الثاني من الأسئلة فجاء بالمقدمات والنتيجة معاً كما في حوارها للسندريلا حول (الحذاء) و(الفستان)؛ حيث حظي كلاهما بعدد من الأسئلة التي حاولت الساردة أن تجيب عنها، رغم أن الفضاء ما زال مفتوحاً لاشتراك المتلقي في طرح إجابات أخرى محتملة.

ونجد - في قصة سندريلا- تداخل السرد مع الحجاج الاستفهامي، فكمّل كل منها الآخر؛ إذ جاء الاستفهام لأغراض إقناعية وتواصلية؛ فكان له دوره في التأثير والتشويق، ثم التفصيل، ثم استثارة المخاطب وتبنيته للحكم على الأمر المطروح في السؤال؛ مما يجبره على البحث عن الجواب ومعانيه البعيدة وفق البعدين الاستفهامي والاقتضائي. ولعل أبرز إستراتيجيات السؤال الحذف؛ فإن كان السؤال قسيمه الجواب؛ فإن بعض الأسئلة - بل كثيراً منها- تركت بلا إجابات، فكانت فجوات في النص وجب على المتلقي اليافع أن يسد فراغاتها، فأصبح بذلك شريكاً في سرد الاستراتيجية اللغوية تحقق غايات حجاجية عدة تؤثر في الطفل وتقنعه، (لحويدق، ٢٠١٠، ٣٢٧).

حجاجية الاستفهام:

يخرج الحجاج في السؤال عن مقتضى الظاهر لتحقيق مقاصد تدعم القيمة التي تناقشها الساردة، فهو وسيلة لغوية لاستدراج المتلقي إلى جواب يوقعه في الشك والريبة في المسلمات عنده أو قد يأتي الاستفهام لسد الفجوات المعرفية في النص؛ مما يزيد من إعلاميته، فهو مدخل من مداخل الحجاج وآلية توجيهية للسيطرة على ذهن المتلقي (الشهري، ٢٠١٥: ٢/٢٦٦).

فالحجاج -ههنا- لا يكون في السؤال الذي يقوم على ما يعهده المتلقي ولا بالسؤال التعليمي؛ بل تكمن بلاغة الحجاج ههنا في السؤال الذي بلا إجابة؛ لا لجهله ولا لاتفاق العلم به، إنما هو ذلك السؤال الذي يفتح آفاقاً عدة للتأويل؛ فاللغة

علاقة اجتماعية بين الملقى والمتلقي؛ لذا فتحت الساردة سبل تلك الأسئلة؛ لتسبح في فضاء النص بلا إجابات، ولكن بالتأكيد هناك إطار عام تحوم فيه الإجابة قائمة على رصيد ضمني مشترك من الثقافة والفكر والأعراف والرمز بين الملقى والمتلقي، رغم أن لكل متلقٍ تأثيراته الخاصة به التي يخضع لها؛ فيكون القصد من السؤال هو أن الملقى يحاول أن يفتح آفاقاً أمام المتلقي حول النظر في بعض القيم أو المعتقدات أو توجيهه لها، أو إشهارها لتبليغه بها.

هذا علماً أن السؤال قد يربك القضية؛ فهو وسيلة لاخترال موضوعاتها كافة وإقامتها في بنية استفهامية تهدف إلى التركيز على بؤرتها؛ وكان ذلك بإعادة ترتيب وضع المرأة في مجتمعها من خلال قصة سنديلا.

(وقد حذّر أرسطو من الولوج بالسؤال وتجاوز الحد فيه بتكثير المقدمات، والمباعدة بينها وبين النتيجة؛ فهذا النهج نهج رديء تقل إفادته، وتكثر مزلقه، ويفضح قصور صاحبه)، (بهلول، ١٤٣: ١٣٩).

إلا أن تلك الأسئلة المفتوحة قد يستعملها المرسل الذي لا يملك سلطة أساساً وذلك من خلال إنجاز أفعال لغوية طلبية؛ بما يساعد على فرض السلطة في الخطاب ويُعدُّ مجرد الرد على أسئلته اعترافاً بسلطته الآنية التي يبتغيها ويزيد الاعتراف بها؛ بل والإذعان لها كلما توغل المرسل في الأسئلة، (الشهري، ٢٠١٥: ٣٢ / ١).

لذا كان السؤال -في السرد ههنا- من أهم آليات الإستراتيجية المباشرة؛ حيث وُظفَ لتحقيق غايات؛ منها تحقيق مقاصد القصة، وتنمية معارف اليافعين وتحرير عقولهم من المعتقدات القديمة البالية، والبنات خاصة؛ لذا كان هو مفتاح القصة ونقطة بدء الحوار فيها، وهذا ما منح الساردة السيطرة على الموقف، فمنها يبدأ الحوار وإليها ينتهي (السابق: ١١٧ / ١).

فالسؤال في هذا السرد خرج لأغراض حجاجية بارزة؛ حيث لا يكشف الملقى فيه عن رأيه في القضية مباشرة، بل يترك الأمر للمتلقى اليافع المعرّم بالأسئلة ليحجب عنه مما يجعله يسلم ويدعن، فهو يقحمه في صلب الموضوع لغرض إفحامه بشراك تلك الأسئلة مما يمهد الطريق للرأي الآخر أو للقيمة الجديدة، وبذلك يحقق السؤال مقاصده وغاياته التواصلية.

لقد أكد البحث أن الإقناع بقيمة أو رأي أو اتجاه في هذه القصة تم من خلال تقنيات خطائية معينة تتناسب مع عقل الطفل ومداركه، جاءت ههنا في قوالب لغوية محددة استخدمتها الساردة بوعي، أسهمت في بلوغ النص قصده؛ مما يؤكد قدرة هذه الوسائل اللغوية في الحجاج على الوصول إلى أحاسيس المتلقي (الطفل) والتأثير عليه رغم صغر سنه.

ختاماً: توصل البحث إلى أن قصص الأطفال كأبي خطاب لغوي له غايات لا تخلو من الحجاج، وإن قلت كثافته فهو لا يقارن بالحجاج في منابعه الأولى كما جاء في فن الخطابة والمرافعات القضائية، أو كما جاء في الخطابات الوظيفية الحقيقية لدى الكبار؛ فهو حجاج يستدعي بعض التقنيات التواصلية القائمة على الإقناع بالكلمة أو الصورة التي تتناسب وعقل الطفل؛ حيث يقوم هذا النوع من القصص على تحقيق عدد من الغايات النفسية والاجتماعية والتربوية، فالقصة بلا حكمة ولا غاية لا قيمة لها، فقيمتها في قدرتها على منح الأشياء التي تدور حولها معنى؛ مما يساعد الطفل على السيطرة على حياته باستخدام عقله وتفكيره؛ فقصص الأطفال بشخصياتها وأحداثها وأدواتها- هي بمنزلة معلم لمن لا معلم له؛ ودواء يخفف من حدة الداء نفسياً واجتماعياً؛ فالقصة للطفل تشفي الروح، وتثبت الفؤاد وتقوي العزيمة، فغايتها تفوق المتعة السردية فيها، وهذا مما يميز قصص الأطفال عن غيرها.

وقد قامت قصة (حفلة شاي في قصر سندريلا) على ركنين رئيسيين ميز قصة الطفل عن غيره هما: التخيل، والتشكيل البصري؛ أما التخيل فالقصة سفينة خيال الطفل، وهو بمنزلة الريشة للرسام والقلم للمبدع؛ بل هو أداة من أدوات التجريب والتفكير والتعلم لديه، فلا يمكن فصله عن الإقناع فهو آلية من آلياته يقودها الإغواء والأهواء والعواطف، له تأثيره العميق في المتلقي (الطفل)؛ إذ يقوم في أثره في النفس مقام المنطق في العقل، فكلما ازداد الخيال حبكاً فاق في فعله وأثره الحجة المنطقية خاصة عند الأطفال.

وأما التشكل البصري القائم على الجمال الحسي فهو يشتغل في معظمه على الصورة

أو الرسم ثم شكل الصفحة وحجمها، وكذلك الخط وتنوعه والألوان وتفاعلها؛ فهذه الأدوات تساوي في أهميتها النص والعبارة فخطاب الصورة خطاب حسي مباشر يستهدف العين، كما يمكن تحليله وتفكيكه كما في النص المكتوب؛ بل هو وجه آخر للخطاب، مما جعله يشكل حكاية أخرى تعضد القصد وتقويه، فكلما أشبعت تلك الصور جمالاً وعمقاً وتنوعت تقنياتها جلبت معها العقل واستولت عليه؛ لذا أصبحت لها سلطتها في خطاب الطفل.

وبعدّ الحجاج بالوسائل اللغوية من أكثر الاستراتيجيات الحجاجية استعمالاً في قصص الأطفال وفي هذه القصة خاصةً، وخصوصاً تلك القائمة على الإيقاع الصوتي لما لها من دندنة صوتية في وجدان الطفل ومشاعره؛ ولعل أبرز تلك الوسائل الجمل القصيرة، والتكرار والسؤال والتعجب، وكذلك التوازي والسجع والتقابل، فمن خلال التكتيف اللغوي لتلك الإستراتيجيات وإيقاعها يتشكل حجاج الطفل.

كما أكد البحث أن خطاب قصص الأطفال يستقي مادته من حقل المحسوسات بخلاف خطاب الكبار الذي يركز على المحسوسات والمجردات معا - غالباً-؛ فهي أول ما يدركه الطفل، ومنها يستقي خياله ويحاكي واقعه؛ لذا فإن أشياء هذا الواقع وكياناته وأدواته هي أقرب إلى عقله ووعيه بالعالم من حوله؛ لذا يكثر التكتيف الدلالي لمفردات هذا الحقل في هذه القصة؛ إذ تشكل شبكة متوغلة فيها، كما يكثر استخدام الأدوات المرتبطة بها، فهي محركات الأحداث في القصة وتشكل زاداً معرفياً ونفسياً للطفل؛ فكلما كثرت تلك الأدوات زادت من حراك عقل الطفل ومعارفه وعلومه، وخففت من وطأة معاناته النفسية، وأسهمت في توفد الخيال لديه.

وبما أن قصص الأطفال تتطلب الوضوح والتنظيم وبساطة الفكرة ووضوح اللغة، فإن التعقيد المنطقي الذي يرد في خطاب الكبار يبعدها عن غاياتها؛ مما جعل قصة (حفلة شاي) تنأى عن الإغراق في المنطق والاستدلال، فذلك يَقلُّ في هذا الصنف من الأدب (أدب الأطفال).

ومجمل القول إن قصة (سندريلا) في مجموعة (حفلة شاي) جاءت مخفوفة



بمقاصد جديدة ومتنوعة لأغراض اجتماعية ونفسية وثقافية تتناسب مع عمر الطفل ومداركه وقدراته وقامت على تقنيتين؛ الأولى الحجاج بالعواطف والانفعالات، والثانية الحجاج بالوسائل اللغوية؛ فأما الأولى فقوامها الخيال والمشاعر والنوازع، وأما الثانية فقوامها السؤال والإيقاع الصوتي والتكرار والتضاد؛ إذ قادت تلك الاستراتيجيات الحجاجية المتلقي اليافع إلى عوالم جديدة، والله الموفق.

* تم تمويل هذا المشروع البحثي من قبل عمادة البحث العلمي، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، من خلال برنامج: (دعم بحوث العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية)

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- حُمَيْس، أروى، حفلة شاي في قصر سندريلا، الرياض، أروى العربية للنشر، ط ٣، ٢٠١٦م.

ثانياً: المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- إبراهيم، محمد عبد الرحمن، الإعلامية أبعادها وأثرها على النص: ١٤٠، الشارقة، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٨م.
- أوكان، عمر، اللغة والخطاب، المغرب، دار أفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠٠١م.
- ب. بورديو، اللغة، دفا تر فلسفية ونصوص مختارة، إعداد وترجمة محمد سيلا، وعبد السلام بن عبد العالي، المغرب، دار توبقال، ط ٥، ٢٠١٠م.
- بارت رولان، البلاغة القديمة، ترجمة عبد الكبير الشرفاوي، دار الفنك للغة العربية، ت ١٩٨٤م.
- بلنجر، ليونيل، عدة الأدوات الحجاجية: ١٢٩، ترجمة فضيلة قوتال، الحجاج، الجزء ٥، إعداد د. حافظ إسماعيلي علوي.
- بلنجر، ليونيل، عدة الأدوات الحجاجية: ١٥١، من كتابا لحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد: د. حافظ إسماعيلي علوي، ج ٥ / إريد، عالم الكتب الحديث، ط ٢٠١٠م.
- بهلول، عبد الله، الحجاج الجدلي، عمان، دار كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠١٦م.
- الحلوة، دنال بنت إبراهيم، أثر التكرار في التماسك النصي، مقارنة نصية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف: ٢٤، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى عام ١٤٣٣هـ العدد الثالث.
- الحلوة، دنال بنت إبراهيم، التطريز الصوتي لسطح النص، دراسة لبني التوازن في ضوء خطب الشيخ الدكتور صالح بن حميد، إمام وخطيب الحرم المكي (مقاربة نصية)، منشورات مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، مكة

- المكرمة، ط ١، ٢٠١٢م.
- الحلوة، دنال بنت إبراهيم، التقابل الدلالي دراسة تطبيقية في سورة المائدة: ٢٢، بحث منشور في مجلة علوم اللغة عام، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- حليفي، شعيب، هوية العلامات، دار الثقافة، المغرب، ط ١، ٢٠٠٥م.
- خطابي، محمد، لسانيات النص، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط ٢، ٢٠٠٦م.
- رايس، نور الدين، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة: ٢٩٤، فاس، مطبعة سايس، ط ١، ٢٠٠٧م.
- روبول، آن، موشلار، جاك، تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، تر: لحسن بوتكلاي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م: ١٢٠.
- الزناد، الأزهر، نسيج النص: ٦٧، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ١، ١٩٩٣م.
- السيساوي، يوسف، الإشارات مقارنة تداولية، بحث في كتاب (التداولات، علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط ١، ٢٠١١م).
- الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب: ١ / ٢٦٦، عمان، دار كنوز المعرفة، ط ٢، ١٤٣٦.
- صحراوي، مسعود، التداولية عند العرب القدماء، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٥م.
- الغذامي، عبد الله، تشريح النص، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ٢، ٢٠٠٦م.
- فان دايك، تيون، علم النص، ترجمة د سعيد بحيري، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، ط ١، ٢٠٠١م.
- قدا، عبد العالي، الحجاج في الخطاب السياسي، عمان، دار كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠١٥م.

- كرام، زهور، السرد النسائي العربي مقارنة في المفهوم والخطاب، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٤م.
- كروم، أحمد، مقاصد اللغة، عمان، دار كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠١٥م.
- كيريرا- أوريكيوني، بحث كفايات المتكلمين، كتاب: في التداولية المعاصرة والتواصل، ترجمة محمد نظيف، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠١٤م.
- كيريرا- أوريكيوني، إشكالية التلفظ، من كتاب في التداولية المعاصرة والتواصل، ترجمة وتعليق د. محمد نظيف، المغرب، أفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠١٤م.
- لحويديق، عبد العزيز، الحجاج في المناظرة: ٣٢٧، كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ج ٤، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، إربد، عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٠م.
- مانجينو، دومينيك، مشكلات الحجاج بواسطة الإيتوس من البلاغة إلى تحليل الخطاب: ٧٦٦ ترجمة د. حسن المودن، كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، د أحمد قادم، د سعيد العوادي، ط ١، ٢٠١٦م.
- المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، الرباط، منشورات دار الأمان، ط ١، ٢٠١٠م.
- مجلة علامات: العدد ٤٦، ٢٠١٦م.
- مفتاح، محمد، النص من القراءة إلى التنظير، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠م.
- المودن، حسن، بلاغة الخطاب الإقناعي، عمان، دار كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠١٤م.

ب- المراجع باللغة الإنجليزية:

- Hengeveld K. & Mackenzie J. L. (2008) Functional Discourse Grammar A. typologically-based theory of language structure Oxford University Press.

- Keamcy R. (2007) Narrating pain the power of catharsis paragraph. 30 (1) 51-66.
- Olmos P. (Ed) (2017) Narration as argument (Vol. 31) Springer.
- Van Eemeren, F. H., Garssen B. Krabbe E.C.W. Snoeck Henkemans F. A. Verhije B. and Wagemans J. H.M. (2014) Handbook of Argumentation Theory Springer Dordrecht Heidelberg New York London.
- Van Eemeren, F. H., Grootendorst, R., Snoeck Henkemans, A. F., Blair, J. A., Johnson, R. H., Krabbe, E. C. W. Plantin, C., Walton, D. N., Willard, C. A., Woods, J., & Zarefsky, D. (1996). Fundamentals of argumentation theory. Handbook of historical backgrounds and contemporary developments. Mahwah: Lawrence Erlbaum.

تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأدب

د. خليفة الميساوي^١

ملخص

يهدف هذا البحث إلى معالجة مجموعة من القضايا المتعلقة بنظرية التأدب أو المقاربات اللسانية التي حاولت تقنينها وتصنيفها انطلاقاً من رؤى مختلفة. فقمنا ببسط أهم نتائجها لنرى مدى استجابتها لتحليل الأفعال الكلامية التي تنفذ التأدب في المحادثة، واتخذنا محادثة حقيقية حرة و عفوية لبيان كيفية اشتغال القوانين البانية والمنظمة لظاهرة التأدب وكيفية توزيعها في الأدوار الكلامية، وذلك من خلال دراسة مفهوم الوجه وعلاقته بالتأدب السلبي والتأدب الإيجابي وكيفية المحافظة على ماء وجه المشاركين في المحادثة اعتماداً على العناصر اللسانية وغير اللسانية التي تكونها، بالنظر إلى المؤثرات السياقية والقيود الاجتماعية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: مبدأ التأدب، الوجه، تحليل المحادثة، الأفعال الكلامية،

الاستراتيجيات التأديبية.

١- أستاذ، جامعة قرطاج تونس/ جامعة الملك فيصل السعودية
أرسل البحث بتاريخ ٢٢/٠٢/٢٠٢١، وتم قبوله للنشر بتاريخ ١٨/٠٤/٢٠٢١

Abstract

This paper aims at addressing a range of issues related to politeness theory or the linguistic approaches that codify and classify them from different perspectives. I showed their most important results to see to what extent they respond to the analysis of politeness speech acts in conversation. I studied a real free spontaneous conversation to show how constructive and organizing maxims of the politeness phenomenon work. Moreover, I have identified how these maxims function in speech turns by studying the concept of face and its relation to negative and positive politeness. I have also studied how to preserve the face of participants in the conversation based on its linguistic and non-linguistic elements owing to contextual effects and social cultural constraints.

Keywords: The principle of politeness, face, conversation analysis, speech acts, politeness strategies.

مقدمة

يعتبر التأدب مكوناً من مكونات بناء المحادثة وقانوناً من قوانين إنتاجها اللسانية وغير اللسانية، فهو نتيجة لعملية حيوية تفاعلية بين المشاركين فيها، توظفها عملية تفاوضية عادة ما تكون حرة حتى يضمن المشاركون التواصل والتبادل الكلامي وغير الكلامي، وبذلك تنشأ عملية التفاعل التي تمثل جوهر المحادثة من متطلبات يستلزمها التواصل باعتباره سلوكاً لسانياً واجتماعياً، ومن أبرز هذه المستلزمات مبدأ التأدب الذي يتحكم في نجاح عملية التفاعل في المحادثة أو فشلها. ويمثل التأدب والتفاعل شرطين أساسيين للتواصل بل يمكن أن نعتبر أن التواصل وليد لهما، فهو عملية مشتركة بينهما ويمكن أن نعتبر أن التأدب يمثل مدخلاً رئيسياً لفهم عمليتي التفاعل والتواصل في المحادثة، إذ يستدعي المتكلم وهو يجري المحادثة عدة اعتبارات تواصلية وتفاعلية من أبرزها اختيار الألفاظ واستراتيجيات الدخول في الكلام وعلامات الوجه والابتسامة والعبارات المألوفة اجتماعياً وبعض العادات والتقاليد التي تنتج سلوكاً تأبياً معيناً. وبما أن المشاركين في المحادثة يمثلون العناصر الأساسية في عملية التواصل، فهم المسؤولون بالدرجة الأولى عن مستويات التأدب ودرجة حضورها وغيابها فيها، فإلى أي حد يمكن أن نعتبر مبدأ التأدب مكوناً من مكونات بناء المحادثة؟ وإلى أي مدى تكون درجة حضوره أو غيابه عنصراً فاعلاً في نجاح التفاعل والتواصل أو فشلها؟ فكيف يساعد التأدب على بناء أدوار كلامية مترابطة ومتناسكة؟ وما الذي يجعل المتكلم يعتمد على التأدب في بلوغ أهدافه التواصلية؟ وما هي آليات السلوك التأدبي في بناء المحادثة؟ ستمثل هذه الأسئلة وغيرها محاور مؤسسه لهذا البحث نكشف من خلال الإجابة عنها عن كيفية اشتغال قوانين التأدب في المحادثة ونضبط آلياته والأدوار التي يؤديها في بنائها من منظور تفاعلي وتواصلية.

١- نظرية التأدب في الدراسات اللسانية

نشأت نظرية التأدب (politeness theory) في سبعينات القرن العشرين وتطورت وفق نماذج مختلفة نذكر أهمها في المقاربات اللسانية:

١,١ مقارنة روبن لاكوف R. Lakoff

بعد أن رأت لاكوف (١٩٧٣) أن مبدأ التعاون وقواعده الأربع البانية للمحادثة^١ الذي جاء به غرايس لا يكفي لتحليل المحادثة وبيان قوانين اشتغالها التفاعلية والتواصلية، أضافت إلى ذلك مبدأ التأدب (politeness principle) لتؤكد أهمية السياق الاجتماعي الذي تنجز فيه المحادثة، بما في ذلك المعارف التي يتقاسمها المشاركون في الفعل التواصلية. فعرفته بأنه أشكال سلوكية تطورها المجتمعات من أجل الحد من الاختلاف في التفاعل بين الأشخاص، فأضافت إلى البعد المرجعي في الخطاب بعدا علائقيا وبنيت ذلك على تصور قائم على مصدرتين هما: «كن واضحا» ثم «كن متأدبا» واقترحت لذلك قواعد إجرائية جديدة تتعلق بالتفاعل والتواصل في المحادثة، صنفتها في ثلاث قواعد:

١. قاعدة التعفف ومقتضاها « لا تفرض نفسك على المخاطب »

٢. قاعدة التشكك ومقتضاها « لتجعل مخاطبك يختار بنفسه »

٣. قاعدة التودد ومقتضاها « لتظهر الود للمخاطب »^٢ (طه عبد الرحمن، ١٩٩٨، ٢٤٠-٢٤١).

بنيت لاكوف نظرية التأدب على الكفاءة البرغماتية التي يمتلكها المتكلم ويوظفها في استعمال اللغة بشكل مناسب وملائم لما يقوله؛ أي مضمون القول وما يتحدث عنه؛ ومجال القول وكذلك الكيفية التي يقال بها؛ أو يصاغ بها. وقد استوتحت هذه المبادئ والأفكار من نظرية غرايس حول المحادثة القائمة على مبدأ التعاون الذي خصصه للبحث في طرق التفاعل والتعامل بين المتكلمين. إذ يؤكد غرايس (١٩٧٥) على أن المشارك في المحادثة يجب عليه أن يحترم القواعد الأربع التالية: قاعدة الكيفية وقاعدة الكمية وقاعدة العلاقة أو الصلة وقاعدة الطريقة أو الأسلوب. وقد هدفت لاكوف من وضع قواعد التأدب إلى جعل المتخاطبين قادرين على فهم بعضهم ليتواصلوا بسهولة ولتفاعلوا عندما يشاركون في إنجاز محادثة.

وتعني قاعدة التعفف عند لاكوف أن المتكلم يجب عليه أن يترك مسافة من الاحترام بينه وبين مخاطبه وذلك حسب طبيعة العلاقة التي تربطها ببعضهما.

ويمكن أن يكون مدى العلاقة مرتبطاً بالعمر، والقرباة الأسرية، والمهنة، وما إلى ذلك. وعادة ما يلجأ المتكلم إلى قاعدة التعفف عندما تتسع المسافة الاجتماعية بين المتخاطبين. فحينها لا داعي للسؤال عن المسائل الشخصية والخاصة. وعلى المتكلم أن يستخدم الأساليب التعبيرية الرسمية ويستبعد العاطفة الذاتية في محادثته. فمثلاً عندما يدخل مواطن إلى إدارة لقضاء مسألة ما تخصه، فيريد أن يلتقي بمسؤول ما، عليه أن يستخدم أسلوباً تأديبياً رسمياً، فيقول على سبيل المثال:

السلام عليكم، آسف على إزعاجكم، هل تسمحون لي بأن آخذ قليلاً من وقتكم لأستفسر عن بعض الأمور. ففي هذه الحالة لم يفرض المتكلم نفسه على المخاطب واحترم المسافة الاجتماعية وبذلك يكون قد حقق قاعدة التعفف.

وتعتبر قاعدة التشكك عن إعطاء الخيار للمشاركة في المحادثة بأن يرد بالقبول أو بالرفض على طلبات المتكلم، وهو ما يعني الابتعاد عن الإصرار في تحقيق رغباته وطلباته. ويعني كذلك الابتعاد عن أسلوب الحسم والمباشرة في القول. ويتم ذلك عادة باستخدام الأفعال الكلامية غير المباشرة في المحادثة كأن يستخدم المتكلم أسلوباً طليماً، ويقصد به الأمر كما في المثال التالي حينما يطلب الأستاذ من أحد طلابه غلق باب القاعة، فيقول: «أود لو تغلق باب القاعة»، فهو في الحقيقة يأمره بالقيام بالفعل ولكنه استعمل أسلوباً غير مباشر يسمح للطالب بالاختيار بين القبول والرفض.

وتفيد قاعدة التودد إظهار العلاقة الحميمة بين المتخاطبين؛ أي جعلهم يشعرون بالارتياح والود والتضامن، وهو ما يؤكد مدى علاقة التقارب بين المتكلم والسماع، فيجعله ذلك لطيفاً وودوداً مع مشاركته في المحادثة. ويستخدم لإظهار ذلك تعابير غير رسمية لإبراز الشعور بالتضامن والتعاون والتفاعل. فعلى سبيل المثال، يسأل شخص ما صديقه عن سيارته الجديدة، فيقول المتكلم (أ) للمتكلم (ب):

أ: ما رأيك في السيارة؟ هل أعجبتك؟

ب: ممتازة، سيارة جيدة ولونها ساحر وتناسب عمرك ومكانتك.

ورغم كون السيارة قد لا تبدو كذلك ولا تستحق هذه الصفات، فالمتكلم (ب) من أجل أن يكون مؤدبا ومهذبا ولطيفا يقول كلاما مناسباً وجيدا حتى يظهر العلاقة الحميمة ويحافظ على الصداقة والود مع مخاطبه، وهو أسلوب عادة ما يستخدمه المتكلم، بطريقة غير رسمية، للمجاملة حتى يحقق مبدأ التفاعل والتواصل.^٣

٢,١. مقارنة لينتش G.N. Leech

ربط لينتش (١٩٨٣: ص ١٠٤-٥) مفهوم التأدب بالخطابة التداولية متجاوزاً الرؤية التقليدية التي اعتمدها أوستين وسارل في تحليلهما الأفعال الكلامية والقوى الإنجازية، إذ اعتبرها من باب التحليل الدلالي. وتطرق إلى المشاكل الناتجة عن عدم التطابق بين المعنى وقوة الفعل الإنجازية في رسائل معينة، خاصة في الأفعال الكلامية غير المباشرة. فبالنسبة إليه « إنَّ حسن التأدب والتخلق، إضافة إلى أنه شأن أدخل في اصطناع المجتمع المدني، فإنه يمثل الحلقة المفقودة بين مبدأ التعاون ومشكلة الكيفية التي بها يرتبط المعنى بقوة فعل الكلام» (لينتش، ٢٠١٣، ١٣٩)، فنظر إلى الاستراتيجيات التي يكتشف بها التأويل بالاعتماد على زاوية نظر المخاطب مقدماً إيها في فهم ما يهدف إليه المتكلم وتأويل ما يقصده، فكان تركيزه على المستمع أكثر من المتكلم وربط ذلك بمبدأي الربح والخسارة وكذلك بسياق المحادثة والمواقف التي تجري فيها، واعتبر أن هذه المواقف المختلفة تتطلب أشكالاً مختلفة من التأدب حسب السياقات الاجتماعية وما يحف بها من قيود و شروط إنتاجية، وعلى هذا الأساس صنف وظائف قوى الأفعال الكلامية التي تفيدهم التأدب في المحادثة والخطاب بصفة عامة إلى أربعة أصناف وربطها بأهدافها وسياقاتها الاجتماعية المتصلة بخطاب التنافسية والترحيب والتناصر والصراع في السلوك الكلامي.

أ- التنافسية Competitive: هنا يتزاحم غرض الفعل الكلامي مع الغاية المجتمعية مثل إعطاء الأوامر، وطرح الأسئلة من الطلب والالتماس.^٥

ب- أدب الترحيب Convivial: هنا يتطابق غرض الفعل الكلامي مع الغاية المجتمعية: تقديم التكريم، والاستدعاء والاستضافة، وشكر المنعم، ورد الجميل، والتهنئة.

ج- التناصر والدعم Collaborative: هنا قد يكون غرض الفعل الكلامي غير متحيز للغاية الاجتماعية: من نحو التآزر وإشاعة المعلومة المفيدة، والإعلان والتوجيه.

د- الصراع Conflictual: قد يتضارب غرض الفعل الكلامي مع الغاية المجتمعية. مثلاً، التهديد، والإيهام، والقذف، والشتم والتأنيب. (ليتش، ٢٠١٣، ١٣٩-١٤٠).

واعتبر ليتش أن الصنفين الأولين يعنيان أساساً بالتأدب، فالغرض من مبدأ التنافسية هو تقليل التنافس وجسور هوة الاختلاف بين المتكلمين ويكون فيه التأدب سلبياً، وعلاوة على ذلك، فإن الأفعال الكلامية التنافسية غير مهذبة بطبيعتها لأنها تفرض شيئاً على المستمعين. ويهدف مبدأ الترحيب إلى بيان السلوك الكلامي الإيجابي من تلطف وكياسة وأدب، إذ الأفعال الودية عموماً مهذبة بطبيعتها لأنها تحفز الروابط والعلاقات المدنية والاجتماعية. وأمّا الصنف الثالث فيهدف إلى المعاونة والمناصرة ولا يتلاءم مع مبدأ التخلق؛ بالتالي فهو محايد. ولا يهتم الصنف الرابع بالتأدب والتخلق لأن الأفعال الكلامية الواردة فيه تتسم بطابعها الصراعى، فلا يمكن أن يكون ذلك على نحو مؤدب ومتخلق، ولذلك، فهي خارج مجال التأدب، وربط ذلك بتفسير وحيد لإعطاء معنى لهذا السلوك الكلامي؛ فحصره في السخرية. وربط ليتش هذه المبادئ بنظرية تحليل المحادثة فاقترح مجموعة من القواعد (١٩٨٣، ١٣٨-١٣٩) تضبط مبدأ التأدب:

التأدب الإيجابي: positive politeness	التأدب السلبي: negative politeness	القواعد: maxims ^١
تكثير	تقليل	
الربح للآخر	الخسارة للآخر	قاعدة فن التأدب: tact
الخسارة للذات	الربح للذات	قاعدة الجود والكرم: generosity
مدح الآخر	نقد الآخر	قاعدة الاستحسان: approbation
التنقيص من الذات	مدح الذات	قاعدة التواضع: modesty
الاتفاق مع الآخر	الاختلاف مع الآخر	قاعدة الموافقة: agreement
الود والتعاطف	الكراهية النفور	قاعدة التعاطف: sympathy

تقوم هذه القواعد على قطبين متعاكسين سلبي وإيجابي يسعى المتكلم من خلالهما إلى تحقيق التوازن بين مصالحه والعلاقات الاجتماعية الجيدة مع التقليل من حد الازدراء الذي يمكن أن يشعر به المخاطب لأن الغرض من الرسالة هو في الحقيقة مبني على الاحترام المتبادل، ومن هذا الجانب يتجلى هدف مبدأ التأدب في القيام بتنظيم العلاقات الاجتماعية مع الأخذ بعين الاعتبار عدة عوامل توجه المحادثة مثل مكانة المتكلم الاجتماعية وما تستدعيه من روافد فرعية أخرى تتعلق بها. ولهذا السبب اعتبر ليتش أن السمة الأساسية لمبدأ التأدب تكمن في عدم المطابقة والنسبة، إذ ما يمكن أن يكون تأدبا وتهذبا عند متكلم ما قد يكون عند غيره وقاحة وقلة احترام ولذلك صنف قواعده التأديبية على أساس الربح والخسارة لفائدة المخاطب.

٣,١ مقارنة براون ولفنسون P. Brown and. S. Levinson

اهتم براون ولفنسون بمبدأ التأدب منذ ١٩٧٨^٧ وطوّراه ووسّعاه سنة ١٩٨٧^٨ واعتبرا أن مبدأ التعاون الذي جاء به غرايس لا يفي بشروط التبادل الكلامي ولا تبلغ معه عملية التواصل مبتغاهما، فهو بالنسبة إليهما يمثل إطارا عاما فقط للتواصل وتبادل المعلومات، «وفي الحقيقة أن التفاعلات غالبا ما تنحرف عن قواعد المحادثة ولا تتبع بالنسبة إليهما من الرغبة في توليد الإيجاءات الضمنية بقدر ما هي نتاج لكيفية اشتغال مبدأ التأدب» (كارمن البردي أوركيزو، ٢٠٠٩، ٢٩). بل إن التأدب ينتج في نظرهما

عن انحراف المتكلم عن كفاءته العقلانية ليعتمد على بعده التواصلية القائم على هذا الانحراف. وانطلاقاً من هذا التصور فكرياً في وضع شروط وقواعد جديدة تهتم بالتواصل في المحادثة على أساس مبدأ التأدب وما يتعلق به من استراتيجيات تفاعلية وتواصلية.

وقد أسس براون ولفنسن مقاربتهم حول التأدب على بعدين: بعد أول اهتمام فيه بطبيعة التأدب وكيفية اشتغاله في التفاعل وبعد ثانٍ قدما فيه قائمة من استراتيجيات التأدب مع أمثلة من ثلاث لغات: (الإنجليزية، والتسلتال، والتاميل، English, Tzeltal, and Tamil).

ويعتمد مبدأ التأدب عندهما على ثلاثة مفاهيم أساسية: الوجه، والأفعال التي تهدد الوجه، واستراتيجيات التأدب. واعتمد براون ولفنسون مفهوم الوجه الذي استعاراه من إرفنغ غوفمان منطلقاً لتفسير التأدب وقسماه إلى نوعين من الوجه: الوجه السلبي والوجه الإيجابي^٩. فعرفّا «الوجه الإيجابي» بأنه الصورة الإيجابية والمتسقة التي يمتلكها المرء عن نفسه ورغبته في التعاطف، وعرفّا «الوجه السلبي» بأنه «المطلب الأساسي لإبراز السيادة والحفاظ على المكتسبات الشخصية والحق في عدم الإلهاء» (١٩٨٧، ٦١). وقد ارتبط مفهوم الوجه كذلك بحفظ ماء وجه المخاطب من خلال رغبات وجهه السلبية أو الإيجابية. فيحتاج الوجه الإيجابي إلى أن يكون مقبولاً ومحبوفاً وعلى دراية بأن له رغبات مشتركة مع الآخرين. أما الوجه السلبي فيحتاج إلى أن يكون مستقلاً عن الآخرين ولا يتلقى الأوامر منهم. ولذلك يهدف حفظ ماء الوجه السلبي إلى إظهار الاحترام، بينما يهدف حفظ ماء الوجه الإيجابي إلى إظهار التآزر والتأكيد على أن المشاركين في المحادثة يريدان/ أو يريدون الشيء ذاته وأن لهما/ لهم هدفاً مشتركاً. ويحاول كل فرد أثناء المحادثة أن يظهر صورته الذاتية في عملية التفاعل والتواصل من خلال مفهوم الوجه بجانبه الإيجابي أو السلبي واعتماداً على مفهوم المسافة الاجتماعية بين المتكلمين أو طبيعة العلاقة التي تربطهما ببعض. فكلما كانت المسافة ضيقة والعلاقة حميمة كان الوجه إيجابياً وكلما كانت المسافة واسعة والعلاقة رسمية كان الوجه سلبياً.

وقد ضبط براون ولفنسون مجموعة من الأفعال التي تهدد ماء الوجه على النحو

التالي:

١. الأفعال التي تهدد ماء الوجه السلبي للمخاطب: أمر، طلب، وأي فعل يمكن أن ينتهك سيادته وكرامته ويعرض استقلالته للخطر.

٢. الأفعال التي تهدد ماء الوجه الإيجابي للمخاطب: نقد، اتهام، أو إهانة من شأنها أن تشوه صورته العامة.

٣. الأفعال التي تهدد ماء الوجه السلبي للمتكلم: العروض والوعود التي يقدمها بنفسه وتتطلب منه استغلال وقته وحاجاته.

٤. الأفعال التي تهدد ماء الوجه الإيجابي للمتكلم: النقد الذاتي، الاعتراف، الاعتذار... (كارمن البردي أوركيزو، ٢٠٠٩، ٣٠)

وللحد من آثار هذه الأفعال التي تهدد ماء الوجه اقترح براون ولفنسن استراتيجيات التأدب. وهي طرق يستخدمها المتكلم للحفاظ على ماء الوجه، وقد تم ضبطها في خمس استراتيجيات:

١. تتعلق الاستراتيجية الأولى بالحالات أو الفعاليات التي تفوق الحاجة إلى الحفاظ على الوجوه أو بالحالات التي يكون فيها تهديد ماء وجه المخاطب ضرورياً أو بالحالات التي تكون فيها العلاقة بين المتكلم والمخاطب علاقة هرمية، عندئذٍ تتطلب الأفعال التي تهدد ماء الوجه بشكل عام إجراءات علاجية تهدف إلى التخفيف قدر الإمكان من الضرر الذي يلحق وجه المخاطب، وفي هذه الحالة يكون فعل التأدب إيجابياً.

٢. تتعلق الاستراتيجية الثانية بالإجراءات التي يتخذها المتكلم لترميم الجانب الإيجابي للمخاطب ويعبر عنها عادة بالاتفاق والتضامن والألفة. وفي هذه الحالة يكون فعل التأدب سلبياً.

٣. تتعلق الاستراتيجية الثالثة بالإجراءات العلاجية التي توجه إلى الجانب السلبي للمخاطب عندما تنجز أفعال تهديد ماء الوجه بشكل غير مباشر.

٤. تتعلق الاستراتيجية الرابعة بغموض الفعل الكلامي وعدم فهم مقاصده

وهو ما يجعل الحفاظ على ماء وجه المتكلم غير مضمون، وفي هذه الحالة يلجأ المخاطب إلى تجنب الحكم عليه حكماً سلبياً.

٥. تتعلق الاستراتيجية الخامسة بخطر فقدان ماء الوجه وفي هذه الحالة يلجأ المتكلم إلى تجنب استخدام الأفعال الكلامية التي تهدد ماء الوجه ليحافظ على ماء وجهه.

وهكذا يمكن أن نجمل العوامل التي تأسست عليها مقارنة براون ولفنسون في ثلاثة:

١. درجة خطورة أفعال تهديد ماء الوجه

٢. المسافة الاجتماعية بين المشاركين في التبادل الكلامي / المحادثة

٣. مدى علاقة القوة أو السلطة التي تربط بين المتكلمين.

ورغم أن مقارنة براون ولفنسون لا تزال تحظى باحترام الدارسين إلى الآن فإنها تعرضت إلى النقد من قبل البعض^{١٠}، خاصة فيما يتعلق بما اعتبره مبادئ كونية تفسر مبدأ التأدب وتقننه. (براون وولسون، ١٩٨٧، ١٤٢). فأثبتت عدة دراسات أجريت على شعوب وثقافات مختلفة^{١١} أن التأدب سلوك اجتماعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقيم والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية^{١٢} وهو يتغير من مجتمع إلى آخر، وتبقى مسألة التأدب خاضعة للتقييم الفردي والمجتمعي الذي تجري فيه ويبقى الحكم عليها يعتمد على المؤثرات السياقية والثقافية^{١٣} المتزامنة مع عملية التحدث التي تؤطرها عوامل مختلفة.

٤،١. مقارنة كبريات أوركينيوني

أضفت أوركينيوني إلى مفهوم الأفعال المهذدة لماء الوجه (FTA) كما تصوره براون ولفنسون مفهوم الأفعال المادحة للوجه (FFA). فاعتبرت «أنّ التأدب لا ينحصر في تخفيف أفعال التهديد: بل يمكن أن ينتج، بشكل أكثر إيجابية، أفعالاً «مضادة للتهديد»، مثل التحية أو المجاملات، وهي أفعال تعطي قيمة للوجه ولكن لم يهتد إليها براون ولفنسون، ونقترح تسميتها «بأفعال مدح الوجه» (FFA) ثم نقسم جميع أفعال الكلام بعد ذلك إلى صنفين كبيرين، اعتماداً على ما تتركه من آثار سلبية أو

إيجابية على الوجوه «(أوركيوني ١٩٩٧، ١٣٢). وعلى هذا الأساس وضعت مقاربتها التأديبية التي بنتها سنة ١٩٩٢^{١٤} على ثلاث نقاط أساسية:

١. الأفعال المهذبة للوجه (FTA) والأفعال المادحة للوجه (FFA).

٢. المبادئ التي تتحكم في السلوك الذي يجب أن يتحلل به المتكلم أو التي تتحكم في سلوك المخاطب وتوجهه.

٣. المبادئ المتعلقة بالتأدب السلبي مقابل التأدب الإيجابي:

يتجلى التأدب السلبي بطريقتين يسعى فيهما المتكلم إما إلى الامتناع عن قول أفعال التهديد وإما إلى تعويض ما تم تهديده وإصلاحه سعياً إلى تحييد ما تسلطه أفعال التهديد من عنف اجتماعي على المتكلم. وعلى العكس من ذلك يكون التأدب الإيجابي منتجاً للأفعال المضادة للتهديد.

ووضعت أوركيوني على أساس هذه المبادئ مجموعة من قواعد التأدب تتعلق بالمخاطب والمتكلم. وسمت ذلك بالمبادئ الموجهة إلى المخاطب (A-orientés) والمبادئ الموجهة إلى المتكلم (Principes L-orientés) وهي مبادئ تشكل مقاربتها التأديبية على النحو التالي:

١. المبادئ الموجهة إلى المخاطب:

أ- التأدب السلبي: يهدف إلى تجنب أفعال التهديد أو التخفيف منها إلى أبعد حد تجاه وجه المخاطب. وينتج عنها: (أ) الوجه السلبي للمخاطب و(ب) الوجه الإيجابي للمخاطب.

ب- التأدب الإيجابي: يهدف إلى إنتاج أفعال كلامية مضادة للتهديد الموجهة إلى وجه المخاطب. وينتج عنها: (أ) الوجه السلبي للمخاطب و(ب) الوجه الإيجابي للمخاطب.

٢. المبادئ الموجهة إلى المتكلم.

أ- المبادئ الموجهة إلى صالح المتكلم، وينتج عنها: (١) واجهة سلبية تفيد حرص المتكلم على ألا يفقد ماء وجهه بشكل واضح ومكشوف، وتكون: (أ) سلبية / (ب)

إيجابية. و(٢) واجهة إيجابية لا توجد مبادئ مناسبة لها.

ب-المبادئ الموجهة ضد صالح المتكلم، وينتج عنها: (١) واجهة سلبية تفيد تجنب أو تخفيف أفعال التهديد الموجهة إلى وجه المتكلم، وتكون: (أ) سلبية / (ب) إيجابية. و(٢) واجهة إيجابية تفيد تحلي المتكلم عن مدح نفسه ونقد نفسه وإظهار تواضعه، وتكون: (أ) سلبية / (ب) إيجابية.

مثلت هذه المبادئ كيفية حفظ ماء الوجه لدى المخاطب سلبياً أو إيجابياً سواء بتجنب الأفعال المهددة لوجهه أو التخفيف منها أو إنتاج أفعال كلامية مضادة لتهديد وجهه. وكشفت كذلك عن كيفية حفظ ماء وجه المتكلم سواء في جانبه السلبي أو الإيجابي وذلك بإنتاج أفعال كلامية تضمن كرامته وقيمه الشخصية. وذهبت أوركيني إلى أن هذه المبادئ ليست مطلقة، وإنما يرتبط تحققها بوضعية التلفظ وطبيعة الأشخاص المشاركين في المحادثة وكذلك طبيعة المجتمعات. وتبقى العوامل السياقية المناسبة لنجاح التأدب متنوعة ومختلفة وتخضع لطبيعة موقع التلفظ ونوع التفاعل وموضع الفعل الكلامي الذي يفيد التأدب في الدور الكلامي وفي تسلسل المحادثة وكذلك طبيعة العلاقة بين المشاركين في المحادثة. واعتبرت أن التأدب لا يمثل إلا جزءاً من التفاعل بل أحياناً تتضارب مصالح المتفاعلين فتؤدي هذه القواعد إلى حدوث تناقض في المقاصد، وهو ما يجعل الأمر مرتبطاً بعوامل أخرى مثل العلاقات الأفقية والعمودية وطبيعة الصراع أو الرضاء كما يراه كل متكلم أو يوظفه حسب مصالحه وأهدافه من المحادثة وقد ينتج عن ذلك عدم التأدب^{١٥}.

وعلى الرغم من ضبط هذه القواعد نظرياً في هذه المقاربات المتداولة في اللسانيات اليوم ورغم تمتعها بإمكانية تطبيقها على أنواع مختلفة من التفاعل، فإن هذه القواعد الاستراتيجية التي قدمتها هذه المقاربات لضبط قوانين اشتغال التأدب اقتصر على نوع محدود من التفاعل وطبقت على أقوال فردية قد تفترض أهدافاً تواصلية بعينها؛ في حين في نظرنا يحتاج مفهوم التأدب إلى دراسته ضمن المحادثة/ الخطاب برمته وبيان مدى تأثيره في مجرى المحادثة من ناحية توزيع أدوارها الكلامية والقيود التي تتحكم في مقاصد أفعالها الكلامية. فإلى أي حد تشتغل هذه القواعد التأديبية

بنفس القوانين التي تشغل بها أنواع من الخطابات المختلفة؟ وإلى أي مدى يمكن أن تمثل هذه القواعد نظاماً تأديبياً كونياً؟ وهل المحادثة العفوية الحرة تستدعي قوانين التأدب لحفظ ماء الوجه مثلما يستدعيه حوار تلفزيوني مثلاً مع شخصية مرموقة؟ وما هو دور سلطة المتكلم في تحديد أشكال الأفعال الكلامية التأديبية؟ هل فعلاً تعبر الأفعال الكلامية غير المباشرة أحسن تعبير عن ظاهرة التأدب؟ هذا ما تغافلت عنه هذه المقاربات وسنحاول اختباره من خلال تحليل محادثة عفوية وحررة.

٢- التأدب في المحادثة

يرتكز تحليل المحادثة على كيفية التواصل اللغوي والاجتماعي ويعالج اللغة على أنها شكل من أشكال العلاقة بين الأشخاص تتقيد بمجموعة من القيود مثل: العمر، والجنس، والسلم الاجتماعي أو المكانة الاجتماعية، وطبيعة العلاقة بين المتكلمين، ونوع موضوع الحديث، والفضاء الزماني والمكاني الذي تجري فيه المحادثة، وما إلى ذلك. ونعتبر التأدب في هذا السياق؛ غير مرتبط بالمفاهيم التقليدية للأداب أو الأخلاق الحميدة التي نعتبرها قوانين اجتماعية ترسخت بفضل العادة والعرف الاجتماعي المتعارف عليه داخل مجموعة بشرية ما. أما التأدب فهو مفهوم حديث اعتمدت به اللسانيات التي تهتم بتحليل الخطاب أو المحادثة وتمت معالجته على أسس لسانية واجتماعية برغماتية باعتباره منوالاً تواصلياً يحتاجه المتخاطبون لإيجاد نوع من التوازن داخل المحادثة يضمن التفاعل والتواصل وحفظ ماء الوجه. ويتجلى التأدب في استخدام أفعال كلامية يعتبرها المتكلم استراتيجيات تواصلية يتم استخدامها في سياقات تلفظية معينة، ويهدف من خلالها تجنب الصراع أو الحد منه أثناء التحدث، وخاصة عندما تتضارب مصالح المشاركين في التلفظ. وفي هذا السياق، تم النظر إلى التأدب على أنه «عقد تحادتي» (ب. فرازر، ١٩٩٠، ٢٣٢) يمنح للمشاركين في المحادثة بعض الحقوق، ويلزمهم كذلك ببعض المبادئ التحادثية ومن بينها مبدأ التأدب الذي يرتكز إلى قواعد لغوية تبرز في التواصل اللفظي، والتي لا يمكن أن يوجد بدونها.

ويتجلى التأدب عادة في الطقوس والشعائر والمناسبات الاجتماعية بصفة عامة، ويتجلى كذلك في المحادثات الحرة أو التفاعلات بشكل عام مثل الخطابات التي تنجز

في فضاءات رسمية مثل المناقشات العلمية والعيادات الطبية والحوارات التلفزية وغيرها من التفاعلات، وهي عادة ترتبط بقدرات المتكلم التواصلية والثقافية.

ويعتبر التأدب أمراً حاسماً وضرورياً في التفاعل الإنساني من أجل الحفاظ على العلاقات الإنسانية المتزنة والجيدة، وهي مسألة تتحقق بتوظيف اللغة في نقل المعلومات بطريقة معينة. ولذلك عندما نتكلم فإننا لا نفكر في نقل المعلومات فقط، بل أيضاً نفكر في الطريقة المستخدمة لإيصالها إلى الآخرين وخاصة إذا كان التفاعل يجري في إطار تحادتي وجهاً لوجه. وقد تؤثر صياغة القول في طبيعة التواصل وفهم الأفعال الكلامية المنجزة في المحادثة. ولهذا السبب اهتم محللو المحادثة بمسألة الوجه ودوره في التواصل والتفاعل في أي تبادل كلامي، ولذلك على المتكلم أن يكيّف إنتاجه اللغوي في كل دور كلامي حسب الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها ووفق منطق الربح والخسارة كما حدده ليتش (١٩٨٣). فهو يحتاج إلى استثمار وجهه استثماراً عاطفياً ينبئ بالتأدب والتعاون والتواصل حتى يعزز استمرار التفاعل واسترسال المحادثة ويضمن تناسقها وترابطها، ويمثل هذا الأمر شكلاً من أشكال الحفاظ على ماء الوجه بالنسبة إلى المشاركين في المحادثة.

وقد اتخذ مفهوم الوجه^{١٦} في المحادثة مساراً مزدوجاً حدده الدارسون بالتأدب الإيجابي والتأدب السلبي بناءً على مفهوم حفظ ماء الوجه وطبيعة الأفعال الكلامية المستخدمة في أداء التأدب ودرجة انتهاكها أو خرقها لقاعدة التأدب المألوفة اجتماعياً، وربطوا الأفعال الكلامية المضادة لتهديد ماء وجه المشارك في المحادثة بالتأدب الإيجابي أو السلبي من خلال إرضاء الوجه، ويكون ذلك بإنتاج تعابير مدح أو مجاملة أو شكر أو ترحيب أو اعتذار^{١٧} وغيرها مما تفيد تثمين قيمة المتكلمين وإظهارهم في مكانة خاصة، ويظهر ذلك في طبيعة التفاعل الذي يخلو من التشنج والصراع. ونرى أن التأدب في المحادثة لا ينحصر في هذا الدور التعبيري وفي حفظ ماء الوجه فقط وإنما له أدوار أخرى سنتولى الكشف عنها من خلال تحليل محادثة عفوية وحررة.

المحادثة الأصلية (بالدارجة التونسية) ¹⁸	رمز المتكلم	رقم الدور الكلامي
السَّلَامُ عَلَيكُمْ ↓	أ:	1
وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ↓	ب:	2
سَامَخِي (.). مُمَكِّنْ تَعْطِينِي سَتِيلُو	أ:	3
لَحْطَه (.). نَعْمَرْ وَرَقْتِي /	ب:	4
[] شُكْرَا [] عبي ورقتك ↑ هاني نستنى /	أ:	5
[] ثَقَصِّلْ ↑ عَمَّرْ بِيهْ وَرَجَّعْهُوْلِي ↑	ب:	6
لَا لَأْ ↑ [] مَا تَخَافِشْ ↓ بَهِيشْ تَوْ؟ (.). هَذَا كَلَامْ بَاشْ نَاخُدْ سَتِيلُو	أ:	7
لا لا ↑ [] ما قصدش هذا ↑	ب:	8
النَّاسُ بُجُوها (.). بَهِيشِي؟ ↑ [] تو هذا كلام؟ ↑	أ:	9
يَاخِي وَينْ نَعْرِفْ؟ [] صَارَتْ لِي قَبْلْ (.). ثَمَّهْ أَشْكُونْ أَعْطِيُو ↑ سَتِيلُو وَمَا رَجَّعْشْ	ب:	10
يَا لَطِيفْ ↑ لَعْبَادْ خِيَابِتْ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَهْ؟!	أ:	11
لَا لَأْ ↑ [] مُوشْ هَكَّهْ ↑ (.). قَصْدِي مَا نَعْرِفْشْ (.). رَبِّمَا نَسَى /	ب:	12
عِنْدَكَ حَقْ [] النِّقَهْ مَا عَادِشْ /	أ:	13
تَنْجَمْ تَقُولْ بَصْفَهْ عَامَمَهْ /	ب:	14
يَا أَخِي (.). الْحَمْدُ لِلَّهِ ↓ مَا نَبِيشْ مِنْهُمْ (.). وَهَانِي بَجَانِبِكْ مَا تَخَافِشْ /	أ:	15
لَا لَأْ ↑ مُوشْ حَاجَهْ [] وَلَكِنْ حَاجَتِي بِيهْ بَاشْ نَعْمَرْ أَوْرَاقْ أُخْرِينْ /	ب:	16

دَقِيقَةً وَنَزَجَّعُهُوْلُكَا	أ:	17
حُوذُ رَاخِتِكَ [] هَانِي فِي الصَّفِّ ↓	ب:	18
شُكْرًا (.) ↑ لِحِظَةٍ ↓ [] تَفْضِلُ (.) رَبِّي إِعَاوِنُكَ	أ:	19
شُكْرًا ↑ [] رَبِّي إِفْضَلِكُ حُوِيَا	ب:	20

المحادثة بعد تحويلها إلى الفصحى 19	رمز المتكلم	رقم الدور الكلامي
السلام عليكم ↓	أ:	1
وعليكم السلام ↓	ب:	2
سامحني (.)، هل بإمكانك منحي القلم؟	أ:	3
لحظة واحدة (.)، أملأ ما هو مطلوب في الورقة/	ب:	4
[] شكرا [] املأ ورقتك أولاً ↑ أنا في انتظارك/	أ:	5
تفضل ↑ [] املأ ورقتك وأرجع إلي قلمي ↑	ب:	6
لا لا لا تخاف [] سأرجع إليك قلمك هل هذا معقول؟ (.). لن أأخذ قلمك	أ:	7
لم أقصد ذلك ↑	ب:	8
الناس سماتهم على وجوههم (.). هل هذا معقول؟ ↑ [] هل هذا كلام يقال؟ ↑	أ:	9
كيف سأعرف؟ [] تعرضت من قبل إلى من فعل ذلك (.).، أعطيته ↑ القلم ولم يرجعه	ب:	10
يا لطيف ↑! أصبح الناس سيئين إلى هذه الدرجة؟	أ:	11

لا لا ↑ [] لم أقصد ذلك ↑ (.)، لا أعرف (.). ربما يكون قد نسي/	ب:	12
لديك حق [] لم يعد هناك ثقة بين الناس\	أ:	13
تستطيع قول هذا بصفة عامة\	ب:	14
يا أخي (.). الحمد لله ↓ لست من هؤلاء (.). ثم أنا هنا بجانبك فلا خوف\	أ:	15
لا لا ↑ ليس في الأمر مشكلة []، ولكن أحتاجه لملاً أوراق أخرى/	ب:	16
دقيقة واحدة وسأرجعه إليك\	أ:	17
على مهلك [] أنا موجود بالصف ↓	ب:	18
شكراً ↑ (.). لحظة ↓ [] تفضل (.). أعانك الله\	أ:	19
شكراً ↑ [] فضلك الله أخي\	ب:	20

تعتمد نظرية الوجه في تحليل المحادثة على «تفسير كيف يتحقق المعنى والفعل في المحادثة اليومية والسلوك غير الكلامي المرتبط بها» (روبار ب. أرنودال، ٢٠١٠، ٢٠٧٨). ونعتبر من هذا المنطلق أن مبدأ التأدب لا يقتصر على الأفعال الكلامية المهذبة أو المضادة لتهديد ما الوجه بل يتجاوزها إلى السلوك غير الكلامي الذي يرافق إنتاج هذه الأفعال من حركات أو نظرات أو علامات قد تظهر على وجه المتكلم وهو في حالة تواصل مقيدة بقيود متعددة لسانية وغير لسانية. وذهبت أوركويوني إلى أن التفاعل يدور في فضاء ملغوم بشتى أنواع التهديد^{٢٠} وعلى المتفاعلين أن يبحثوا عن وسائل وطرق يبعدون بها هذا التهديد أو يقللون منه، ولذلك ينتج المتكلم أفعالاً كلامية مضادة لهذا التهديد ليحافظ على رغبات وجهه أو يزيد من ظهورها.

تفتتح المحادثة عادة بالتحية والترحيب وتؤدي ملامح وجه كل متكلم دوراً مهماً في إنجاح عملية التفاعل أو فشلها، وهي عناصر غير لسانية تتفاعل بدورها مع العناصر اللسانية لكي تنطلق المحادثة في مناخ سليم أو مقبول اجتماعياً، إذ ينطلق

المتكلم في إنتاج الكلام وفي ذهنه مجموعة من القدرات اللسانية يستحضر منها ما يوفر له التواصل، فترد الألفاظ متسلسلة ومحكومة بعلاقات توزيع محكمة حتى يتمكن المتكلم من الاسترسال في الكلام، ويتطلب هذا الاسترسال، في أبسط مبادئه، معرفة القواعد العامة التي اتفق عليها الناس في المحادثة من آداب الكلام واحترام مواطن التدخل في سلسلة التلّفظ» (خليفة الميساوي، ٢٠١٢، ٢٠٩). وتمثل هذه العناصر إلى جانب ملامح الوجه وبعض الحركات التي يبيدها المتكلم كالاتسامة أو المصافحة أو المعانقة أو الانحناء في بعض المجتمعات ضرباً من التأدب يعد ضرورياً في افتتاح المحادثة وتوجيه مسارها التفاعلي.

وتمثل ملامح الوجه الدرجة الصفر في عملية التفاعل فهي توجه رغبات الوجه إلى التأدب السلبي أو الإيجابي حسب ردة فعل كل مشارك في المحادثة، وتتجلى هذه الملامح في المحادثة أعلاه في الدورين الكلاميين (١) و(٢) حيث جاء الفعل الكلامي [السلام عليكم] الذي عبر به كل مشارك عن رغبته في افتتاح المحادثة مصحوباً بانحدار في النغمة الصوتية (∇) التي برزت إثر تبادل التحية، وهو ما يفيد التأدب السلبي لكل وجه؛ إذ عبّر هذا الانحدار في النغمة الصوتية لكل مشارك عن وضعية تلفظية مقيدة بعرف اجتماعي أكثر منه فعلاً أدبياً، ويعود هذا الأمر في نظرنا إلى طبيعة العلاقة التي تربط المشاركين، إذ هي علاقة ظرفية أملت الحاجة إلى التفاعل في فضاء اجتماعي معين (مكتب البريد) فلم تكن هناك معرفة سابقة بينهما، لذلك غلب العرف الاجتماعي (آداب الكلام) عن التأدب باعتباره فعلاً كلامياً ينتج عنه تهديد ماء الوجه أو الحفاظ عليه كما ذهب إلى ذلك براون ولفنسن (١٩٨٧). وسنحدد طبيعة الأفعال الكلامية في المحادثة وفق ما تنجزه من تأدب سلبي أو إيجابي عند المشارك [أ] والمشارك [ب].

١,٢. الأفعال الكلامية المهددة لماء الوجه (FTA)

من الطبيعي أن تتخلل كل عملية تفاعل أفعال كلامية تهدد ماء وجه المتكلم، ومن المنطقي أن ينزع كل مشارك في المحادثة إلى المحافظة على رغبات وجهه، وهو ما سماه براون ولفنسن بالوجه السلبي، ويتجلى هذا الأمر في إنتاج أفعال كلامية تفيد

(الطلب أو الالتماس أو السؤال أو النقد أو الرفض أو عدم الاستجابة أو الاستنكار أو اللوم أو التوبيخ أو العتاب أو التأنيب...). تعبر كل هذه الأفعال الكلامية وغيرها عن التأدب السلبي ولذلك يحاول المتكلم اللجوء إلى تجنبها أثناء المحادثة أو التخفيف منها باستخدام الأفعال الكلامية غير المباشرة كما هو الشأن في الدور الكلامي (٣) أو إنتاج بعض الأفعال الكلامية التي تفيد التخفيف من تهديد ماء الوجه كما هو الشأن في الدور الكلامي (٨). وسنرصد طبيعة اشتغال هذه الأفعال في المحادثة أعلاه من خلال توزيعها في الأدوار الكلامية التالية: (٣)، (٤)، (٦)، (٨)، (٩)، (١٠)، (١٤)، (١٧).

وننتج عن تبادل التحايا تخفيف تهديد ماء الوجه بالنسبة إلى طرفي المحادثة رغم ضعف درجة التفاعل بسبب جهل كل مشارك عمل وجه (Face-work)^{٢١} الآخر. فدفعت هذه الوضعية التلفظية المشاركين [أ] و[ب] إلى إنتاج أفعال كلامية تهدد ماء الوجه سلبا أو إيجابا حسب السياق وقصد المتكلم وجنسه والمسافة الاجتماعية أو المكانة والغرض من إنجاز الفعل الكلامي. فبعد افتتاح المحادثة بفعلين كلاميين ضروريين (١) و(٢) لإنجاح مبدأ التعاون بدأ المشارك [أ] بإنتاج دور كلامي (٣) مستخدما أفعالا كلامية تفيد التأدب السلبي:

(٣) ساحني (.)، هل بإمكانك منحي القلم؟ ١

يعبر الفعل الكلامي (ساحني) عن فعل تأدبي مزدوج يتيح للمتكلم المحافظة على القوانين الاجتماعية التي تبني عالم المحادثة وتسهم في إنتاج مناويل تأدبية يتبعها المتكلم ويتقيد بها، وينتج أفعالا كلامية تأدبية لا تهدد ماء وجه المخاطب وتجعله ينقاد إلى التعاون والتفاعل ومن ثمة التواصل. فاستخدام المتكلم هذا الفعل في بداية الدور الكلامي جعله يكسب ود المخاطب ويضعه في وضعية تأدبية تلطيفية تسمح له بخلق مجال تفاعلي^{٢٢} متوازن فكان بمثابة تهيئة رغبات الوجه^{٢٣} حتى يمهد إلى إنتاج فعل تأدبي رئيسي (هل بإمكانك) سيكون له دور كبير في توجيه المسار التفاعلي والتعاوني فيما سينتج من أدوار كلامية لاحقة. ويعد هذا الفعل الكلامي من وجهة نظر تصنيف ليتش (١٩٨٣) وبراون (١٩٨٧) وأوركيني (١٩٩٢) فعلا تأدبيا يعبر عن التأدب السلبي لأن المتكلم يوجه طلبا أو التماسا أو تطلفا أو توددا إلى مخاطبه

حتى يكسب تفاعله وتعاونه معه ويحقق ما يصبو إليه من ربح كما ذهب إلى ذلك ليتش. فأدى هذا الفعل الكلامي دوراً سلبياً حافظ المشارك [أ] من خلاله على ماء وجهه، وأدى كذلك دوراً إيجابياً جعل المخاطب يخفف من وطأة الأفعال الكلامية التي تهدد ماء وجهه.

(٤) لحظة واحدة (.)، أملاً ما هو مطلوب في الورقة/

يعبر الدور الكلامي (٤) عن تأدب سلبي يبدو واضحاً في قبول المشارك [ب] التعاون والتفاعل مع المشارك [أ] دون أن ينتج أي فعل كلامي يعبر صراحة عن تهديد ماء الوجه تهديداً مباشراً؛ مثلاً من خلال رفض التعاون معه أو الاستجابة إليه، بل أنتج فعلاً كلامياً (لحظة واحدة) أراد من خلاله أن يخفف من التهديد الموجه لوجهه مخاطبه [أ] فأضاف فعلاً كلامياً تبريراً (أملاً ما هو مطلوب في الورقة) عزز من درجة التخفيف وجعل المشارك [أ] يقلص من المسافة الاجتماعية ويقرب أكثر من المشارك [ب] فيحافظ على ماء وجهه من ناحية ويحقق ربحاً لفائدته من ناحية أخرى ويضمن نجاح التواصل واسترسال المحادثة في الآن نفسه.

(٦) تفضل ↑ [] املاً ورقتك وأرجع إلي قلمي ↑

يوصل المشارك [ب] تفاعله مع المشارك [أ] في هذا الدور الكلامي فينتج فعلاً كلامياً (تفضل) ليعبر عن درجة تهديد أقل حدة مما أنتجه في الدور الكلامي (٤)، وهذا أمر منطقي يعود إلى نجاح التفاعل والتواصل بينهما في الأدوار الكلامية السابقة، وهو ما يساعد على استرسال المحادثة في نسق تصاعدي منسجم ومترابط يصحبه نزول في درجات قوة الأفعال المهددة لماء وجه المشارك [أ]، ولكن حركة النزول والصعود ليست مستقرة في الأفعال الكلامية التأديبية؛ لأن درجة التفاعل بين المشاركين في المحادثة مازالت ضعيفة ولم تأخذ مجراها الطبيعي، ونفس هذا الأمر بأن المحادثة عفوية ولا توجد معرفة مشتركة سابقة بينهما وهو ما جعل المشارك [ب] ينتج فعلاً كلامياً مهدداً لماء وجه المشارك [أ] (أرجع إلي قلمي) تمثل في المطالبة بإرجاع القلم وهذا فيه تهديد صريح لماء وجه المشارك [أ] فتحول التأدب السلبي من التخفيف إلى التصعيد مما جعل المشارك [أ] يشعر بأنه ليس محل ثقة وهو ما سيؤدي إلى إنتاج أفعال كلامية مهددة لماء الوجه في الأدوار الكلامية اللاحقة.

↑ (٨) لم أقصد ذلك

جاء الفعل الكلامي (٨) ردا على درجة التهديد الصاعدة في الفعل الكلامي (٦)، إذ حاول المشارك [ب] أن يخفف من تهديد ماء وجه المشارك [أ] ببيان قصده وتوجيه فهمه وتأويله حتى يخفف من درجة التهديد ويحافظ على التوازن التفاعلي واستمرار التواصل وتوجيه المسار التلغظي إلى إنتاج أفعال كلامية مناسبة لقانون التخفيف والتهديءة، فبادر بنفي ما ذهب إليه المشارك [أ] حتى يضمن له ماء وجهه، ولكن رغم هذا التخفيف فإن المشارك [أ] أنتج فعلا كلاميا يعبر عن استنكاره ورفضه.

(٩) الناس سياتهم على وجوههم (.). هل هذا معقول؟ ↑ [] هل هذا كلام

يقال؟ ↑

أراد المشارك [أ] من خلال ما أنتجه من أفعال كلامية متتالية في الدور الكلامي (٩) أن يعبر عن رفضه لما ذهب إليه المشارك [ب] من شك وقلّة ثقة فيه وحتى يخفف من تهديد ماء وجهه جاء بمقدمة عامة ضمنها معنى دينيا ليعزز حجته وموقفه الراض والمستكر لما جاء في الفعل الكلامي (٦) من تهديد فأنجز فعلين كلاميين في صيغة سؤال استنكاري أدى وظيفة ثنائية في المعنى المقصود، تمثلت الأولى في دحض الشبهة عنه بأن ما قيل غير معقول وغير مقبول فاستدل على ذلك بالحفاظ على رغبات وجهه وإظهار مكانته وقيمتها، وتمثلت الثانية في توجيه لوم إلى المشارك [ب] وتنبهه إلى خطورة الموقف مما لحقه من درجة تهديد لماء وجهه مرتفعة وهو ما سيجعله يغير مساره التلغظي من التصعيد إلى التخفيف فيما سينتجه من أفعال كلامية في الدور الكلامي (١٠).

(١٠) كيف سأعرف؟ [] تعرضت من قبل إلى من فعل ذلك (.). أعطيته ↑

القلم ولم يرجعه\

تساءل المشارك [ب] عن كيفية إدراكه نوايا المشارك [أ] حتى يثق فيه فأنّج فعلا كلاميا حجاجيا منطقيًا ثم أردفه بأفعال كلامية تبرر حجته وتجعلها مقبولة مستخدما تجربته السابقة التي اعتمد فيها على حجج وأحداث واقعية هدف من خلالها إلى إقناع المشارك [أ] بأنّه على حق وأنّ شكّه في محله وبالتالي لا لوم عليه، وليبرر موقفه

اعتمد فرضية منطقية جمع فيها بين معارفه السابقة والواقع الحالي للحفاظ على ماء وجهه أولاً وللتخفيف من تهديد الأفعال الكلامية الموجهة لمخاطبه ثانياً. فكان التأدب إيجابياً لصالحه وسلبياً بالنسبة إلى المشارك [أ] وتراوحت الأفعال الكلامية بين الاستنكار والتبرير والإفناع، وهو ما جعل مسار الأفعال الكلامية المهددة لماء وجه المشاركين [ا] و[ب] نازلاً من التصعيد إلى التخفيف والتهذبة كما يتجلى ذلك في الدور الكلامي (١٤).

(١٤) تستطيع قول هذا بصفة عامة\

بلغ التخفيف مداه في هذا الدور الكلامي؛ إذ عدل المشاركون في المحادثة عن الاستنكار واللوم والتبرير في الدور الكلامي (١٠) إلى تلطيف في الدور الكلامي (١٤) فحولا التهديد الموجه لوجهيهما إلى تهديد عام يخص المجتمع وهو ما وسع دائرته من الخاص إلى العام ليدرك كل مشارك أنه على صواب فيما أنتجه من أفعال كلامية مهددة لماء الوجه في الأدوار الكلامية السابقة، فربطاً الوضعية التلطفية الآتية المنتجة لأفعال التأدب السليبي بسياق اجتماعي أوسع؛ ليبرر كل مشارك سلوكه التأدبي تجاه الآخر ويقنعه بصحة موقفه بناء على ما توفره المعرفة المشتركة من حجج وبراهين استند إليها كل مشارك في تقييم المحتوى القضوي لكل فعل كلامي وتفسيره وفق ما تعرض إليه من تجارب سابقة أسهمت في الدفاع عن نفسه، وجعلته يحقق رغبات وجهه ويحافظ على درجة معينة من ماء الوجه ليحقق أهدافه التواصلية بالاعتماد على ما سيستجبه من أفعال كلامية مضادة لأفعال التهديد.

٢.٢. الأفعال الكلامية المادحة للوجه (FFA)

رأت أوركيني أن التفاعل لا يقتصر على الأفعال الكلامية المهددة لماء الوجه بل يوجد في اللغة كثير من الأفعال المادحة للوجه بإمكاننا استخدامها ضد تهديد الوجه، وخاصة تلك التي يستعملها المتكلم في المدح والشكر والمجاملة والترحيب والتهنئة^{٢٤} (أوركيني، ٢٠١٤، ٢٩٦). فلا يقتصر دورها على الحفاظ على ماء الوجه بل تعزز رغباته. ولاحظنا أن المشاركين في المحادثة العنوية الحرة ينزعون إلى استخدام الأفعال المادحة أو المضادة لتهديد ماء الوجه لتكثيف درجة التفاعل وتقويتها لضمان

استرسال الأدوار الكلامية ويهدف لإنجاح عملية التواصل. وقد لخصت أوركويوني هذا النوع من الأفعال المعبرة عن التأدب الإيجابي في الجملة التالية: «أرجو لك كل خير» مقابل الأفعال المعبرة عن التأدب السلبي في الجملة التالية: «لا أرجو لك الشر» (٢٠١٤، ٢٩٧). وهو ما يجعل الأفعال الكلامية المستعملة للتخفيف من تهديد ماء الوجه تتخذ صيغا غير مباشرة للتعبير عن التأدب السلبي، وعلى عكس ذلك تتخذ الأفعال الكلامية المعبرة عن التأدب الإيجابي صيغا مباشرة، وعادة ما تؤدي دور تعزيز التأدب وتقويته بإضافة صفة تكثف من محتواها القضوي من قبيل إضافة عبارة (جزيلاً) إلى فعل الشكر، فنقول: «أشكرك شكراً جزيلاً»، وتؤدي عبارات تقوية درجة التأدب الإيجابي إلى زيادة درجة التفاعل والتعاون بين المشاركين في المحادثة، فنتج عن ذلك أبعاد تواصلية وبرغماتية تتحكم في عملية إنتاج الأفعال الكلامية ومسار توزيعها في الأدوار الكلامية البانية للمحادثة. وسنعالج هذه المسألة ونكشف عن قوانين اشتغالها في المحادثة السابقة في الأدوار الكلامية التالية: (٥)، (٧)، (١١)، (١٢)، (١٣)، (١٥)، (١٦)، (١٨)، (١٩)، (٢٠).

ينتج المتكلم بعض الأفعال الكلامية أثناء كلامه لتوجيه مخاطبه نحو قصد برغماتي معين، فيختار بعض عبارات الشكر أو المجاملة أو التلطف أو المداراة ليكسب ود مشاركة في المحادثة، وهو ما تجلّى في الأدوار الكلامية بطرق مختلفة حسب درجة قوة الفعل الكلامي الإنجازية والتأثيرية.

(٥) [شكراً] [املاً ورقتك أولاً] أنا في انتظارك/

استهل المشارك [ب] دوره الكلامي بفعل الشكر ليكسب ود مخاطبه وتعاطفه معه، فأردف ذلك بإنتاج فعلين كلاميين متناغمين مع الفعل الأول معبراً عن إعطاء الأولوية للمشارك [ب] وتنازله له مع تحمل الانتظار بواسطة أفعال كلامية مباشرة يفيد محتواها القضوي التأدب الإيجابي، فجاءت عبارتا (أولاً) و(انتظار) لتزيد من قوة الفعل الكلامي التأدبي (الشكر).

(٧) لا لا لا تخاف [سأرجع لك قلمك هل هذا معقول؟] لن أأخذ

قلمك\

نلاحظ في هذا الدور الكلامي تكرار النفي (لا لا لا + تخاف) وهو فعل كلامي

مباشر استخدمه المشارك [أ] ليعبر به عن حفظ ماء وجهه من جهة ويطمئن به مخاطبه من جهة أخرى. وقد أدى التكرار بعدا برغماتيا تمثل في تقوية درجة الفعل التأديبي (لا تخاف) وبعدا تواصليا نتج عنه استنكار موقف المشارك [ب] وتأكيد حسن معاملته باستعمال (لن) لينفي نتيجة الخوف وإبعادها من ذهنه.

(١١) يا لطيف ↑! أصبح الناس سيئين إلى هذه الدرجة؟ \

استخدم المشارك [أ] فعلا كلاميا يفيد التعجب والاستغراب في ظاهره، ولكن محتواه القضوي يعبر عن تأدب إيجابي تجاه المشارك [ب]، فهو يدعم موقفه ويداريه في ما ذهب إليه من وجود فئة سيئة في المجتمع، فكان هذا الدعم والتجانس في الموقف ضربا من ضروب تقوية التأدب وحفظ ماء الوجه للمشاركين على حد السواء.

(١٢) لا لا [] لم أقصد ذلك ↑ (.)، لا أعرف (.). ربما يكون قد نسي /

أكد المشارك [ب] الموقف الذي صرح به المشارك [أ] في الدور الكلامي السابق ودعمه بتكرار عدم القصد مبديا حسن النية ومقلّصا مجال الاتهام ومبررا تلك الحادثة السابقة باحتمال النسيان، فبرهن بذلك عن تأدب إيجابي يحفظ مكانة المخاطب ويزيد من درجة التفاعل والتواصل في المحادثة.

(١٣) لديك حق [] لم يعد هناك ثقة بين الناس \

اقتنع المشارك [أ] بعد سلسلة من الأفعال الكلامية المصرح بها في الأدوار الكلامية السابقة والتي كانت تعبر عن رفضه واستنكاره لما صرح به المشارك [ب] تجاهه من عدم ثقة وحمل تصرفه على ما رسخ في ذهنه من تجارب سابقة بأن المواقف التي عبر عنها المشارك [ب] مقبولة ومعقولة؛ لذلك تحول مسار المحادثة من التشنج والتوتر إلى الهدوء والاطمئنان، فنتج عنه إنتاج الفعل الكلامي (لديك حق)، فدل بذلك عن درجة من التهاهي والانسجام بلغت أوجها، وهو ما سيؤثر في طبيعة التأدب في الأفعال الكلامية المنتجة في الأدوار اللاحقة.

(١٥) يا أخي (.). الحمد لله ↓ لست من هؤلاء (.). ثم أنا هنا بجانبك فلا خوف \

مثل الدور الكلامي (١٥) نقطة تحول مهمة في طبيعة العلاقة بين المشاركين [أ] و[ب] بلغت معها درجة التأدب إلى مستوى عال. فعبر المتكلم من خلال الفعل

الكلامي (يا أخي) عن مدى تقلص المسافة الاجتماعية بين طرفي المحادثة، وهذا يعني حتما زيادة في درجة التفاعل والتعاون سيستغلها المشارك [أ] في تقوية درجة التأدب وليظهر مكانته وحسن أخلاقه ليؤكد بذلك ترسيخ صورته النزيهة في ذهن المشارك [ب] ويضمن درجة عالية من حفظ ماء الوجه.

(١٦) لا لا ↑ ليس في الأمر مشكلة []، ولكن أحتاجه لملا أوراق أخرى /

نجح المشارك [أ] في تغيير موقف المشارك [ب] منه وتعديل مسار الأفعال الكلامية من مهددة لماء الوجه إلى مقوية له، ونلاحظ ذلك في الدور الكلامي (١٦) الذي تحلى فيه المشارك [ب] عن أي شك أو تخوف أو توجس من المشارك [أ]، وذلك بقبوله إعطاء القلم دون تردد بعد أن اطمأن إليه.

(١٨) على مهلك [] أنا موجود بالصف ↓

يعبر الفعل الكلامي (على مهلك) عن مستوى النجاح الذي بلغه التعاون والتفاعل في المحادثة وهو ما جعل درجة التأدب الإيجابي ترتفع لدى المشاركين، فتغيب الأفعال الكلامية المهددة لماء الوجه تماما مثل أفعال الشك والتردد والرفض وتعوّض بأفعال كلامية تعبر عن الطمأنينة وحسن المعاملة وكسب الود والثقة، وهو ما ولد مزيدا من التأدب الإيجابي في الفعلين الكلاميين (١٩) و(٢٠).

(١٩) شكرا ↑ (. لحظة ↓ [] تفضل (. أعانك الله \

(٢٠) شكرا ↑ [] فضلك الله أخي \

ينتهي المشاركون محادثتهم عادة بالشكر^{٢٥} وتبادل التحايا كما هو الأمر في الدورين الكلاميين (١٩) و(٢٠). وتؤدي هذه الأفعال الكلامية المنجزة وظائف تأدبية وبرغماتية متعددة تمهد لانغلاق المحادثة وإنهاء التفاعل. وعادة ما يخضع هذا الأمر لقيود اجتماعية يكتسبها المتكلم من تجربته المعرفية والثقافية وتصبح عرفا أو شرطا من شروط التأدب في المجتمع وعلى المتكلم أن يتقيد به أو يحترمه ليحافظ على ماء وجهه وماء وجه مخاطبه حتى لا يكسر المجرى التفاعلي والتواصل في المحادثة.

٣٢. استراتيجيات التأدب في المحادثة

توصلت أهم المقاربات اللسانية التي اهتمت بدراسة التأدب، والتي قدمنا بعضها في البحث، إلى ضبط مجموعة من القواعد الاستراتيجية اعتبرها براون ولفنسن كونية واعتبرتها أوركيوني نسبة وخاضعة لشروط إنتاجها الاجتماعية والسياقية. وبعد تحليلنا للأفعال الكلامية التي تفيد التأدب في المحادثة تبين لنا أنها تشتغل بقوانين لسانية وأخرى اجتماعية وتخضع لجملة من القيود والمؤثرات السياقية والبرغماتية^{٢٦}. فتحليل الفعل الكلامي التأديبي وحده تحليلاً لسانياً لا يفي بالكشف عن طرق اشتغال التأدب كما ذهب إليه المقاربات السابقة وعلى هذا الأساس سنربط تحليل العناصر اللسانية بالعناصر غير اللسانية في المحادثة ونكشف عن الاستراتيجيات التي يبنها المشارك في المحادثة انطلاقاً من القيود اللسانية وغير اللسانية التي تتحكم في سير المحادثة وتتحكم في توزيع أدوارها وأفعالها الكلامية. ويمكن أن نضيف إلى ما توصلت إليه المقاربات السابقة مجموعة من الاستراتيجيات انطلاقاً من تحليلنا للمحادثة نضبطها على أساس سلم تراتبي يوجه اختيارات المتكلم إلى إنتاج أفعال كلامية تأديبية كالتالي:

١- استراتيجية الهدف

يرسم كل مشارك في المحادثة هدفاً أو أهدافاً يريد تحقيقها وعلى هذا الأساس يختار لها استراتيجية معينة، ووفقاً لذلك ينجز أفعالاً كلامية تأديبية مناسبة لموضوع الحديث ولطبيعة الشخص المشارك.

٢- استراتيجية التفاعل

لا تخلو كل محادثة من التفاعل، وهو أمر ضروري لاسترسال أدوارها الكلامية وعنصر من عناصر تحقيق أهدافها، ولذلك تعد درجة التفاعل بين المشاركين فيها أمراً مهماً في عملية التأدب وعاملاً من عوامل التأثير في اختيار الأفعال التأديبية المناسبة إذ كلما كانت درجة التأدب مرتفعة كان التفاعل ناجحاً ومثمراً.

٣- استراتيجية الإقناع

لكي يقنع كل مشارك في المحادثة مشاركته عليه أن يتبع استراتيجية إقناعية تقوم

أساساً على استراتيجية تأديبية يسلك فيها المشارك مسالك معينة باختيار أفعال كلامية تأديبية معينة تخدم استراتيجية الإقناع، فتكون منسجمة ومتناسقة مع رغبات وجه كل مشارك بعيداً عن منطق الربح والخسارة الذي وضعه ليتش^{٢٧} (١٩٨٣)، فاختيار الأفعال الكلامية التأديبية يجب أن يكون متناغماً مع بقية الأفعال الكلامية الموزعة في الأدوار الكلامية بطريقة هادفة تحقق الإقناع والقبول والرضاء.

٤- استراتيجية التواصل

تمثل هذه الاستراتيجية النتيجة الأساسية لتحقيق الاستراتيجيات السابقة إذ كل مشارك ينتج أفعاله الكلامية التأديبية وغيرها ويوزعها في المحادثة بهدف تحقيق استراتيجية تواصلية ناجحة. ولكي يصل المشارك إلى مبتغاه يلجأ إلى استعمال أفعال كلامية تأديبية يختارها وفق قيود المقبولة الاجتماعية حتى تكون مناسبة لسياق التلطف ولطبيعة العلاقة مع المخاطب. ويسعى كذلك إلى أن تكون العناصر النغمية والحركية المصاحبة للأفعال الكلامية التأديبية مناسبة ومنسجمة؛ إذ لا يكفي أن ينجز المتكلم فعلاً كلامياً تأديبياً حتى يضمن الحفاظ على ماء وجهه أو وجه المخاطب، بل إن الطريقة التي ينجز بها هذا الفعل لها بعد تأثيري في السامع وتوجه درجة قبوله وتفاعله خاصة على المستوى النفسي، وهو ما يزيد في درجة التأدب أو يقلل منها^{٢٨}.

يمكن أن نعتبر هذه الاستراتيجيات وغيرها قانوناً من قوانين تحليل ظاهرة التأدب في المحادثة باعتبارها نسيجاً لسانياً محكوماً بقواعد تركيبية ودلالية، ونسيجاً غير لسانياً محكوماً بقواعد برغماتية وثقافية واجتماعية، وهو ما يجعل ضبط قوانين التأدب ضبطاً صارماً أمراً لا يمكن تحقيقه على مستوى الإنجاز، إذ هناك من القيود اللسانية وغير اللسانية المتغيرة من فرد إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى مما يجعلنا نقر بأنّ قوانين اشتغال التأدب في المحادثة تظل نسبية ومقيدة بعوامل وسياقات لها من الخصوصية ما ينفي عنها صفة التعميم؛ رغم ما يوجد من أسباب منطقية تجعلها تكون مشتركة إلى حد ما خاصة إذا ما تشابهت السياقات والعوامل المنتجة لها.

٤. الخاتمة

كشفت معالجة نظرية التأدب في إطار تحليل المحادثة عن جملة من القوانين التي تشتغل بها قواعدها اللسانية وغير اللسانية. فمن القواعد اللسانية نجد أن الأفعال الكلامية التي تؤدي عملية التأدب منها ما هو خاضع للمعايير اللسانية التي تشكل بنية الدور الكلامي؛ إذ لاحظنا أن الفعل الكلامي التأدي غالباً ما يرد في صدارة الدور الكلامي، وقد يكون مباشراً وغير مباشر، وذلك حسب الاستراتيجية التي يتبعها المتكلم. ومن القواعد غير اللسانية وجدنا أن الفعل الكلامي التأدي يكون مصحوباً بقيود اجتماعية وثقافية تتغير حسب السياق وطبيعة العلاقة بين المشاركين في المحادثة، ومن بين هذه القيود الطريقة التي ينجز بها المتكلم الفعل التأدي باعتبارها عاملاً مؤثراً في درجة التأدب ومحدداً لمدى مقبوليته لدى الآخر وموجهاً إلى فهم مقاصده. وتبين لنا كذلك أن التصنيف الصارم للأفعال الكلامية التأديبة كما وضعته المقاربات السابقة^{٢٩} لم يكن مجدياً في تحليل المحادثة، إذ يبقى الأمر نسبياً ومتعلقاً بالأهداف والاستراتيجيات التي يضعها المشارك نفسه عند عملية التلطف، وقد ضبطناه في أربع استراتيجيات نأمل من خلالها ضبط إطار عام لتحليل الأفعال الكلامية التأديبة في المحادثة؛ خاصة أنه حسب رأينا لا توجد حدود فاصلة ومقننة بدقة بين الأفعال الكلامية المهذدة لماء الوجه والأفعال الكلامية المادحة له، إذ يتعلق الأمر بالمؤثرات السياقية والاجتماعية والثقافية التي يعتمد عليها المشارك في إنجاز أي فعل كلامي تأدي، وهذا ما يفتح الباب على مصراعيه لمزيد من البحوث والدراسات حول موضوع التأدب في تحليل المحادثة مما قد يكشف لنا عن قوانين اشتغال أخرى.

الهوامش

١. انظر الميساوي خليفة، الوصائل في تحليل المحادثة: دراسة في استراتيجيات الخطاب، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢.
٢. انظر كذلك حول هذه المسألة: بن عيسى عبد الحليم، تداولية مبدأ التأدب في إنجازية الفعل الكلامي، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، عدد ١، ١٩٩١. جامعة وهران ١ أحمد بن بلة، ص ٢٠٧.
٣. انظر للتوسع حول توضيح هذه القواعد، حاتم عبيد، نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، مجلة عالم الفكر، المجلد ٤٣، يوليو-سبتمبر ٢٠١٤. صص ١٢٠-١٢٣.
٤. انظر حول فهم التأدب وقوانين اشتغاله ووظائفه:
Kádár, D., & Haugh, M. (2013). *Understanding politeness*.
Cambridge: Cambridge University Press
٥. انظر حول هذه المسألة:
Blum-Kulka, S. (1987). Indirectness and politeness in requests: Same or different? *Journal of Pragmatics*, 11, 131-146
٦. انظر حول هذا الجدول:
Leech, G.N. (1983): *Principles of Pragmatics*. Londres, Longman. P 132
Carmen Alberdi Urquizu, 2009, g.174 ص
.Politesse, impolitesse, auto-politesse: Janus revisité p28
٧. انظر بحثهما الصادر ضمن كتاب جماعي بعنوان "السؤال والتأدب" ١٩٧٨.
Brown, Penelope and Stephen C. Levinson. (1978). Universals in language usage: politeness phenomena. *Question and politeness*, ed. by Esther N. Goody. Cambridge: Cambridge University Press
٨. انظر كتابهما:
Brown, Penelope and Stephen C. Levinson. 1987. *Politeness*:

Some universals in language usage. Cambridge: Cambridge University Press

٩. انظر حول هذه المسألة:

Jucker, A. H. (2012). Positive and negative face as descriptive categories in the history of English. In M. Bax & D. Z. Kádár (Eds.), *Understanding historical (im) politeness: Relational linguistic practice over time and across cultures* (pp. 175–194). Amsterdam: John Benjamins

١٠. انظر على سبيل المثال:

Eelen, G. (2001). *A critique of politeness theories*. Manchester: St Jerome.

١١. انظر حول هذه المسألة:

Kitamura, N. (2000). Adapting Brown and Levinson's 'Politeness' Theory to the Analysis of Casual Conversation. In *Proceedings of ALS2k, the 2000 Conference of the Australian Linguistic Society*, pp 1-8.

١٢. انظر حول هذه المسألة:

Coulmas, F. (Ed.). (1981). *Conversational routine*. La Haye, Paris, NY: Mouton.

١٣. انظر حول علاقة التآدب بالثقافة:

Bargiela-Chiappini, F., & Kádár, D. Z. (Eds.). (2010). *Politeness across cultures*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.

١٤. انظر حول مقاربتها المتعلقة بالتآدب:

Kerbrat-Orecchioni, C. (1992): *Les interactions verbales II*. Paris, A. Colin.

١٥. انظر حول هذه الفكرة:

Bousfeld, D. (2008). *Impoliteness in interaction*. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

١٦. انظر حول مسألة تكوين الوجه في التأدب:

-Arundale, R. (2010). *Constituting face in conversation: Face, facework and interactional achievement*. *Journal of Pragmatics*, 42(8), 2078–2105.

١٧. انظر حول هذه المسألة:

-Chang, W.-L. M. (2019). “The apology seemed (in) sincere”: Variability in perceptions of (im) politeness. *Journal of Pragmatics*, 142, 207–222.

١٨. دارت هذه المحادثة بالدرجة التونسية بين شخصين في مكتب بريد بمدينة تونسية

١٩. تعني الرموز المستخدمة في تحويل المحادثة من الصيغة الشفوية إلى المكتوبة الدلالات التالية:

تنغيم متصاعد بخفّة = /

تنغيم متصاعد بقوة = ↑

تنغيم هابط بخفّة = \

تنغيم هابط بقوة = ↓

وقف طويل يتجاوز ثلاث ثوان = []

وقف قصير يتجاوز ثانية واحدة = (.)

٢٠. انظر بحثها التالي:

Kerbrat-Orecchioni, C. (2014). (Im)politesse et gestion des faces dans deux types de situations communicatives: Petits commerces et débats électoraux. *SOPRAG*, 2, 293–326.

٢١. انظر حول هذه المسألة:

Goffman, E. (1967): *Interaction ritual: essays on face-to-face behaviour*. New York, Doubleday

٢٢. انظر حول هذه المسألة:

Watts, R. (2003). *Politeness*. Cambridge: Cambridge University Press.

٢٣. انظر كبريات أوركيني:

Kerbrat-Orecchioni, C. (2005). *Le discours en interaction*. Paris: A. Colin.

٢٤. انظر كذلك حول هذه المسألة خاصة في الثقافة التونسية:

Katsiki, S., & Zamouri, S. (2002). La formulation du vœu en français, en grec et en arabe tunisien. In C. Béal, & V. Traverso (Eds.), *Marges linguistiques*. <https://studylibfr.com/doc/2748286/la-formulation-n-du-vœu-en-français-en-grec-et-en-arabe>.

٢٥. انظر حول هذه المسألة: المساوي خليفة، الوصائل في تحليل المحادثة، خاصة القسم الخامس من الكتاب، ص ٢٠٧ وما بعدها.

٢٦. انظر حول هذه المسألة:

- Haugh, M., & Culpeper, J. (2018). Integrative pragmatics and (im) politeness theory. In C. Ilie & N. R. Norrick (Eds.), *Pragmatics and its interfaces* (pp. 213–239). Amsterdam: John Benjamins.

٢٧. انظر حول مراجعة ليتش لبعض أفكاره كتابه التالي:

Leech, G. (2014). *The pragmatics of politeness*. Oxford: Oxford University Press.

٢٨. انظر حول هذه المسألة:

Kádár, D. (2017). *Politeness, impoliteness, and ritual. Maintaining the moral order in interpersonal interaction*. Cambridge: Cam-

bridge University Press.

٢٩. انظر على سبيل المثال:

Terkouraf, M. (2008). Toward a unified theory of politeness, impoliteness, and rudeness. In D. Bousfeld & M. Locher (Eds.), *Impoliteness in language. Language, power and social process* (pp. 54–89). Berlin: Mouton de Gruyter

قائمة المراجع

- عبيد حاتم، نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، مجلة عالم الفكر، المجلد ٤٣، يوليو-سبتمبر ٢٠١٤. صص ١٢٠-١٢٣.
- بن عيسى عبد الحليم، تداولية مبدأ التأدب في إنجازية الفعل الكلامي، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، عدد ١، ١٩٩١. جامعة وهران ١ أحمد بن بلة، ص ٢٠٧.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدار البيضاء، / بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨.
- ليتش جيوفري، مبادئ التداولية، ترجمة عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠١٣.
- الميساوي خليفة، الوصائل في تحليل المحادثة: دراسة في استراتيجيات الخطاب، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢.
- Arundale, R. (2010). "Constituting face in conversation: Face, facework and interactional achievement". *Journal of Pragmatics*, 42(8), pp. 2078–2105.
- Bargiela-Chiappini, F., & Kádár, D. Z. (Eds.). (2010). *Politeness across cultures*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.
- Blum-Kulka, S. (1987). "Indirectness and politeness in requests:

- Same or different?" In *Journal of Pragmatics*, 11, 131–146.
- Bousfeld, D. (2008). *Impoliteness in interaction*. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.
 - Brown, Penelope and Stephen C. Levinson. (1978). "Universals in language usage: politeness phenomena". In *Question and politeness*, ed. by Esther N. Goody. Cambridge: Cambridge University Press.
 - Brown, Penelope and Stephen C. Levinson. 1987. *Politeness: Some universals in language usage*. Cambridge: Cambridge University Press.
 - Coulmas, F. (Ed.). (1981). *Conversational routine*. La Haye, Paris, NY: Mouton.
 - Eelen, G. (2001). *A critique of politeness theories*. Manchester: St Jerome.
 - Chang, W.-L. M. (2019). "The apology seemed (in) sincere: Variability in perceptions of (im) politeness". *Journal of Pragmatics*, 142, pp. 207–222.
 - Fraser, B. (1990): "Perspectives on politeness". In *Journal of Pragmatics*, 14, pp. 219-236.
 - Goffman, E. (1967): *Interaction ritual: essays on face-to-face behaviour*. New York, Doubleday.
 - Grice, H.P. (1975): "Logic and conversation". In P. Cole et J.L. Morgan (éds.), *Syntax and Semantics: Speech Acts*. New York, Academic Press, vol. 3, pp. 41-58.
 - Haugh, M., & Culpeper, J. (2018). "Integrative pragmatics and

- (im) politeness theory". In C. Ilie & N. R. Norrick (Eds.), *Pragmatics and its interfaces* pp. 213–239. Amsterdam: John Benjamins.
- Jucker, A. H. (2012). "Positive and negative face as descriptive categories in the history of English". In M. Bax & D. Z. Kádár (Eds.), *Understanding historical (im) politeness: Relational linguistic practice over time and across cultures*, pp. 175–194. Amsterdam: John Benjamins.
 - Kádár, D. (2017). *Politeness, impoliteness, and ritual. Maintaining the moral order in interpersonal interaction*. Cambridge: Cambridge University Press.
 - Kádár, D., & Haugh, M. (2013). *Understanding politeness*. Cambridge: Cambridge University Press.
 - Katsiki, S., & Zamouri, S. (2002). "La formulation du vœu en français, en grec et en arabe tunisien". In C. Béal, & V. Traverso (Eds.), *Marges linguistiques*. <https://studylibfr.com/doc/2748286/la-formulation-du-vœu-en-français-en-grec-et-en-arabe>.
 - Kerbrat-Orecchioni, C. (2014). "(Im)politesse et gestion des faces dans deux types de situations communicatives: Petits commerces et débats électoraux". *SOPRAG*, 2, pp 293–326.
 - Kerbrat-Orecchioni, C. (2005). *Le discours en interaction*. Paris: A. Colin.
 - Kerbrat-Orecchioni, C. (1995) : "La construction de la relation interpersonnelle : quelques remarques sur cette dimension du dialogue ". *Cahiers de Linguistique Française*, 16-17, 69-88.

- Kerbrat-Orecchioni, C. (1992) : *Les interactions verbales II*. Paris, A. Colin.
- Kitamura, N. (2000). "Adapting Brown and Levinson's 'Politeness' Theory to the Analysis of Casual Conversation". *In Proceedings of ALS2k, the 2000 Conference of the Australian Linguistic Society*, pp 1-8.
- Lakoff, R. (1973). "The Logic of Politeness ". *Papers from the Ninth Regional Meeting of the Chicago Linguistic Society*, pp 292-305
- Lakoff, R. (1989): "The limits of politeness: Therapeutic and courtroom discourse". *Multilingua*, n°8, pp101-129.
- Leech, G. (2014). *The pragmatics of politeness*. Oxford: Oxford University Press.-
- Leech, G.N. (1983): *Principles of Pragmatics*. Londres, Longman.
- Terkouraf, M. (2008). "Toward a unified theory of politeness, impoliteness, and rudeness". In D. Bousfeld & M. Locher (Eds.), *Impoliteness in language. Language, power and social process* (pp. 54–89). Berlin: Mouton de Gruyter.
- Urquizu Carmen, A. (2009). "Politesse, impolitesse, auto-politesse: Janus revisité". In *Çédille, revista de estudios franceses*, N°5, pp24-55.
- Watts, R. (2003). *Politeness*. Cambridge: Cambridge University Press.

مراجعة كتاب «فلسفة اللغة»

تأليف: صلاح إسماعيل

أ.د. ناصر بن فرحان الحريص^١

مدخل

«فلسفة اللغة» هو عنوان الكتاب الذي ألفه أستاذ الفلسفة بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة أ.د. صلاح إسماعيل، ونشرته الدار المصرية اللبنانية في القاهرة، سنة ٢٠١٧م (ط، ١). يقع الكتاب في ٢٦١ صفحة من الحجم المتوسط، ويحمل الرقم الدولي المعياري (ردمك): ٩٧٨-٩٧٧-٩٧٥-١٤٢-٥.

منذ بدايات القرن الماضي، أصبح موضوع فلسفة اللغة يحتل موضع الصدارة من اهتمامات الفلاسفة والباحثين؛ إذ أدى الاهتمام المتزايد بدور اللغة في تقريب الأفكار الفلسفية، إلى تغلغلها في كل مجال من مجالات الفلسفة تقريباً. ومنذئذ، اهتمت فلسفة اللغة بالقضايا التأسيسية المتعلقة باللغة، ويأتي في مقدمتها الإحالة والصدق وعلاقة ذلك بالمعنى والاستعمال اللذين منها انبثقت نظرية المعنى، التي تعد من أهم مباحث فلسفة اللغة وأكثرها تعقيداً. لقد كان سؤال المعنى: «ما مصدر كون اللغة تعني وتدل» أحد مظاهر ارتباط «مسألة اللغة بالفعل بما يمثل خصوصية البشر وطبيعة العقل» (أورو ٢٠١٠: ٧-٨).

وفي أواخر القرن الماضي، تداخل علم فلسفة اللغة مع علمي اللسانيات وفلسفة الذهن. فأمدّ الأول بمباحث ذات طابع فلسفي، كعلاقة اللغة بالفكر، وعلاقة اللغة بالعالم، وبالواقع، والوجود، والسلطة، والدين، والمجتمع وبغيرها من الموضوعات التي تربط اللغة بعلاقة ما. ولأن الفكر يشبه اللغة كثيراً، فقد شكّل معها «كلاً غير قابل للتفريق، يسمى أحياناً (نظرية المحتوى)، ويهدف إلى إيضاح طبيعة العلاقات التي تقيمها التمثيلات اللغوية والذهنية مع الواقع غير اللغوي أو غير الذهني»

*١- أستاذ اللسانيات بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية جامعة القصيم.

(ريكاناتي ٢٠١٦: ١٥-١٦).

كما سبق، تتضح لنا أهمية علم فلسفة اللغة في تعريفنا عن التفكير الفلسفي حول اللغة، وما أحاط به من قضايا ورؤى حددت الأسس الفلسفية للتفكير اللغوي على امتداد تاريخ اللغات البشرية، وأفرزت مقاربات فلسفية ذات طابع لغوي وآخر ذهني لملامح عامة في اللغة من قبيل الإحالة والمعنى والصدق وعلاقتها بالفكر والتمثيلات الذهنية والواقع. وتلك المقاربات الفلسفية لهذه القضايا نجد جلها ماثلاً شرحاً وتفسيراً ونقاشاً، وأحياناً نقداً، في الكتاب موضع المراجعة كما سيتضح ذلك عبر عرض مفصل لمحتوى فصوله، وعبر فحص تقويمي، في نهاية المراجعة، لمعرفة إلى أي مدى كانت إضافته مهمة في هذا الحقل.

فصول الكتاب

يحتوي الكتاب على مقدمة وسبعة فصول ويفتقر لخاتمة في نهايته. ألفت مقدمة الكتاب الضوء على التحول الذي طرأ على الفلسفة في النصف الأول من القرن العشرين عندما ظهر التحول/ المنعطف اللغوي *linguistic turn* في الفلسفة المعاصرة. وهو تعبير ابتكره جوستاف برجمان في مراجعته، عام ١٩٦٠، لكتاب سترابوسون: الأفراد. ولكن المصطلح تطور بعد ذلك، وتحول إلى اتجاه وحركة فلسفية بفضل أعمال ريتشارد رورتي ابتداءً، ثم لاحقاً في أعمال فريجه الذي كان له الدور الأبرز في ترسيخ هذا الاتجاه. وقد عرف هذا الاتجاه، فيما بعد، بالفلسفة التحليلية التي اتخذت اللغة موضوع الفلسفة المفضل؛ لأن دراسة الفكر لا بد أن تمر، أولاً، بدراسة اللغة باعتبارها مرآة للفكر، وباعتباره نافذة لها.

وتشير مقدمة الكتاب إلى أن بعض الباحثين ينسب ظهور هذا الاتجاه إلى الفيلسوف النمساوي فتجنشتين الذي كان يرى في كتابه رسالة منطقية فلسفية (١٩٢١) أن الفلسفة برمتها ما هي إلا نقد للغة. وقد زادت، لاحقاً، أعمال راسل وكواين وفلاسفة أكسفورد من تعميق اتجاه الفلسفة التحليلية التي منها نشأ وتشكل الفرع الفلسفي المعروف الآن بفلسفة اللغة كما سيوضح الكتاب في ثنايا فصوله.

يستفتح فصول الكتاب الفصل الأول: فلسفة اللغة: تحديد المصطلح، وبيان

الاتجاهات. وهذا الفصل جاء، وفق المتوقع والمتنظر منه، ليجلو غموض مصطلح فلسفة اللغة وتداخله مع المصطلحات الفلسفية الأخرى التي لها علاقة أو مساس باللغة. وقد مهد الفصل لذلك بيان أن اهتمام الفلسفة باللغة قديم قدم الفلسفة ذاتها، ويمكن تلمس ذلك في الفكر اليوناني الفلسفي منذ اهتمامه بعلوم اللغة والبلاغة والجدل عند السفسطائيين الأوائل كـ(بروتاجوراس)، أو في ذلك البحث العميق الذي قدمه أفلاطون (٣٤٨-٤٢٨ ق.م) في محاوره قراطيلوس. وفي فلسفة العصر الوسيط، استمر اهتمام الفلسفة باللغة عند فلاسفة الإسلام وفي مقدمتهم الفارابي (ت. ٣٣٩هـ) في كتابه الحروف. وفي الفلسفة الحديثة، عني الفلاسفة أصحاب الاتجاه العقلي باللغة مثل ديكرت (١٥٩٦-١٦٥٠) ولينتز (١٦٤٦-١٧١٦)، وكذلك أصحاب الاتجاه التجريبي مثل لوك (١٦٣٢-١٧٠٤)، وباركلي (١٦٨٥-١٧٥٣)، وهيوم (١٧١١-١٧٧٦)، ومل (١٨٠٦-١٨٧٣). ثم جاءت الفلسفة المعاصرة، كما وضح في المقدمة، وفيها ظهر المنعطف اللغوي الذي أسس بدوره لميلاد الفلسفة التحليلية الحاضر الأول لعلم فلسفة اللغة بدءاً من كتابات فريجه (١٨٤٨-١٩٢٥) ووصولاً إلى كتابات كواين وديفيدسون ودميت وبتنام وسيرل ولويس وبراندوم في وقتنا الحالي (ص ٢١-٢١). وبعد هذا التمهيد، انتقل الفصل إلى تمييز عدة مصطلحات يحدث خلط بينها وبين مصطلح فلسفة اللغة. فالأخير يعنى بتقديم أوصاف فلسفية للملامح عامة في اللغة من قبيل الإحالة والمعنى والصدق، ويناقش في المقام الأول العلاقة بين اللغة والمتكلم التي تنتج نظرية المعنى، والعلاقة بين اللغة والعالم التي تنتج نظرية الإحالة ونظرية الصدق. وبهذا المفهوم يصبح مصطلح فلسفة اللغة مبحثاً من مباحث الفلسفة، وحديث فلسفي «حول» اللغة، وليس «في» اللغة كما تفعل اللسانيات Linguistics التي هي دراسة علمية للغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وتتناول اللغة في بنيتها الداخلية من جميع جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وغيرها (ص، ٢٢). أما مصطلح الفلسفة اللغوية linguistic philosophy فهو، كمصطلح التحليل اللغوي linguistic analysis، يهتم بحل مشكلات تظهر في الميتافيزيقا والأخلاق والمعرفة، وغيرها من موضوعات الفلسفة، التي يعاد طرحها في صياغة لغوية. ثم تناول الفصل مصطلح فلسفة علم اللسانيات philosophy of linguistics الذي يختلف عن مصطلح فلسفة اللغة، خلافاً

لفودور (١٩٣٥-٢٠١٧) وكاتز (١٩٣٢-٢٠٠٢) في مقالها المعنون بـ«ما الخطأ فيما يتعلق بفلسفة اللغة؟» الصادر عام ١٩٦٢م، والذي خلص إلى نتيجة مفادها أنّ علم اللسانيات هو نظرية تجريبية في اللغة، فلا بد من تأويل فلسفة اللغة على أنها ليست شيئاً آخر غير فلسفة اللسانيات، أي الفرع المائل في كل جانب لفلسفة علم النفس وفلسفة الرياضيات وفلسفة الفيزياء.. إلخ (ص، ٢٣). وقد رفض المؤلف وجهة النظر هذه؛ لأن فيها تضييقاً لمجال فلسفة اللغة، وإلغاءً للمهمة الخاصة لفلسفة اللغة المحددة في كشف العلاقة بين صورة اللغة ومحتواها، ووضع عمليات استدلال حول طبيعة المعرفة المقامة أساساً على ما نعرفه حول بنية اللغة. وهذا ما يجعلها مجالاً متميزاً عن فلسفة علم اللسانيات التي هي جزء من فلسفة العلم، وعادة يكون اهتمامها الأساسي منصب على فحص النظريات والمناهج والممارسة لدى عالم اللغة الوصفي (ص، ٢٤). بعد ذلك ناقش الفصل عددًا من المجالات الفلسفية التي تظهر فيها عناية الفيلسوف باللغة، وهي (أ) الميتافيزيقا و (ب) المنطق و (ج) ونظرية المعرفة، وجميعها تتكىء على اللغة وعليها تعتمد (ص، ٢٤-٢٦).

ويختتم الفصل مباحثه بالحديث عن الاتجاهات الأساسية في فلسفة اللغة، مركزاً على ثلاثة اتجاهات يمكن تلخيصها كما يلي (ص، ٢٦-٢٧):

الاتجاه الأول: يمتد من فريجه ورسل وفتجنشتين المبكر عبر الوضعية المنطقية حتى يومنا الحالي في كتابات كواين وديفيدسون ودميت وبتنام. ويهتم هذا الاتجاه بالعلاقة بين المعنى والصدق.

الاتجاه الثاني: يمثله مور وفتجنشتين المتأخر ومدرسة أكسفورد أو فلاسفة اللغة العادية وأبرزهم: رايل وأوستن وستراوسون وجرايس، ويسير في ركابهم سيرل وهابرماس. ويصب هذا الاتجاه جل اهتمامه على العلاقة بين اللغة والمتكلم. وهنا ينشأ الاهتمام بأسئلة تتعلق باستعمال اللغة، وباللغة بعدها جزءاً من السلوك الإنساني. والسؤال الأساسي عند هذا الاتجاه هو: ما العلاقة بين المعنى والاستعمال؟

الاتجاه الثالث: تصوره كتابات تشومسكي التي أفرزت تصوراً معيناً لفلسفة اللغة تأثر به بعض أتباعه مثل كاتز وفودور. ويناقش هذا الاتجاه موضوعات تدور في فلك المعرفة اللغوية واعتبار النظرية اللغوية تفسيرية بدلا من أن تكون وصفية.

والسؤال الأساسي عند هذا الاتجاه هو: كيف نفسر الإبداع اللغوي؟ أو كيف يبدع الذهنُ اللغة؟

وقد استقطبت فلسفة اللغة في الآونة الأخيرة رؤى جديدة استفادت من كتابات فلاسفة مثل ديفيد لويس وروبرت براندوم وجون ماكدويل وغيرهم. يضاف إلى ذلك، إسهامات الفلسفة الأوروبية متمثلة في كتابات هيدجر وجادامر وريكور الذين يربطون بين اللغة والخبرة والوجود (الكيونوتة) والتأويل (ص، ٢٧).

حمل الفصل الثاني عنوان النظرية التجريبية في تعلم اللغة (كواين)، وفيه تطرق المؤلف إلى نزعة كواين (١٩٠٨-٢٠٠٠) التجريبية «السلوكية» في تعلم اللغة وتعليمها، والتي تقوم أساساً على رفض المذهب العقلي mentalism القائل إن المعاني هي الأفكار ideas، ومن ثم فإن الأخيرة كائنات عقلية خاصة بكل فرد، ولا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق أن يستبطن كل من يملكها ذاته (ص، ٣٣). وهذه النظرة، كما يراها أنصار النظرية التجريبية، تحول الأسئلة الخاصة بعملية التعليم إلى أسئلة لا طائل تحتها. وفي مقابل هذه النظرة، ظهرت نزعة في علم النفس وعلم اللسانيات والفلسفة في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين استبعدت الكلام عن الأفكار، وتناولت بدلاً من ذلك الظواهر القابلة للملاحظة والتجريب والقياس مع طرح المذهب العقلي القائم على الاستبطان الذي لا يركن إليه (ص ٣٣، ٣٤). ومن هنا، بات علماء النفس التجريبي وفي مقدمتهم واطسون (مؤسس المدرسة السلوكية في علم النفس) يؤكدون على أهمية السلوك ورفض المصطلحات العقلية مثل الوعي والعقل والفكرة، ومنهج الاستبطان، وتبني المنهج التجريبي الذي ينصب على السلوك الخارجي والظاهرة القابلة للملاحظة والتجريب. وفي مجال اللسانيات، تحلّى بلومفيلد عن المذهب العقلي واستبدله بمبادئ السلوكية؛ وذلك لأن مصطلحات ذلك المذهب غير علمية، ما دامت الصور الذهنية والمشاعر والأفكار مجرد ألفاظ عامة لحركات جسدية.

أما في مجال الفلسفة، وهو ما يهم موضوع الكتاب، فقد وجد البراهماتيون وفتجنشتين المتأخر أن الإشارة إلى الأفكار تشكل مصدر صعوبة كبيرة في فلسفة اللغة. بل ذهب كواين إلى أن السلوكيين على صواب في اعتقادهم بأن الكلام عن

الأفكار يعد من الأعمال السيئة في علم النفس. كما نظر إلى الأفكار على أنها من الأمور الضارة التي يجب اجتنابها عند دراسة اللغة، وألح، بدلاً من ذلك، على دراسة السلوك اللغوي القابل للملاحظة والمعينة (ص، ٣٤-٣٥). وقد وظف ذلك في تعلم اللغة في مراحلها الأولى. وهذا التوظيف يُظهر، كما لاحظ ستيفن جيز (٢٠٢٠)، تأثير كواين داخل إطار فلسفة اللغة، فقد عمق بنظريته اتجاه الانخراط النشط مع اللسانيات وأيد معاملة الفلسفة باعتبارها متشابكة جوهرياً مع العلوم التجريبية.

وقبل الشروع في عرض نظرية كواين التجريبية السلوكية في تعلم اللغة، انتقل الفصل للحديث عن أهم ثلاث نظريات حاولت تفسير طبيعة اللغة، وهي (أ) النظرية السلوكية التي وضعها السلوكيون أمثال اطسون وسكنر، و(ب) النظرية العقلية كما يمثلها تشومسكي وأتباعه (وسيناقشها الفصل الموالي)، و(ج) النظرية المعرفية عند جان بياجيه. ثم فصل الفصل الحديث عن خطوات تعلم الطفل للغة من وجهة نظر النظرية التجريبية التي كان يطمح مؤسسها، كواين، إلى بناء نظرية تجريبية سلوكية في تعلم اللغة بصفة عامة. وفي سبيل ذلك، وضح الخطوات التي يخطوها الطفل في تعلم اللغة، ولخصها في خطوتين (ص، ٣٩): (أ) إشارات استجابات الطفل اللفظية لمثيرات غير لفظية، و(ب) إشارات استجابات الطفل اللفظية لمثيرات لفظية:

يرى كواين أن الطفل يتجاوز بعد وقت ليس بالطويل تعلم لغته عن طريق خضوعه للإشارات للإثارات غير اللفظية، وينتقل من الاستجابة للإثارات مع جمل ذات كلمة واحدة إلى المشاركة في محادثة محدودة النطاق. وفي محاولة لتفسير هذا يفترض كواين أن الطفل يكون مشروطاً لربط جمل بجمل عبر إشارات جملة بوصفها استجابة لجملة بوصفها مثيراً (ص، ٤٠). وقد نبه الفصل إلى استحالة هذا الربط مع جميع الجمل في لغة معينة؛ لأن معظم الجمل التي نتحدث بها هي جمل لم نسمعها ولم نطقها من قبل. وهذا يعني أن كثرة الجمل التي يتكلمها متكلمو اللغة ليست عن طريق كونهم مشروطين للجمل الأخرى كما تذهب النظرية التجريبية في تفسيرها لمفهوم الإشارات الإجرائي الذي لا يستطيع أن يصمد أمام مفهوم الإبداع اللغوي عند تشومسكي (١٩٦٤: ٨، ١٩٧٥: ٦١) في أن متكلم اللغة المثالي على الرغم من

محدودية تجربته اللغوية إلا أنه يمتلك مقدرة على إنتاج وفهم ما لا يجد من الجمل التي يفهمها، فوراً، أعضاء جماعته اللغوية حتى وإن كانت جديدة بالنسبة لهم وله على حدٍ سواء. وهذا يدل على أننا فطرياً نتمتع بقدرات تمكننا من أن نتجاوز خبراتنا اللغوية الماضية ونضع عدداً لا متناهياً من الجمل الجديدة التي لا نعتمد في إبداعها على تلك الخبرات. وقد أشار الفصل إلى أن كواين حاول الخروج من هذا المأزق في فكرة (الاستبدال التمثيلي)، وهي فكرة لم يشرحها الفصل (ص، ٤١).

وفي سبيل بناء نظرية تجريبية سلوكية في تعلم اللغة، شرح الفصل في نهايته جمل الملاحظة *observation sentences*، التي يعرفها كواين عدة تعاريف أحدها وأهمها تعريف سلوكي يعتمد على فكرة المعنى المثير. أي، تصبح الجملة جملة ملاحظة عندما «يكون المعنى المثير لها واحداً بالنسبة لجميع المتكلمين للغة تقريباً، وأمثلتها من قبيل (إنها تمطر)، و (هذا أحمر)، و (هذا أرنب)» (ص، ٤٥).

ومن بين التعريفات التي اقترحها كواين لجمل الملاحظة، وفيه عدت جمل مناسبة وليست جملاً دائمة *standing sentences*، أن مراعاة قيمة الصدق فيها تختلف باختلاف الظروف السائدة في وقت النطق، وهي جملة من قبيل «هذا أحمر» و «إنها تمطر»، والتي تكون صادقة في مناسبة وكاذبة في مناسبة أخرى، وذلك على خلاف جملة مثل «السكر الحلو» التي تبقى قيمة صدقها بصرف النظر عن مناسبة النطق.

ومما سبق، استنتج الفصل ثلاث سمات يجب أن تستوفيها الجملة لكي تكون جملة ملاحظة، وهي (ص، ٤٥-٤٦):

١. أن تكون جملة مناسبة وليست جملة دائمة.
٢. أن تكون مناسبتها قابلة للملاحظة بشكل يبيّن ذاتي.
٣. أن تحظى بالموافقة من جميع المشاهدين اللذين ينتمون إلى المجتمع الكلامي الذي تقال فيه الجملة.

وختم الفصل حديثه عن جمل الملاحظة ببيان دورها المتمثل في أمرين مهمين أولهما دلالي يجعل جمل الملاحظة هي المدخل إلى اللغة؛ لأنها أول ما نتعلمه منها، وثانيهما برهاني يجعلها هي المدخل إلى العلم وفحص النظرية العلمية، بما تقدم من

أساس مشترك يلتقي فيه العلماء عندما ينشأ بينهم خلاف حول نظرية من النظريات (ص، ٤٧).

ويواصل الكتاب في الفصل الثالث تقديم تصور فلسفي آخر في اكتساب اللغات وتعلمها؛ فيخصص الفصل للحديث عن النظرية العقلية ودورها في اكتساب اللغة وتفسير طبيعة المعرفة الإنسانية عبر منظور نظرية النحو التوليدي لعالم اللسانيات الأمريكي المعروف ناعوم تشومسكي. وقد بُدئ الفصل بمقدمة تمهيدية عن تشومسكي وظهور اسمه في الدرس اللساني بشكل لافت عندما نشر مقاله الذي انتقد فيه النظرية السلوكية التي ترى أن السلوك أساسي في فهم الظواهر العقلية. وقد كان مقاله (١٩٥٩) مراجعة ونقداً لاذعاً لكتاب سكرن (١٩٠٤ - ١٩٩٠): السلوك اللفظي (١٩٥٧). وفي تلك المراجعة التي نشرت في مجلة اللغة، قوض تشومسكي دعائم المدرسة السلوكية التي شكلت منذ بداية ثلاثينيات القرن الماضي، المذهب الأكثر انتشاراً بأرائه وأساليبه التي أثرت بشكل لافت في مسار الدرس اللساني، وغيرت كثيراً من مفاهيمه. ومن جميل الإضافة التي أضافها الفصل في هذا الصدد، تفريقه بين السلوكية العلمية (النفسية والمنهجية) والسلوكية الفلسفية (المنطقية والتحليلية) (ص، ٥٨). فالأولى، وهي المعنية بنقد تشومسكي، ظهرت في القرن العشرين على يد واطسون (١٨٧٨ - ١٩٥٨) الذي أدخل المصطلح إلى علم النفس سنة ١٩١٣، ثم تطورت على يد هول وتولمان وسكرن. وجاءت السلوكية في علم النفس بمثابة خروج على التقليد الاستبطاني وذلك عن طريق إعادة تعريف المهمة الملائمة لعلم النفس على أنها تفسير السلوك والتنبؤ به. أما الثانية (أي، السلوكية الفلسفية) فهي دعوى دلالية حول معاني التعبيرات العقلية، وجاءت صورتها البارزة عند الوضعيين المنطقيين وبخاصة كارناب وهمبل واير، ثم تجلت صيغتها المؤثرة في كتاب مفهوم العقل ١٩٤٩ لجلبرت رايل، والتي يمكن إيجازها في عبارة تقول إن العقل استعداد للسلوك.

وبعد تعداد المبادئ العامة التي تركز عليها السلوكية بصفة عامة، انتقل الفصل في حديث مركز عن نظرية بلومفيلد في اللغة التي كشف عنها في كتابه الشهير اللغة (١٩٣٣)، وفيه أعلن عن مشايعته للمذهب السلوكي وتفضيله على التناول العقلي

للغة الذي تحلى عنه تماماً سنة ١٩٢٦م حين كتب بحثه: مجموعة مسلمات لعلم اللغة، وطرح فيه وجهة نظر سلوكية في تفسير طبيعة المعنى اللغوي تكمن في ملامح المثير ورد الفعل القابل للملاحظة في المنطوقات. وبذلك هو يؤكد أن الدراسة العلمية الصحيحة للغة تبدأ من ملاحظة الكلام العادي (ص ٦٥-٦٦).

ويوضح الفصل قبل حديثه التفصيلي عن النظرية التوليدية في جانبيها العلمي والفلسفي، موقف تشومسكي من النظرة السلوكية لطبيعة اللغة، الراض لها؛ لأنها، في نظره، عاجزة عن أن تقدم لنا تفسيراً مقنعاً لتعلم اللغة واستعمالاتها. فالاستجابات اللغوية لا تخضع كلية لسيطرة المؤثرات الخارجية، ذلك أننا نستعمل اللغة للتعبير عن الفكر في المقام الأول، والاستعمالات اللغوية لا حصر لها. والخطأ الذي وقعت فيه السلوكية هو الانبهار بنجاح التجارب التي أجريت على الحيوان وتوسيع مجالها بحيث تنطبق على الإنسان. والشيء الذي غاب عن أنصارها أن اللغة الإنسانية ليست نمطاً من العادات يمكن أن يشترك فيه الإنسان والحيوان، وإنما هي ميزة إنسانية فريدة (ص، ٦٦).

وفي نقاش مفصل ومركز، قلما نجده في مرجع آخر، يتناول الفصل نظرية النحو التوليدي من جوانب متعددة، أهمها توضيحه لأهداف النظرية اللغوية التي يطمح تشومسكي منذ أول كتاب كتبه عنها، أعني كتاب البنى التركيبية (١٩٥٧) إلى جعلها متمثلة في نظريته الوليدة آنذاك. وهذان الهدفان هما: (أ) تقديم نموذج جديد للنحو، و(ب) مناقشة طبيعة النظرية اللغوية وأهدافها (ص، ٦٨). وينتقل الفصل، بعد ذلك، للحديث عن الجذور التاريخية للنحو التوليدي ويرجعها إلى التقليد البنيوي *structuralist tradition* في علم اللسانيات، وبشكل أخص إلى بنوية ما بعد بلومفيلد *post-Bloomfieldian structuralism*، وكان أستاذ تشومسكي زيلج هاريس *Zellig Harris* واحداً من روادها، وورث عنه تشومسكي وجوب صياغة التحليل اللغوي في حدود صورية (ص، ٧٠). وأما في الجانب الفلسفي، فتعود جذور النحو التوليدي، كما سيأتي تفصيله في نهاية الفصل، إلى النزعة العقلية في الفلسفة لا سيما في القرن السابع عشر، قرن العبقرية كما يسميه تشومسكي.

ومن أهم ما تناول الفصل تقديم فهم جدير بالتأمل عن المغزى الثوري لنموذج

النحو التوليدي. وهو فهم لا يتم إلا عبر مقارنته بالنموذج البنيوي؛ لتتضح أوجه التعارض بينهما. ويتجلى الاختلاف الجذري بين النموذجين في محاولة تشومسكي لإعادة النظر في أهداف النظرية اللغوية التي حددها البنيويون في هدف متواضع يتمثل فقط في الدراسة التصنيفية أو الوصفية للغة، وفيها يقوم عالم اللغة، مستخدماً المنهج الاستقرائي، بجمع معطياته من لغة معينة، ثم يصنف هذه المعطيات إلى مستوياتها المختلفة، فيبدأ بالأصوات اللغوية، ثم ينتقل إلى الوحدات الصوتية، وبعد ذلك تأتي الكلمات، ثم الجمل وأخيراً أنواع الجمل. أما النموذج التوليدي فيرى أن تركيز النموذج البنيوي على جمع المعطيات اللغوية وتصنيفها لا جدوى من ورائه، وأن الهدف الملائم للنظرية اللغوية هو المعرفة التي يملكها المتكلمون الأصليون، والتي تمكنهم من إنتاج الجمل وفهمها. ويسمي تشومسكي هذه المعرفة باسم القدرة اللغوية *linguistic competence* (ص، ٧١). وهذا القدرة يميزها تشومسكي عن الكلام. ويعد هذا التمييز مبدأً أساسياً من مبادئ النظرية التوليديّة.

وفي مبحث مهم يتناول الفصل بالشرح دلالة مصطلح النحو التوليدي، ويتبع التطور في أفكار النحو التوليدي عند مؤسسه وعند أتباعه، وقد انحصرت تبعه عند تشومسكي في نموذجين أطلق عليهما: (أ) نظرية تشومسكي عام ١٩٥٧، و(ب) النظرية النموذجية ١٩٦٥. والحق أن الأولى اصطلاح على تسميتها في تاريخ النظرية بالنظرية المعيارية *Standard Theory*، والثانية بالنظرية المعيارية الموسعة *Extended Standard Theory* ولم يأت الكتاب على النظريات الأخيرة التي أحدثت نقلة نوعية في أفكار النظرية، أعني نظرية المبادئ والوسائط *Principles and Parameters* التي بلورها تشومسكي في نظريتين مشهورتين: نظرية العمل والربط الإحالي *Government and Binding Theory* الممتدة ما بين ١٩٨١ و ١٩٨٥، ونظرية الحواجز أو العوائق *Barriers* التي رأت النور سنة ١٩٨١. ومؤخراً وابتداءً من سنة ١٩٩٥، أدخل تشومسكي تعديلات جديدة على نظريته، واقترح لها اسم البرنامج الأدنى *Minimalist Program* الذي يمتاز بالبساطة في التحليل والبعد عن التعقيد، باعتماد استنتاجات صورية قائمة على عدد محدود من الفرضيات القادرة على تغطية أكبر قدر من المعطيات والوقائع. وقد كان الباعث الأساس لتبني هذه النظرية الجديدة هو تلافي التعقيد الذي كان موجوداً في النظريات السابقة (ينظر

بارتشت ٢٠٠٤، وغلفان وآخرون ٢٠١٠، والحريص ٢٠١٤).

ومن القضايا التي تناولها الفصل ويندر وجودها في المراجع العربية عن النظرية، ما قام به أتباع تشومسكي من محاولة تعديل نظرياته وتطويرها بإضافة بعض العناصر إليها أو تقديم بدائل لها. ومن أبرز صور هذا التطوير النظرية التي عرفت باسم علم الدلالة التوليدي *generative semantics*. وقد دافع عن هذه النظرية مجموعة من علماء اللغة من أمثال جورج لاكوف وبول بوستال وجون روس. وينظر علماء الدلالة التوليديون إلى المكون الدلالي للنحو على أنه الأساس التوليدي الذي تشتق منه البنية التركيبية. وقد قضى الفصل وقتاً طويلاً في التعريف بالنظرية لينفذ إلى ما له علاقة ماسة بموضوع الكتاب، وهو بيان الخلفية الفلسفية للنظرية. وفي هذا الصدد، نجد أنه يؤكد على أن الأفكار والنظريات التي طرحها تشومسكي تستند على أسس فلسفية عقلية؛ إذ لا تميز صارماً عنده بين الفلسفة والعلم، ونجد أنه يستشهد ببعض الفلاسفة الذين تعتمد أفكارهم على أصول علمية مثل ديكارت وهيوم، ويرى أن دراسة اللغة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بدراسة الفكر إن لم تكن الدراستان دراسة واحدة. وبعد أن أثبت تشومسكي إخفاق المذهبين التجريبي والسلوكي اللذين ارتكزت عليهما اللسانيات البنوية خاصة في بنوية ما بعد بلومفيلد كما أشير سابقاً، طفق يبحث عن مبادئ أخرى، ووجد ضالته في المذهب العقلي عند ديكارت وليبنز ووليم فون همبولت وأصحاب منطق بور روبال. ومن نافلة القول التأكيد على أن هذه الأصول العقلية تردت في التراث الغربي إلى أفلاطون الذي حظي باهتمام في بعد النظرية الفلسفي؛ إذ كان ما يعرف بمشكل/ مشكلة أفلاطون أحد روافد هذا البعد، وأهم مصدر للإجابة على الأسئلة التي طرحتها النظرية في دراستها لطبيعة اللغة الإنسانية ودورها في نظرية المعرفة (ص، ٨٣-٩٠):

(أ) ماذا نعرف عندما نستطيع تكلم اللغة وفهمها؟

(ب) كيف تكتسب هذه المعرفة؟

(ج) كيف تستعمل؟

(د) ما العمليات العضوية التي تدخل في تمثيل هذه المعرفة واكتسابها واستعمالها؟

وفي خاتمة الفصل نوقش سؤال تشومسكي ذو الطابع الفلسفي الذي طُرح في مستهل كتابه (اللغة والعقل): ما الإسهام الذي يمكن أن تقدمه دراسة اللغة لفهم الطبيعة البشرية؟ وقد ارتكزت إجابة هذا السؤال على مجموعة من الأفكار المرتبطة بفكرة أساسية هي فكرة الإبداعية اللغوية التي يرى المؤلف أنها أكثر الأفكار تأثيراً في فلسفة اللغة عند تشومسكي؛ لأنه استخدمها باعتبارها حجة لإثبات أن النوع البشري يختلف اختلافاً جوهرياً عن أي شيء آخر في العالم المادي. يضاف إلى ذلك، أن فكرة الإبداعية هي التي كشفت عن نقائص النظرية التجريبية والسلوكية في دراسة اللغة وتعلمها، وهي أيضاً الفكرة التي اقتضى تفسيرها أن يسلم تشومسكي بمفاهيم أخرى في نزعته العقلية مثل فرض الفطرية اللغوية language Instinct ومفهوم الكليات اللغوية أو النحو الكلي Universal Grammar (ص، ٩٠). وفي واقع الأمر، أن ما ذكره المؤلف في هذا الجانب هو لبّ فكر النظرية التوليدية في إسهامها الفلسفي واللغوي في فهم طبيعة اللغة البشرية، أهم ما ميزها على الإطلاق (ينظر الحريص ٢٠١٨).

يناقش الفصل الرابع المعنون بـ(نظريات المعنى) إحدى المشكلات التي يوليها علم فلسفة اللغة جل اهتمامه، وهي مشكلة المعنى التي شكلت وما زالت تحدياً للعقل الإنساني؛ إذ إن سؤال: «ما معنى كذا؟» مطروح على الإنسان منذ القدم، أي منذ أن بدأ يتواصل مع الآخرين، وحاول إدراك العالم الخارجي من حوله. ولعل الظاهرة الكلامية في مجتمع لغوي معين من أكثر الظواهر إثارة لمشكلة المعنى، وذلك لأن هناك علاقة حميمة بين المعنى والكلام أو اللغة عموماً، فليس ثمة لغة من دون معنى (ص، ١٠٥). ويقع هذا السؤال من الفلسفة في صميم صميمها كما يقول المؤلف؛ وإليه ينجذب المشتغلون بحقول معرفية أخرى مثل علم اللسانيات الذي يشغل المعنى فرعاً كاملاً من فروعها ألا وهو علم الدلالة، كما يتناول المعنى مجالات علم النفس والاثنوبولوجيا والأدب وغيرها من العلوم (ص، ١٠٦).

وقد أشار الفصل إلى أهمية المعنى في علم فلسفة اللغة معللاً ذلك بأن فيلسوف اللغة لا يستطيع أن يتناول الموضوعات التي تشكل مجال بحثه تناولاً دقيقاً، إلا إذا عمد أولاً إلى تحديد موقفه من المعنى، وطرح على نفسه مجموعة من الأسئلة من

قبيل: ما علاقة المعنى بتعلم اللغة؟ وما علاقة المعنى بالإحالة؟ وما علاقة المعنى بالصدق؟ وما علاقة المعنى بالتواصل؟ وما علاقة المعنى بالفهم؟ وما علاقة المعنى بالترجمة؟ وتعدد الإجابات عن مثل هذه الأسئلة تعدد نظريات المعنى، وتنضخ إشكليته. وقد صور كاتز، وهو من أبرز فلاسفة اللغة المعاصرين الذين اهتموا بمشكلة المعنى اهتماماً جاداً، إلى وجود اتفاق عام على أن السؤال الأساسي في علم الدلالة هو: ما المعنى؟ ولكن هذا الاتفاق سرعان ما يتلاشى بعد ذلك وتظهر الخلافات اللامتناهية حول نوع الشيء الذي يكون معنى. ويجمع ألتون نظريات المعنى في ثلاث نظريات هي (ص، ١٠٨):

(أ) النظرية الإشارية *referential theory*: وتذهب إلى أن معنى التعبير هو ما يشير إليه.

(ب) نظرية الأفكار *ideational theory*: وترى أن معنى التعبير هو الأفكار التي ترتبط به أو تناظره في ذهن المتكلم والمستمع. ويشيع تسمية هذه النظرية في أدبيات اللسانيات الدلالية العربية باسم النظرية التصويرية (عمر ١٩٩٨)، بينما يطلق عليه محمود فهمي زيدان، في كتابه فلسفة اللغة، مسمى النظرية الفكرية، (١٩٨٥: ٩٦).

(ج) النظرية السلوكية *behavioral theory*: وتزعم أن معنى التعبير هو المثير الذي يستدعي نطقه أو الاستجابة التي يستدعيها التعبير بدوره.

هذا، ويوجد تصنيف آخر لنظريات المعنى، ذكره الفصل، يحصيها في خمس نظريات (ينظر ص، ١٠٨-٠٩).

وبعد هذا التمهيد العام، ينتقل الفصل للحديث عن بعض تلك النظريات وأبرز المآخذ عليها. وفي هذا الجانب، نجد شرحاً وافياً لنظرية الأفكار (ص، ١٠٩-١١٢)، ويتلوهما الحديث عن نظرية التحقق (ص، ١١٢-١١٧)، غير أن الحديث الأكثر تفصيلاً كان عن نظرية الاستعمال في المعنى (ص، ١١٧ حتى نهاية الفصل ص، ١٢٩). والأخيرة يعدها المؤلف النظرية الأكثر ملاءمة من سواها لطبيعة اللغة والبحث الفلسفي فيها، إذ إنها تستوعب كثيراً من النظريات الأخرى في المعنى وتتفادى نقائصها (ص، ١٢٨). وتعتمد نظرية الاستعمال في المعنى على افتراض مؤداه أن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة، أي أن المعنى لا يتضح إلا من خلال وضع الكلمة أو التعبير في سياق. وتعود جذور هذه النظرية إلى كتابات

فتجنشتين الأولى، غير أن هذه الإرهاصات قد اكتملت وشكلت نظرية واضحة في كتبه المتأخرة. ثم جاء فلاسفة أكسفورد فطوروا هذه النظرية وأضافوا إليها أبعاداً جديدة نالت بها تأييد أصحاب الاتجاه الوظيفي في علم اللسانيات (ص، ١١٧، ويقارن ذلك مع ما ذكر عن علم الاستعمال في الفصل ٦ كما سيأتي).

ويقارن الفصل بين فلسفتي فتجنشتين المبكرة والمتأخرة ودورهما في بلورة هذه النظرية. وفي هذا الصدد، يصف الفصل فتجنشتين في تحول أفكاره بالمبكر والمتأخر من غير توضيح لذلك. ففتجنشتين المبكر ذهب في كتاب (رسالة منطقية فلسفية) إلى القول بنظرية الصورة في اللغة ومفادها أن اللغة رسم للوجود الخارجي أو تصوير له. في المقابل، فإن فتجنشتين المتأخر قد أدرك جوانب القصور في هذه النظرية وراح ينقد الافتراض العام الذي مؤداه أن معنى أي كلمة هو الشيء الذي تشير إليه أو تمثله، وقد حاول اجتناب هذا القصور فعثر على حيلة جديدة هي «ألعاب اللغة»، ولقد نتج عن هذا المفهوم المحوري الجديد نظرية جديدة في المعنى هي نظرية الاستعمال التي توجزها العبارة القائلة: «لا تسأل عن المعنى، بل اسأل عن الاستعمال» (ص، ١١٨، ولمزيد تفصيل عن فكرة فتجنشتين حول «ألعاب اللغة» ينظر الفصل الأول من كتاب المؤلف اللغة والعقل والعلم في الفلسفة المعاصرة (٢٠١٨)).

فيما بعد، طور فلاسفة مدرسة أكسفورد نظرية الاستعمال وأضافوا إليها أبعاداً جديدة حتى أصبحت نظرية تميزهم كتيار من تيارات الفلسفة التحليلية. وقدموا تعريف المعنى في حدود الاستعمال باعتباره قاعدة منهجية عملية.

ويختتم الفصل حديثه عن نظرية الاستعمال في المعنى بذكر الأسباب التي تجعل من هذه النظرية أكثر ملاءمة من سواها لطبيعة اللغة والبحث الفلسفي فيها على وجه الخصوص. ومن أبرز تلك الأسباب أن التعبير اللغوي الواحد في إطار نظرية الاستعمال يمكن أن يكون له أكثر من معنى، والذي يفصل بين هذه المعاني هو السياق الذي يرد فيه التعبير (ص، ١٢٨-٢٩).

نظريات قصد الاتصال كان عنوان الفصل الخامس، وخصص للحديث عن مفهوم المعنى عند الفيلسوف الإنجليزي بول جرايس (١٩١٣-١٩٨٨) الذي

يعد، كما يرى المؤلف، فيلسوف المعنى بحق؛ إذ كرس جل جهده الفلسفي لدراسة المعنى. وقد وصفه المؤلف بوصف طريف دال هو (الفيلسوف القنفذ) مستعيناً بالاستعارة الجميلة التي ابتكرها أشعيا برلين (١٩٠٩ - ١٩٩٧) حين فرق بين نوعين من الكتاب والمفكرين ممن يكونون على طرفي نقيض: القنافذ والثعالب (والقارئ مدعو لقراءة هذا التفريق الدال والمعبر في ص، ١٣٨).

والفصل في جله نقاش واحتفاء بإسهامات جرايس وعلاقته بفلسفة اللغة العادية. ويعكس الفصل مدى إلمام المؤلف بفكر الرجل وفلسفته في تحليل المعنى (ينظر كتابه نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ٢٠٠٧). ويلخص الفصل أشهر إسهامات جرايس في فلسفة اللغة بما يلي: (أ) تحليله للمعنى لدى المتكلم *speaker's meaning* أو نظرية قصد الاتصال في المعنى، و(ب) نظرية الاقتضاء التحادثي *conversational implicature*، و(ج) فلسفة الأخلاق التي حاول أن يقدم فيها أساساً ميتافيزيقياً للقيمة كما فعل في كتابه مفهوم القيمة (نشر ١٩٩١)، وجوانب العقل (نشر ٢٠٠١). وقد ظهرت كتابات جرايس في المعنى على هيئة مقالات نشرت في المجالات الفلسفية الرائدة على مدار ما يزيد على ثلاثين عاماً، وجمعت هذه المقالات في كتاب دراسات في طريق الكلمات عام ١٩٨٩.

وقد لخص الفصل عددًا من أفكار جرايس في المعنى والاتصال حفل بها الفلاسفة وأصحاب العلم المعرفي وعلماء اللغة (ص، ١٤٠-٤١). وقد أشار الفصل إلى التباين بين جرايس وفلاسفة اللغة العادية وإن كان محسوباً عليهم. ومن بين الأفكار المحورية التي لا يتفق فيها مع أنصار هذه الفلسفة، فكرة أن المعنى هو الاستعمال. وعدم الاتفاق هذا يمكن ملاحظته في فكرته الأساسية عن المعنى التي ترى أن المتكلم يعني شيئاً (ما) عندما يلفظ قولاً في مناسبة محددة. وكل الأفكار الأخرى المتعلقة بالمعنى يتعين معالجتها، عنده، على أنها «مشتقة» و«مفسرة» (في حدود هذه الفكرة الأساسية).

ومن أهم مباحث الفصل ذلك المبحث المعنون بـ(معركة هوميرية: نظريات الاستعمال في مقابل النظريات الصورية)، وفيه شرحت الأسئلة المتعلقة بالمعنى (ص، ١٤٦). وكان المهم منها، لمن يريد دراسة فلسفة المعنى، سؤالين هما: ما معنى الجملة

speaker's meaning؟ وما المعنى لدى المتكلم

ثم ناقش الفصل بناء على السؤالين السابقين مسألة العلاقة بين معنى الجملة والمعنى لدى المتكلم. هل نفس معنى الجملة في حدود المعنى لدى المتكلم أم العكس؟ رأى فريجه أن تفسير معنى الجملة، المتمثل في امتلاك شروط الصدق، يأتي في المقام الأول، ثم يأتي تفسير المعنى لدى المتكلم بعد ذلك. ولكن الرأي عند جرايس أن طريقة فريجه تقلب الأمور رأساً على عقب، وأن الصواب هو أن تفسير معنى الجملة يأتي في حدود المعنى لدى المتكلم (ص، ١٤٧). هذا التباين في الرأي بين فريجه وجرايس قاد، كما لاحظ ستراوسون في مقالته «المعنى والصدق»، إلى استقطاب كبير بين فريقين من الفلاسفة: فريق ناصر فكرة فريجه (وسموا أصحاب علم الدلالة الصوري)، وفريق أيد فكرة جرايس (وسموا أصحاب نظرية قصد الاتصال) (ص، ١٤٧).

وفي المبحث الرابع، يناقش الفصل المعنى لدى المتكلم عبر تمييز نوعين من المعنى هما المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي (ص، ١٥٥-٥٧). ثم ينتقل الفصل إلى حديث موجز عن نظرية قصد الاتصال وبنية الجملة في المبحث ٥ (ص، ١٦٥)، قبل أن يناقش في المبحث الأخير المعنى اللغوي linguistic meaning بعد أن مهد له بحديث مستفيض عن المعنى عند المتكلم. وقد أراد جرايس بذلك أن يؤسس مفهوم المعنى اللغوي على مفهوم المعنى لدى المتكلم. وهذه الأسبقية للمعنى لدى المتكلم تتفق مع نظرة جرايس لمفهوم المعنى بوصفه أوسع من المعنى اللغوي، ذلك أن المعنى يقع في اللغة وخارجها على حد سواء. ولكن هذه النظرة الواسعة للمعنى لم تمنع جرايس وأنصاره من أن يحددوا لأنفسهم هدفاً نهائياً هو الملاءمة بين تحليلهم للمعنى والمعنى اللغوي (ص، ١٦٧).

ومن أبرز القضايا التي ناقشها الفصل في هذا المبحث قضية أن المعنى اللغوي timeless linguistic meaning is timeless. والمعنى الخالد timeless meaning هو الذي تملكه منطوقاتنا عندما لا ترتبط بمناسبة معينة للنطق. وبعبارة أخرى، هو المعنى الذي لا يعتمد على أي مناسبة محددة للاستعمال. ووفق هذا الفهم يكون المعنى اللغوي مثالا للمعنى الخالد، ويكون أيضاً مقابلاً للمعنى

لدى المتكلم الذي يرتبط بموقف النطق أو الكلام. بمعنى آخر، المعنى اللغوي هو الاصطلاح بالإضافة إلى القصد، أو قل هو خليط من الاصطلاح والقصد (ص، ١٧١).

وبعد أن خُصِّصَ الفصل الرابع والخامس للحديث عن علم الدلالة وتحت مظلتها نوقش مشكل فلسفة اللغة الأول، أعني مشكل المعنى وما يتصل به من قصد الاتصال في المعنى (القصدية)، جاء الفصل السادس ليلقي الضوء على قضايا المعنى في علم الاستعمال وقواعد المحادثة. ويعني المؤلف بعلم الاستعمال ما استقر في اللسانيات العربية على تسميته بعلم التداولية Pragmatics. وكما كان من المتوقع، جعل أول مباحث الفصل التمييز بين علمي الدلالة Semantics والاستعمال Pragmatics. ويتولد التمييز بينهما عبر التمييز بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الإضافي. ووفقاً للمؤلف، تظل نظرية جرايس في الاقتضاء implicature هي الإسهام الأصيل في كيفية التوصل إلى المعاني الأخرى التي تضاف إلى المعاني الحرفية للجملة، وإن كان أصل هذا التمييز يعود وضعه لـ (تشارلز موريس) أول من ابتكر مصطلح Pragmatics وقصره على معالجة علاقة العلامات بمفسريها. في المقابل، قصر علم الدلالة على معالجة علاقة العلامات بالموضوعات التي تدل عليها (ص، ١٨١-٨٢).

وفي الفصل نقاش ثري عن حدود علم الاستعمال وفروعه (أي، علم التداولية كما أسلفنا)، وهو مبني على مرجعيات علمية أصيلة في نشأة العلم ودراسته تكاد تنعدم في المرجعيات اللسانية العربية المعاصرة. وفي هذا الصدد، يقسم الفصل علم الاستعمال، كما يحلو للمؤلف أن يسميه، إلى عدة فروع. يبحث الفرع الأول كيف يحدد السياق معنى قضيويًا واحدًا لجملة في مناسبة معينة لاستعمال هذه الجملة. ونظرية الفعل الكلامي speech act theory هي الفرع الثاني من علم الاستعمال. والفرع الثالث من علم الاستعمال (ولا ينفصل انفصلاً تاماً عن الفرع الثاني) هو نظرية المحادثة Theory of Conversation أو نظرية الاقتضاء Theory of Implicature (ص، ١٨٣).

ويتنقل الفصل لإلقاء الضوء مرة أخرى على إسهامات جرايس الرائدة في

دراسة المعنى. ويتحدث الفصل عن إجماع بين الفلاسفة على أن جرایس هو أول من قدم دراسة نسقية منهجية تعالج الاختلافات بين المعنى لدى المتكلم (أي معنى القول)، ومعنى الجملة، وما يقتضيه كل منهما. وفي مقابل مصطلح اللزوم implication في المنطق، ابتكر جرایس مصطلح الاقتضاء implicature والفعل implicate، واشتقته من الفعل imply بمعنى يتضمن أو يستلزم، والذي اشتق بدوره من الفعل اللاتيني plicare بالمعنى نفسه. والاقتضاء في عبارة موجزة «يعني عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءاً مما تعنيه الجملة بصورة حرفية» (ص ۱۸۳-۸۴). وقد ميز جرایس بين نوعين من الاقتضاء. أولهما: الاقتضاء الاتفاقي conventional implicature وينشأ عن طريق المعنى الاتفاقي للكلمات المنطوقة مثل كلمة «لكن» أو التعبير و«من ثم»، ولا يتطلب فهمه استدلالاً عقلياً، وإنما يفهم مباشرة. وثانيهما: الاقتضاء التحادثي conversational implicature، وينشأ اعتماداً على السياق التحادثي، ويستعمل فيه المتكلم الاستدلال العقلي القائم على قواعد المحادثة. وقبل أن يختم الفصل حديثه عن نظرية الاقتضاء، تطرق إلى السياق الفلسفي الذي ظهرت فيه وانعكاس ذلك على النظرية من خلال إكسابها زحماً من الأهمية في نظرية المعنى (ينظر ص، ۱۸۶-۹۲). وكذلك تطرق إلى الحديث عن أهمية ما أسماه جرایس بالمبدأ التعاوني Cooperative Principle ودوره في نظريته عن الاقتضاء التي تعتمد على النظر إلى استعمال اللغة بوصفه ضرباً من الفاعلية العقلية rational activity والتعاونية cooperative؛ بغية تحقيق هدف الاتصال بين المتكلمين. وتتلخص فكرة «المبدأ التعاوني» في أن المتكلم ينبغي أن يجعل إسهامه التحادثي وفق الغرض أو الاتجاه المقبول لتبادل الكلام الذي يشارك فيه. وقد وسع جرایس هذا المبدأ العام للسلوك التحادثي في مجموعة من القواعد أطلق عليها اسم القواعد التحادثية conversational maxims، وصنف هذه القواعد تحت أربع مقولات categories هي: الكم quantity، والكيف quality، والإضافة (العلاقة) relation، والجهة: manner. ويتحقق الاقتضاء التحادثي Conversational implicature إما بالامثال لقواعد المحادثة ومراعاتها، وإما بالخروج على قواعد المحادثة وكسرها شريطة أن يكون هذا الخروج مسوّغاً (ينظر

ص ١٩٤-٩٥ لمعرفة بعض الأمثلة التي توضح هاتين الطريقتين. ولمزيد تفصيل عن هذه القواعد ينظر الخليفة (٢٠١٣)).

وينتهي الفصل نقاشه الممتع عن نظرية جرايس في الاقتضاء بالحديث عن الانتقادات التي وجّهت لها على الرغم من أنها تحظى برواج بين علماء الدلالة. ومهما يكن من أمر، يرى المؤلف أن إحدى مزايا نظرية الاقتضاء أنها تُرحّل جوانب حدسية كثيرة من المعنى إلى علم الاستعمال بوصفها مقتضيات، بدلاً من أن تعامل بوصفها معطيات حقيقية لعلم الدلالة، وهي بذلك (أي، نظرية الاقتضاء) تساعد بشكل مهم في التمييز بين المضامين الدلالية والمضامين الاستعمالية البحتة (ينظر ص، ١٩٧-٩٨).

ويختتم فصول الكتاب الفصل السابع الذي خصص لدراسة اللغة والصدق والواقع، وهي موضوعات أساسية وجدلية تأتي في أولية مباحث فلسفة اللغة. ويبدأ الفصل بطرح الأسئلة التي يكثر طرحها عادة عن الصدق، ومن أبرزها (ص، ٢٠٧-٠٨): ما الصدق؟ ومن الصادق؟ وكيف ننجح في معرفة الصدق ونميز الصادق من الكاذب؟

يدور السؤال الأول حول طبيعة الصدق *the nature of truth*، ويدور السؤال الثاني حول «الأشياء» التي تكون صادقة والتي يُقبل منها ما يعرف باسم «حوامل الصدق» *truth - bearers*. أما السؤال الثالث فيرتبط «بطبيعة التحقق» *the nature of verification* من صدق الأشياء الصادقة. أما الأشياء التي نصفها بأنها صادقة، فيقسمها الفصل فئتين. (أ) أشياء تقال ويعبر عنها باللغة مثل العبارات، والقضايا، والاعتقادات، والملاحظات... إلخ و(ب) أشياء أخرى يجوز وصفها بأنها «صادقة» ولكنها لا تدخل في إطار القول، ولا يمكن قولها ولا صياغتها في اللغة مثل الأصدقاء، والشجاعة، والآلء. وعندما يقول الصديق قولاً ما، فإننا نصفه بأنه صادق فيما قال، ولكن الصديق لا يقال ولا نصوغه في اللغة.

وما يهم فلسفة اللغة في مفهوم الصدق هو ما ينتمي إلى الفئة الأولى؛ ولذا نجد الفصل يحاول تحديد حوامل الصدق التي اختلفت آراء الفلاسفة حولها، وتعدد إجابات النظريات عنها (ينظر ص، ٢١١).

أما ما يخص اللغة، فقد نوقشت استعمالات المتكلمين لها، ووضّح كثرتها وتنوعها (التساؤل، والطلب، والوعد، والوعيد، والسب واللعن، والنداء والتوسل، والوصف والخبر، والتمني والتعجب، ونحو ذلك). وطرح الفصل سؤالاً عن مدى وصف هذه الاستعمالات بأنها منطوقات صادقة أو كاذبة (أي، علاقتها بالواقع). وفي هذا الصدد، حُصرت الجمل التي يحكم عليها بصدق أو بكذب بالجمل الإخبارية *declarative sentences*. أما الاستعمال اللغوي الذي يقال لقائله إنه صادق أو كاذب فهو الخبر. ومن هنا كانت عناية الفلاسفة بالجمل الإخبارية التي تقرر حالة من حالات الواقع (ص، ٢١٢). وبعد تحديد المعنى اللغوي لكلمة (الصدق) في اللغتين العربية والإنجليزية الذي لا يعدو أن يكون إلا مطابقة القول أو الحكم للواقع، نجد الفصل يقدم عرضاً موجزاً لنظريات الصدق، ويفصل الحديث عن أبرز اثنتين منها، وهما (أ) نظرية التناظر و(ب) نظرية التناسق. وحول كل نظرية ذكرت الاعتراضات والرد عليها بعد حديث مفصل عن أفكارهما ونهاذجهما (ينظر ص، ٢١٦-٣٦).

نقد الكتاب

حتى نعرف قيمة العمل المسدّى في هذا الكتاب، وضخامة الجهد المبذول، علينا أن نلقي نظرة على ضخامة المرجعيات العلمية التي استقى منها مادته. وسنجد أن جلها كان من المرجعيات الأصيلة التي يعتد بها في تاريخ علم فلسفة اللغة. فالكتاب في نقاشه للقضايا والأفكار الأساسية في تاريخ العلم عاد إلى مظانها الأولى إن في كتابات روادها، وإن في الكتابات المعتمدة في تتبع ورصد هذه القضايا في مظانها الأجنبية، ثم نقلها لنا نقل العالم المدرك لأبعادها بلغة عربية سليمة وواضحة بعيدة عن الحشو والاستطراد والتعقيد. وتلك ميزة تغيب عن أكثر ما يؤلف اليوم باللغة العربية عن الدراسات اللغوية الغربية ونظرياتها المتعددة والمتجددة. فالكثير من تلك المؤلفات يعتمد على مراجع وسيطة عربية أو مترجمة، ولا يتكلف العناء في البحث في المظان الأصيلة لتلك النظريات؛ فيأتي ما كتب عنها مشوّهاً ورتدياً وصعب الفهم، فضلاً عن المغالطات والأخطاء التي، ربما، منشؤها تلك المراجع الوسيطة.

ومما يسجل للكتاب ولؤلفه أن غموض المصطلح قد أزيح منذ البدء، ونزع عنه ما يلتبس معه ويتداخل من مصطلحات أخرى. ومما يسجل أيضاً، أن جل القضايا والأفكار المفصلية في تاريخ العلم قد نوقشت، وإن بدرجات مختلفة في الإسهاب والعمق. وكان نقاشها مستنداً على المرجعية العلمية الأصيلة، والخلفية العميقة لتلك القضايا والأفكار. وهذا ما يجب وما يُتَظَر عندما يكون المؤلف مختصاً بالحقل وملماً بالموضوع الذي يكتب فيه.

وإن كان من نقد يوجه للكتاب، فهو في اختيار طريقة العرض ونقاش بعض الأفكار. فمثلاً، كان الأجدى أن يكون الفصل الثاني عن إسهامات فريجه طالما أنه الأب الروحي لهذا العلم، وطالما أن جلّ ما كُتِب في تاريخ هذا العلم في اللغات الأخرى وخاصة الإنجليزية يقر بذلك. والبدء بفريجه مهم جداً في جلاء كثير من الأمور الملبسة في تاريخ العلم خاصة أنه المنظر الأول لموضوعين مهمّين ومفصليّين وعليهما مدار النقاش في حقل فلسفة اللغة حتى هذا اليوم، أعني موضوعي الإحالة والمعنى *reference and sense*. صحيح أن الكتاب لم يغفل الحديث عن فريجه في ثنايا الكتاب وركز على بعض آرائه في الفصل الخامس وناقشها وقارنها بغيرها، ولكن كتاباً في تاريخ فلسفة اللغة يصعب أن ترى فصوله الأولى تخلو من حديث مفصل عن إسهامات فريجه وهو من هو في تاريخ العلم. ولزيد معرفة عن دور فريجه الرائد في فلسفة اللغة، ينظر الفصل الثري الذي كتبه Heck و May (٢٠٠٨) بعنوان: إسهام فريجه في فلسفة اللغة، ونشر ضمن كتاب دليل أكسفورد الإرشادي عن فلسفة اللغة (ينظر قائمة المراجع).

ومما يلحظ على الفصل الثالث في الكتاب، فصل الحديث عن النظرية العقلية في اكتساب اللغة ومعرفتها وحصرها بفكر تشومسكي، أنه أطال الحديث عن الجانب النظري للنظرية التوليدية، وأوجز الحديث عن جانبها الفلسفي المهم لموضوع الكتاب. وقد سبق في عرض محتوى الفصل الإشارة إلى نقص في تتبع تاريخ النظرية وإغفال لتطور فلسفتها في كيفية إبداع العقل للغة عبر نماذجها المختلفة ولا سيما في نموذجهما الأحدث المعروف بالبرنامج الأدنوبي. وعودة على جانب النظرية الفلسفي، نجد أن الفصل أهمل أسئلة النظرية الفلسفية المباشرة التي تشكّل الخلفية

الفلسفية لها. ويمكن حصرها في سؤالين أساسيين هما (ينظر الطيب ١٩٩٧):

(أ) كيف يتأتى للكائنات البشرية أن تصل إلى معارف متعددة، على الرغم من اتصالها المحدد بالعالم؟

(ب) ماذا يمكن لدراسة اللغة أن تساهم به في فهمنا للطبيعة البشرية؟

اضطر بحث إجابة السؤال الأول تشومسكي أن يحفر في فلسفة أرسطو ومشكل أفلاطون، والعقلانية الديكارتية، وتجريبية هيوم، ونسبية كانت، وأن يقوِّض، انسجامًا مع الموقف العقلاني الذي تبناه كإطار للتحليل، دعائم النظرية التجريبية. أما السؤال الثاني، فكانت عبر ربط اللغة بالفكر؛ إذ هي مرآته وفق التعبير الكلاسيكي. ومن هنا يصبح السبيل إلى مقارنة الطبيعة البشرية في التصور التوليدي هو دراسة طبيعة القدرة المعرفية، والبنى التي تتحقق عبرها ودورها في تفسير كنه المعرفة الإنسانية. واللغة، بلا أدنى شك، هي الوسيلة الأنجع في الوصول إلى ذلك وتحقيقه.

وما يلحظ على البناء العام للفصول غياب التناسب في عدد صفحاتها، وفقدان الوحدة العضوية داخلها وبينها، فلا نجد تقديمًا وعرضًا للفصل بالشكل الأكاديمي المتعارف عليه في طريقة كتابة الفصول وتقسيمها. وربما يعود السبب في ذلك إلى أن جلّ هذه الفصول في أصلها كانت أبحاثًا نشرت في مجلات علمية ثم جمعت لتشكّل نواة هذا الكتاب.

وفي مواضع قليلة من الكتاب تترك بعض الأفكار بلا شرح، ومن أبرز الأمثلة على ذلك فكرة (الاستبدال التمثيلي) التي جاء بها كواين للرد على المظهر الإبداعي للغة عند تشومسكي الذي استعمله للرد على (مفهوم الإشارات الإجرائي) أحد المفاهيم الأساسية للنظرية التجريبية (ينظر الفصل الثاني، ص ٤١).

وما يجدر التنبيه عليه أن الكتاب يستخدم ترجمات للمصطلحات اللسانية خارج المتعارف والشائع في الدرس اللساني العربي المعاصر، وقد نبّه على بعضها في عرض المراجعة لفصول الكتاب. كمثل الإصرار على استخدام «علم اللغة» بدل «علم اللسانيات»، و«علم الاستعمال» عوض «علم التداولية»، و«نظرية الأفكار» بدل «النظرية الفكرية» أو «التصورية»... إلخ. وربما يعود ذلك إلى قناعات بجذوى

مصطلح على حساب مصطلح آخر لا إلى عدم معرفة بشيوع هذه المصطلحات. ومما ينبه عليه، أيضاً، وصف فتجنشتين بالمبكر أو المتأخر؛ وذلك في تمييز تطور أفكاره وتحولاته الفكرية طيلة عمره العلمي (لرصد هذه التحولات، ينظر خليفني ٢٠١٠). وهذا التمييز لم ينبه عليه في متن الكتاب ولا في هوامشه؛ مما قد يوقع القارئ في سوء فهم فيظن أنهما مختلفان، وواقع الأمر ليس كذلك. وقد أزال المؤلف هذا اللبس في كتابه اللغة والعقل والعلم في الفلسفة المعاصرة (٢٠١٨) عندما وضح في (ص، ٣٩) سبب استخدام الوصف بالمبكر أو المتأخر أو حتى المتوسط عند ورود اسم اسم فتجنشتين؛ تمييزاً لتباين أفكاره الفلسفية في سنوات نشاطه العلمي (١٩١٤-١٩٥١).

ومهما يكن، فهذه ملحوظات عامة لا تسلب الكتاب جودته، وإحكام فكرته، ويبقى الكتاب من أفضل الكتب التي لا غنى لمن يريد فهم تشعبات موضوعات فلسفة اللغة ودراسة تاريخ أفكار هذا العلم. ومما يقوي القيمة العلمية لهذا الكتاب أنه كتبه مختص خبير بالفلسفة المعاصرة يرى أن هدف الفلسفة هو تحليل بنية الفكر، وأداتها ومنهجها هو التحليل اللغوي والمنطقي للمفاهيم، فلا تحليل فلسفياً للفكر بمنأى عن تحليل فلسفي آخر للغة. كما يقوي القيمة العلمية للكتاب، إذا ما استذكرنا العرض السابق للفصول، غزارة مادته العلمية وأصالة الطرح والعودة بالأفكار والنظريات إلى مظانها الأصلية والقراءة عنها بلغاتها التي كتبت بها. وتلك ميزة تكاد تندر، إن لم تنعدم، في أكثر ما يكتب حول هذا الموضوع. وأخيراً، سيعرف من سيقراً هذا الكتاب، بما سيجد فيه من نقاش لقضايا، ذات سمولات ميتافيزيقية، وتتداخل فيها اللغة بالعقل والفكر والعالم والوجود- إلى أيّ حد كانت على حقٍ مقولةً لبيور Lepore وسميث Smith (٢٠٠٨: ١) حين وصفا موضوع فلسفة اللغة في تقديمهما لكتاب دليل أكسفورد الإرشادي الضخم عن «فلسفة اللغة» بأنه علم عميق / واسع لا قرار له:

Philosophy of language is usually presented as a deep-end subject

مراجع المراجعة:

- إسماعيل، صلاح. (٢٠٠٧). نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس. القاهرة: دار قباء الحديثة.
- إسماعيل، صلاح. (٢٠١٨). اللغة والعقل والعلم في الفلسفة المعاصرة. القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع.
- أورو، سيلفان. (٢٠١٠). فلسفة اللغة. بيروت: دار الكتاب الجديد.
- بارتشت، بريجيتته. (٢٠٠٤). مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي. ترجمة: سعيد حسن بحيري. القاهرة: مؤسسة المختار.
- جيز، ستيفن. (٢٠٢٠). ما الجديد في فلسفة اللغة؟ ترجمة: زياد الحازمي. متاح على موقع أثاره عبر الرابط التالي:

[/https://atharah.com/whats-new-in-philosophy-of-language](https://atharah.com/whats-new-in-philosophy-of-language)

تاريخ ١/٦/٢٠٢١.

- الحريص، ناصر. (٢٠١٤). الخاصية النظامية للغة ودورها في فهم كيف يبدع العقل اللغة. مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج ٧، ع ٣، ص ٨٨٣-٩٤٠.
- الحريص، ناصر. (٢٠١٨). المظهر الإبداعي للغة: مقارنة أدنوية-إدراكية. مجلة اللسانيات العربية. مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ع ٦، ص ٢٦-٥٩.
- الخليفة، هشام. (٢٠١٣). نظرية التلويح الحوارية. بيروت/ القاهرة: مكتبة لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية للنشر.
- خليف، بشير، (٢٠١٠). الفلسفة وقضايا اللغة: قراءة في التصور التحليلي. الجزائر: منشورات الاختلاف، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- ريكاناتي، فرانسو. (٢٠١٦). فلسفة اللغة والذهن. ترجمة: الحسين الزاوي. الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.
- زيدان، محمود فهمي. (١٩٨٥). في فلسفة اللغة. بيروت: دار النهضة العربية.

- الطيب، بنكيران محمد. (١٩٩٧). «الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية»، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٥، العدد ٣، يناير/مارس، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- عمر، أحمد مختار. (١٩٩٨). علم الدلالة. القاهرة: عالم الكتب.
- غلفان، مصطفى. (٢٠١٠). اللسانيات التوليدية: من النموذج المعياري إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة. بمشاركة احمد الملاخ وحافظ علوي. إربد (الأردن): عالم الكتب الحديث.
- Chomsky, N. (1964). «Current issues in linguistic theory” .in J.A. Fodor & J.J. Katz (eds., The structure of language, Readings in the philosophy of language Englewood Cliffs, Prentice Hall, 51-118.
- Chomsky, N. (1975). “Reflections on language”. New York: Parthenon Press.
- Lepore. E & Smith. B. (2008). «Preface». in E. Lepore and B. Smith, eds., The Oxford Handbook of Philosophy of Language (Oxford: Oxford University Press, pp., pp. 1–4.
- Heck, R.G., & May, R. (2008). «Frege’s Contribution to Philosophy of Language». in E. Lepore and B. Smith, eds., The Oxford Handbook of Philosophy of Language (Oxford: Oxford University Press, pp. 3–39.

السانية العربية

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
العدد ١٣ ذو القعدة ١٤٤٢هـ - يوليو ٢٠٢١ م
Allisaniyat Al Arabiyah

ردمك (ISSN): ١٦٥٨-٧٤٢١



جهة النشر

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language



ص.ب. ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣

هاتف: ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨

البريد الإلكتروني: nashr@kaica.org.sa